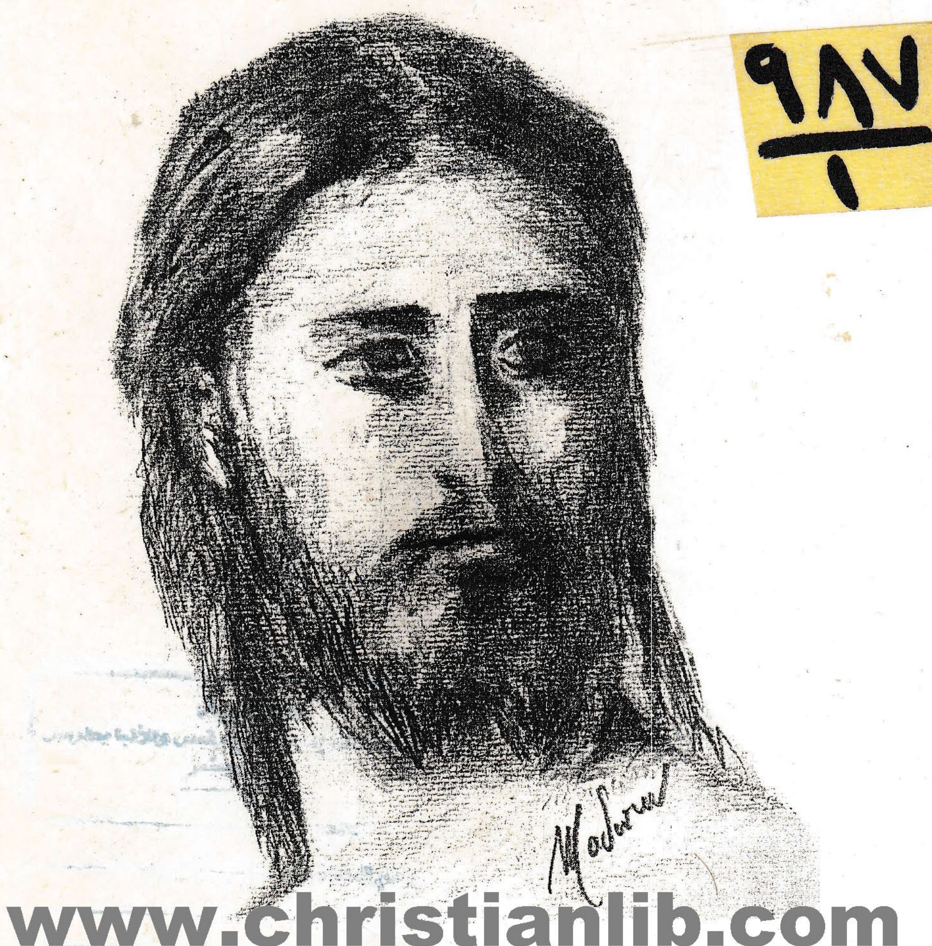
تأليف
المطران تيهامر طوت

ترجمة
الأب نعمة الله العاقوري



يَسُوع المَسِيح

إبن الله * المعلّم الالهيّ

تأليف
المطران تيهامر طوت

يسوع المسيح

ابن الله * المعلّم الإلهيّ

ترجمة
الأب نعمة الله العاقوري

١٩٩٥

طبعة اولى

يطلب هذا الكتاب من كبريات
المكتبات ومن المترجم
على الأرقام الآتية :
٠٩ / ٨٣٠٧٧٠ - ٩٣١٢٨٨
٠١ / ٣٩١٧٨٢

الاهداء

الى والديَّ (في الارض والسماء) اللذين ربياني على محبّة المسيح واعطياني المثل بحفظ وصاياه.

الى آباء الروح في جمعيّة المرسلين اللبنانيين حيث تربيت التربية الاكليريكية والرسولية وتلقيت الدروس الادبية والفلسفية واللاهوتيّة.

الى اخوتي في الجسد وفي الكهنوت وخدمة المسيح.

الى صاحب النيافة غبطة ابينا السيد البطريرك وساداتنا اساقفة الطائفة العزيزة اهدي كتابي هذا راجياً القبول مع البركة.

مصطلحات

لو: انجيل القديس لوقا

مر: انجيل القديس مرقس

يو: انجيل القديس يوحنا

اع: اعمال الرسل

رؤ: رؤيا القديس يوحنا

تك: سفر التكوين

طو: سفر طوبيا

روم: رسالة القديس بولس الى الرومان

عبر: رسالة القديس بولس الى العبرانيين

كور: رسالة القديس بولس الى الكورنثيين

فيل: رسالة القديس بولس الى اهل فيليبي

غلا: رسالة القديس بولس الى اهل غلاطية

تيمو: رسالة القديس بولس الى تلميذه تيموتاوس

كول: رسالة القديس بولس الى اهل كولوسّي

بط: رسالة القديس بطرس

دان: دانيال

فهرس

مسيحُ كل الأيام وانسان اليوم

اخوتي ،

كان الكاتب البولوني المعاصر ، اوسّندوفسكي (Ossendowski) ذو الشهرة الأوروبية الواسعة يحلو له ان يشرِّحَ في مذكرات اسفاره روح التصوف عند الشرقيين . وقد دوَّنَ في احد كتبه: «روح الصحراءِ» الانطباعات التي تكونت لديه ابان رحلةٍ قام بها الى الجزائر وتونس .

بين الرواياتِ العديدة المدوَّنة في هذا الكتاب نجدُ واحدةً مؤثرة ومحزنة جداً . يروي الكاتبُ لقاءً جرى في إفريقيا بين فرنسي وكاهنة وثنية سمعت بسيدِنا يسوعَ المسيحِ بل صارت تؤمن به وهي تدعوه بلغتها «عيسى» .

قالتِ الكاهنةُ للفرنسي: «عيسى لم يكن نبياً فحسب بل إلهاً ايضاً . من كان انساناً فقط لا يستطيع ان ينسى ذاته كلياً حباً بالآخرين . إن اللّهَ وحده قادرٌ على ذلك . وعيسى صنعَ ذلك . فمن المؤكد إذن انه إله وإله صالح» . عندها ابتدأ الاوروبي الشبطيقي يقول : « الم يوجد ايضاً اناسٌ ضحَّوا بحياتهم ومالهم لأسعاد الآخرين؟» .

«بلى ، اجابتِ الوثنية ، ولكن اولئك حظوا في حياتهم بافراحٍ وملذات وكان لهم بيوتهم وعيالُهم وحصلوا على الجاهِ والإكرام . . . اما عيسى فقد عاش وحيداً . . . فيجب بالتالي ان يكون الهاً» .

ورجت الكاهنةُ الوثنية المسيحيَّ الفرنسي ان يُخبرَها عن عيسى (المسيح) بالتفصيل .

«علِّمني ، قالت متوسلة ، كيف اصلي لعيسى» .

فاضطر هذا المسيحي الاوروبي ان يُقرَّ معترفًا: «لا استطيع تلبية طلبك لأنني انا ذاتي لا اعرفُ الصلاة».

أليس ذلك مؤسفًا ومحزنًا ايها الأخوة؟ كاهنة وثنية تتوسّل بكل جوارحها الى مسيحيٍّ اوروبي ان يكلِّمَها عنِ المسيحِ فيضطرُّ الى الاعتراف: لا استطيعُ ان اكلمَكِ عنه لأنني انا ذاتي لا اعرفُ المسيح.

لم يكن الأمرُ مفجعًا لو اقتصر هذا الجهلُ على حادثةٍ فردية، ولكننا لسوء الحظ، ونرانا مضطرين الى رؤية ذلكَ يومًا بعد يومٍ: يعيش بين ظهرانينا اناس يدعون ذواتهم مسيحيين، يعني منتمين الى المسيح، ولكنهم لا يعرفونَ عن المسيحِ الا القليل القليل ولا يحبونه الا اليسير وبالاخص لا يعيشون وفق إرادتهِ الا ما ندَر.

هدفي ان اضع حداً لهذا الجهل بواسطة هذه السلسلة الجديدة من المواعظ التي ابدأها اليوم بشرح ذلك القسم من قانون ايماننا المتعلقِ بسيدنا يسوع المسيح

ليس هذا بالطبع هدفي الرئيسي الذي وضعتُه نصبَ عينيَّ عندما قرّرتُ الكلام عن سيدنا يسوع المسيح طوال سنتين. لأنكم انتم ايها الأخوة الذين تستمعون اليَّ بهذه المواظبة والانتباه فيتحملُ بعضكم مشقةَ السفر بالقطار ساعة او نصف الساعة لتسمعوا هذه المواعظ، لا تنتمون الى هذه الفئة من الناس الذين خمدَ فيهم الإيمانُ كذلك الفرنسي. انتم تؤمنون بالمسيحِ وتحبون المسيحَ. مع ذلك اودُّ ان تتعلّموا انتم ايضًا الكثيرَ من هذه المواعظ. يجب الا يتضاءل اهتمامُكم بالسماع اكثر فاكثر عن سيدنا يسوع المسيح.

فما هي الفائدة الروحية المتوخاة من هذه السلسلة الجديدة من المواعظ بعنوان «يسوع المسيح» اعني لمَ تكريسُ سنتين من المواعظ لهذا الموضوع؟ الجواب على هذا السؤال هو موضوع عظة اليوم التي ستكون بمثابة مقدمة لهذه

السلسلة. اليس من السهل ان نتابع باهتمامٍ اكبر ما نعرفُ فائدتَه ونتأكدُ من الثمارِ التي سنجنيها منه؟

ما هي اذن اهمية كلامنا عن سيدنا يسوع المسيح بكل هذا التفصيل؟ أهميته ان يزدادَ ايمانُنا به اكثر ونسير وراءه سيرةً افضل. فهي اذن مسألة هامة: ا ـ لأجل ايماننا و ٢ ـ لأجل حياتنا.

١
لأجل ايماننا

لماذا اطالة الكلام عن سيدنا يسوع المسيح ؟ اولاً، لأن الإيمان بالمسيح هو العقيدة الاساسية واحدى دَعامتي الدين المسيحي. الدعامة الاخرى هي الايمان بالله. على هاتَين الدعامتَين ترتكز ديانتنا كلها. فاذا كانت هاتان الدعامتان متينتين اعني الايمان بالله والإيمان بالمسيح ابن الله، عندها تقوى ايضاً قناعتنا الدينية. في الواقع ان كل ممارساتنا الدينية من صلاة وتردد الى الكنيسة واقتبال الأسرار والمحافظة على الوصايا كما الحياة الفاضلة والخيّرة... كل ذلك يرتكز على هاتين القاعدتين: هل اؤمن بالله؟ هل اؤمن بيسوع المسيح؟

ان الديانة المسيحية كلها ترتكز على ان المسيح هو ابن الله. ان بنوة المسيح لله هي مفتاح كل عقائدنا: الثالوث الأقدس، العذراء مريم، الكنيسة والعواقب الأخيرة. ان بنوة المسيح لله هي اساس الأسرار السبعة. ما هي الأسرار في الواقع؟ انها الاقنية التي توصل الينا نعمة المسيح الحي فينا ابداً.

ان سيدنا يسوع المسيح هو في صميم عقيدتنا. لذلك نسمي نظرتنا المسيحية الى العالم نظرة محورها المسيح والذي لا يؤمن بالمسيح ابناً لله لا يمكن ان يكون مسيحياً.

٢) «ولكننا مسيحيون!» تجيبون وكوننا مسيحيين يعني اننا نتبع المسيح ونؤمن بالمسيح. فما حاجتنا اذن الى شرحٍ وبراهين على الوهية المسيح وتبيان ارادة المسيح بكل هذه التفاصيل؟ المسيحي لا يحتاج الى كل ذلك ليؤمن ايماناً ثابتاً بالمسيح.

هذا صحيح، او بالاحرى كان صحيحاً في الماضي: المسيحي كان يؤمن بالمسيح ايماناً لا يتزعزع.

اما اليوم، فاننا نعيش وسط عالم مليء بالجراثيم التي تلوّث ليس فقط الشوارع المليئة بالاوساخ بل ايضاً أجواء الحياة الروحية. ان النفايات والأوساخ تفسد الهواءَ في المدن الكبرى، كذلك تنتشر الجراثيم التي تفتك بحياة عصرنا، اعني بها السفسطات.العصريّة المنتشرة في العالم والنوايا الخبيثة المناهضة للدين والغازات السامّة التي تهاجم الدين المسيحي في وسائل الاعلام. كل حَياتنا اليومية: علاقاتنا، قراءاتنا وملاهينا، ملوثة بالجراثيم التي تودّ ان تفتك بشخص المسيح وتعليمه، كما وبالايمان والآداب المسيحية. ونحن المسيحيين لا نستطيع الا ان نتنفّسَ هذا الهواء الفاسد وعلى كل منا ان يدخل معه في صراع.

من المعروف اننا نبتلع جميعاً كل يوم كمية من الجراثيم الرئوية ولكن الإنسان المعافى لا يشعر بها لأن بنيته الصحيحة تدمّر هذا العدو الخبيث. لذلك سأكلمكم باسهاب عن المسيح انتم مستمعيَّ الأعزاء والأوفياء الذين تؤمنون بالمسيح وتحبونه، حتى اذا ما هوجمتم في ايمانكم واخلاقكم بجحافل

التجارب التي تفسد الأخلاق، تستطيعون بمناعة ايمانكم وحبكم للمسيح ان تنتصروا على هذه الهجمات انتصاراً مبيناً.

٣) اريد ايضاً ان اتكلم باسهاب عن سيدنا يسوع المسيح لكي **نعرفه معرفة اكبر ونحبه بالتالي حبًا اعظم.**

قد يقول اكثر من واحد: «لقد قرأت عنه كثيراً».

لا، لم تقرأوا بما فيه الكفاية. قريباً سترون ان انسان اليوم، ولو مسيحياً، لا يعرف عن المسيح سوى القليل القليل. أعرف طبعاً انكم لا تجهلون ميلاده في بيت لحم، وموته على الجلجلة. ولكن ما اقلّ الذين يتعمقون في تعاليم سيدنا يسوع المسيح!

سترون قريباً قِمم تعاليمه الباهرة التي لم تُكتشف بعد، كما والينابيعَ الحية والدافئة التي تتفجر من قلبه المحب والملامحَ الجديدة التي ترتسم على محياه والقوة الظافرة التي تنبعث من عينيه.

اذا توصلنا ان نعرف المسيح اكثر فاكثر فهذا يعني اننا سنحبه اكثر فاكثر. نسمع الناس يتكلمون عن الله كثيراً، كما نحن ايضاً نتكلّم عنه. فهل تظنون اننا نعرفه معرفة تامة؟ مع ذلك اعتقد ان صورة الله تشع الآن باكثر اشراق ووضوح في نفس الذين استمعوا حتى النهاية سلسلة مواعظي عن الله.

ارجو ان نحصل على نتيجة مماثلة بالنسبة للموضوع الذي اعالجه اليوم: «اؤمن بيسوع المسيح». اود ان نستطيع القول في نهاية هاتين السنتين: «آه، الآن اعرف ما معنى ان يكون الانسان مسيحياً. المسيحية ليست لباساً انيقاً ورثته عن اجدادي ولا تقليداً ولدت فيه ولكنني اقبلُ المسيحَ بكل حرارةِ نفسي واشكرُه الوف المرات لأني انا ايضاً مسيحي».

٤) لماذا اريد ان اتكلم عن سيدنا يسوع المسيح؟ **لأستطيع ايضاً ان اعرف الآب معرفة افضل**. كيف ذلك؟ الم أنهِ مؤخراً سلسلة عظاتي التي تكلمت فيها عن الآب السماوي وحده. وتراني اؤكد اننا لا نعرف الله بما فيه الكفاية؟

أوكد ذلك حقاً. كم من معضلات، كم من اسرار، كم من اسئلة لا تزال مرسومة على وجه ابينا السماوي المبارك! لا احد يستطيع ان يعرف الله كلياً في هذه الحياة. اما المسيح فهو صورة الآب وضياءُ، مجده وصورة ازليته» (عبر ١/٣) لقد قال هو عن نفسه: «من رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤/٩) اذن بقدر ما نعرف المسيحَ بقدر ذلك نعرف الآبَ ايضاً.

٢

لأجل حياتنا

نقرأ في انجيلَ القديس يوحنا عن صعود الرب الى اورشليم لحضور عيد الفصح، انه كان بين جمهور الحجاج رجلان وثنيان يبحثان عن الله. تقدما الى الرسول فيليبوس بطلب: «يا سيد نريد ان نرى يسوع». بعد ان تشاور فيليبوس واندرواس قدما الطلب معاً الى الرب.

نريد ان نرى يسوع.

يبدو لنا اليوم ايضاً اننا نسمع مثل هذه الرغبة على شفاه البشرية. ما اكثر ما قمنا به من محاولات وما اكثر ما مشينا من سبل للوصول الى حياة اكثر هناءً وسعادة: لقد باء كل ذلك بالفشل، لوحدنا لا نجد سوى اليأس. نريد ان نرى يسوع!

أريد في هذه المواعظ ان اريكم يسوع ، ان أكشفَه لكم . . . حتى ان من يراه لا يستطيع بعد اليوم ان ينفصل عنه .

١) آه كم من الذين رأوا يسوع طوال حياته على الارض ورأوه ايضاً بعد ذلك ، ولكن سطحياً فقط ، كعابر سبيل ليس الا ، **رأوه ولكنهم لم يجدوه.**

يوضاس ايضاً رأى يسوع ، كان معه كل يوم طوالَ ثلاثِ سنوات ومع ذلك اسلمه . رؤساء الكهنة ايضاً رأوا يسوع فكانت عيونهم تغشى بظلام الحقد عند رؤيته ، بيلاطس رآه وسمعه ، مع ذلك اسلمه الى جلاّديه . الشعب رآه فكان يهتف احد الشعانين: هوشعنا ، ونهار الجمعة كان يطالب بموته .

كل هؤلاء رأوا يسوع ولكنهم لم يجدوه .

٢) نحن ايضاً رأينا يسوع فهل وجدناه كلنا؟ اول كلمة تعلمناها في طفولتنا ، عندما بدأنا نتكلم ، كانت اسمَ يسوع . . . كلّمونا عن يسوع في المدرسة طوال سنين . . . ولكن من هو المسيح بالنسبة الينا في اكتمال العمر؟ ماذا نعرف عنه؟ ما هي مكانته في تفكيرنا؟ كيف نعرفه ؟ كيف نحبه؟ ليس لهذين السؤالين الأخيرين في الواقع سوى معنى واحد: بقدر ما اعرف المسيحَ بقدر ذلك احبُه واتبعه .

ولكن ما اقلّ الذين يعرفونه حتى بين الذين يعتبرون أنفسهم من تلاميذه! كم من امور جديدة يتعلمونها لو تابعوا بانتباه هذه المواعظ! لربما رأوا الهوّة السحيقة التي تفصل حياتهم عن المسيح .

لآحاد كثيرة سأكلمكم عن سيدنا يسوع المسيح .

المسيح ! ايُّ تعزيةٍ يحملها هذا الاسم للإنسان المعذَّب! ومن لم يتعذّب بعد؟ من لم يشعر حتى الآن بعِظم مأساةِ الحياة: الإنسان معناه العذاب!من

لـــم يـرفع يدَيـه بعد ، عند هــبـوطِ الليل على نفـسه ، نـحو المسـيح المنتصـر على الموت؟

المسيح ! يا لها من كلمة تعيد الحياةَ الى الخاطئ! ومن تراهُ لم يقعْ بعدُ ضحية ميله الطبيعي الى الشر؟ من لم يجد نفسه مضطراً الى ذرف الدموع في ظلام ليل الخطيئة؟ إرحمني يا الله انا الخاطئ!

المسيح ! يا له من اسمٍ معزٍّ ساعة النزاع! ومن تراه يستطيعُ الهربَ من هذه الساعة؟ من لا يـحظى بالعضد والسلوى اذا استطاع ان يقبِّل بشفتيه اليابستين المسيحَ المعلَّق على الصليب؟

المسيح ! انه النغمُ المهيمن على كل حياةٍ مسيحية! هذا الاسم المبارك يرنُّ في افراحنا ويئنُّ في اتراحنا وتاريخ البشرية يرجّعُ صداه كـصدى جرس كبير عبر الأجيال .

لقـد اعتـادَ الاقـدمون ان يـحفِروا على الأجـراسِ هذه الكلمـات باللاتينيـة: « Vivos voco,mortuos plango, fulgura frango » وهي تعنـي :«ادعـو الأحـياءَ ، ابكي الموتى ، احطّم الصـواعق» . فلنطبّق هذه الكلمـات على اسم يسوع الاقـدس عندما يرنُّ فوق البشـرية الى البعيـد :« يدعو الاحياء » صـغاراً وكباراً ، حكمـاءَ وجهّالا ، اغنياءَ وفقراء ، الى الحياة الأبدية . «يبكي الموتى» اذ يشجّعُ ويقـوّي ضحايا الخطيـئة المميـتة فيـدفعُ بهم الى القيـامة . . . «يحطّم الصواعق»: ليس من تجربة مهما اشتـدّت وهجوم جهنمي مهما قويَ الا ويرتدُّ عندما ندعو اسم يسوعَ الأقدس .

٣) اليكـم اخيراً جوابي الحـاسم عن سبب اسـهابي في الكلام عن سـيدنا يسـوع المسيح: كي نستطيعَ الاجابةَ بـالتفـصيل على هذا السـؤال الملحِّ: **كيف يستطيعُ انسانُ اليوم ، في جيله العشرين ، ان يعيش وفق ارادة المسيح ؟**

هذه هي المعضلةُ الكبرى. ليس المهم ان نعرفَ كيف كان العالمُ من قبل بل كيف يجبُ ان يكونَ اليومَ.

لا يليق بنا ان نحلمَ دائماً بايامِ زمان، يوم كانت الحياةُ اكثرَ هناءً وراحةً وكان الناسُ اكثر صلاحاً. لا يجدُرُ بالقوى الكامنةِ في دينِ المسيحِ ان تضيعَ في احلام عقيمة، بل الحريُّ بنا ان ننطلقَ في مجرى زمانِنا الصاخب ونجهد عاملينَ لإتمامِ المهمّة التي حدّدتها العناية الإلهية لنا اليوم، نحن ابناءُ جيل مخضرم يتصارعُ معَ الازمة.

من تأصَّلَ عميقاً في المسيحِ لا يقفُ مكتوفَ اليدينِ متأفّفاً من ضياع ايامِ زمان ورداءةِ الجيلِ الحاضرِ، **بل يفتّشُ على ضوءِ تعاليم المسيحِ عن حلٍّ لجميعِ معضلاتِ العالمِ الحاضرِ التي تكتنفُها الغيومُ الدكناءُ**. سأتكلّم عن هذه المعضلاتِ في هذه السلسلة الجديدة من المواعظ.

لا نخفْ اذن من الجيل العشرين، لأن غليانه الثائر يدخلُ في مخطَّطِ العنايةِ الإلهية.

اريد ان ابيِّن اولاً ان باستطاعةِ المسيحي الافضل ان يكون انساناً عصرياً وابناً لجيله. انما لنفهم جيّداً ما معنى «عصري». الانسان العصري ليس ذلك الذي يتتبّعُ سنةً بعد سنةٍ احدث الازياء وينجرف في تيارِ عصره الفكريِّ، بل الذي يحلّلُ على ضوءِ الأنجيل قيمةَ كلِ فكر جديد في عصره وكلِّ مثالٍ جديد وكلِّ نمطٍ جديدٍ في الحياة، فيتمسك بكل كنزٍ اقتنعَ بقيمتِه العظمى بعد تحليله النيّر للافكارِ الجديدة.

فاذا لم يجدْ سوى القليلِ من الذهبِ الخالصِ والكثيرِ من النفاياتِ والأوساخِ فلا يحملُهُ سوء الطالعِ على التشكّي والتأوّهِ العاجزِ بل على مداواةِ المرضِ بقلبٍ محبٍّ وتكنيس الأوساخ بيدٍ حازمة.

قصدي من هذه السلسلة الجديدة من المواعظ ان ابيّنَ ان **الإنسانَ المتَّحدَ بالمسيحِ يبقى متفائلاً وسطَ التشاؤمِ من عالمٍ فاسدٍ ومن صراعاته الدامية.** من يمشي في اثرِ المسيح يعلمُ جيداً ان « وادي الدموع » لن يصيرَ فردوساً؛ وان التقنيةَ الحديثة لن تستنفذ ابداً الشرائع التي خبَّأها الله في العالم وانه لن يصل ابداً الى الكمالِ وان الشرَّ والمرضَ والموتَ لن ينتفوا من هذا العالم، وان السلامَ لن يستقرَّ على هذه الأرض دائماً، وان الطبيعةَ البشريةَ المائلةَ الى الشرِّ ستقترفُ دوماً نفسَ الاخطاءِ وذات الجرائمِ وان الأزماتِ الاقتصادية والسياسيةِ ستتكرّرُ ابداً. نعم، المسيحي يعرف كل ذلك معرفةً تامة. مع ذلك هو يؤمنُ بتقدمِ البشريةِ المطّردِ نحو الأفضل. لا يعتقدُ ذلك فقط بل يعملُ جاهداً لإحلالِ ملكوتِ اللهِ في العالمِ وايصالِ تعليمِ المسيحِ الى النفوس: انه الضمانة الأولى للتقدمِ الحقيقي. كيف يكونُ العالم بعد مائة سنة ايها الاخوة؟ لا نعلم؛ لا نعلمُ انما نريدُ ان نعملَ. **علينا العملُ وعلى الله ان يكلّلَه بالنجاح.**

هذه نفسيةُ المسيحي العصري، وهذا سيكون هدف مواعظي في هذه السلسةِ الجديدة.

* *

*

من المؤكد ايها الأخوة ان الناس لم تستمع الى الإذاعة بمثل هذا العدد كما في ١٢ شباط سنة ١٩٣١ عند الساعة الثانية بعد الظهر عندما وقف قداسة البابا بيوس الحادي عشر امام مذياع راديو الڤاتيكان للمرة الأولى، ليوجِّهَ الى العالم اجمع، بالمعنى الحصري لهذه الكلمة، رسالة يسوعُ الأزلية. كانت اولى كلماته من اذاعة الڤاتيكان: «ليتمجّد يسوعُ المسيح» «Laudetur Jesus

Christus». ولكن في تلك اللحظة عينها كانت محطة خفية ترسل في الأثير موجاتٍ تشويشيّةٍ لتمنعَ سماعَ صوتِ نائب المسيح. كلنا يعلم من اراد التشويش على كلماتِ البابا. في ڤيينّا صدرت صحيفة تحمل رسماً يمثلُ الكرة الأرضية وعليها محطتا اذاعتي موسكو والڤاتيكان مع هذا التعليق: «ايهما الأقوى؟»

انه حقاً السؤال الاكثر الحاحاً في عصرنا: ايهما الأقوى؟ المسيح ام اعداؤه؟ الإيمان ام الإلحاد؟ الى ايِّ جهةٍ يقفُ الإنسانُ المعاصرُ؟ ألِلى جهة الحضارةِ المسيحيةِ أم الى جانبِ الهمجيةِ الحديثة؟(١)

أليسَ ان كلَّ مركبٍ يفخرُ بعَلَمه؟ عندما يجري احتفال على سطح المركب تُرفع الاعلامُ، وعندما تلتقي السفنُ في عرض البحرِ فهي تتعارف بواسطة اعلامِها وعندما تطلق البحرية مدافعَها فان العلَم يرتفعُ على الصاري. انها لمسألةُ شرفٍ ان يرفع الإنسان علَمه بصراحةٍ. يجب ان يعرفَ العالمُ اجمع من انا وإلى اي جهةٍ انتمي.

لقد كتب الكونت اسطفان شيشيني (Széchenyi) (اعترافات ص. ٥٩٢): «انه لحظٌ سعيد ونعْمةٌ من السماءِ ان يولدَ الإنسانُ مسيحياً». فهل يخفقُ علمُ الإيمانِ بقوةٍ فوقَ مركب حياتنا، اعني إيماننا المسيحي، حياتنا المسيحية؟

بارك ايها الرب يسوع كلماتي الضعيفة هذه في كلامي المسهب عنك، حتى ان كل من يسمعها يأخذ مكانه بوضوحٍ وصراحةٍ، عن ايمانٍ وحبٍّ، بين جمهور أتباعك السعداء. آمين.

---

(١) بعد ستين سنة اتانا الجواب باندحار الشيوعيّة.

كيف ننظر الى المسيح؟

اخوتي ،

عظة اليوم هي ايضاً بمثابة مقدمة لهذه السلسلة الجديدة من المواعظِ التي بدأتها مؤخراً عن سيدنا يسوع المسيح . كي استطيعَ التوغلَ اكثر في حياة المسيح يلزمني ان اوضحَ اولاً مسألة تمهيدية . سأتكلم عن المسيح طوالَ سنتين ، **ولكن هلاّ يزالُ الكلام عنه من مواضيعِ الساعة؟**

البعضُ يجيبون على هذا السؤال بسؤالٍ آخر فيقولون مستغربين: كيف يمكِن طرحُ مثل هذا السؤال . هل لا يزال المسيح من مواضيع الساعة؟ تمشَّ فقط قبل الميلاد باسبوع ، وسط هذه الغابة من السروِ والشربين التي حول نهر الدانوب: ٤٠٠ الف شجرة من شجيراتِ الميلاد وصلت الى متاجرَ مدينة بودابست لعيد الميلاد سنة ١٩٣٠ . إسألْ التجار الذين يعتمدون على اسبوع الميلاد للنهوض من عجزهم المالي لكل السنة . هل الميلاد من شؤون الساعة؟ لاحظ حركة الاولاد المحمومة بعد اسابيع عدّةٍ من الانتظار . لاحظ الاستعدادات الكبرى في العيال . انظر كيف يخرج العالم كله من عقاله في مثل هذا اليوم فقط . . . هل يُعقلُ طرحُ مثل هذا السؤال؟

انا ايضاً اعرف هذا كله ايها الأخوة . ومع ذلك اطرحُ السؤال . اطرحه لأنني لا استطيع الاكتفاءَ بهذه الجملة الأخيرة: «انظر كيف يخرجُ العالمُ من عقالهِ في هذه الأربع والعشرين ساعةً» .

اعرف جيداً قوة الميلاد الخفية هذه . ليس في العالم عيدٌ آخر يستطيعُ ان يحرّكَ مثلَ هذا العددِ من اللاّمبالين ومن الذين فقدوا الإيمان وحتى من غير

المسيحيين. ولكن هل يوجدُ شيءٌ وراء هذا الشعور العاطفي؟ شيءٌ يتوافقُ وعظمةَ سرِّ الميلاد؟ ان الاطارَ الخارجي لباهرٌ حقًا ولكن الا يَطغي الاطارُ على الصورةِ والجوهر والمحتوى المهمِّ فعلاً؟

١- الجميعُ ينظرون الى المسيح دون ان يروه ؟ لا يرونه لأنهم لا ينظرون اليه بروح عاقلةٍ ومستقيمة.

٢ - بأي عينين ينبغي ان نرى المسيح ؟ هذا ما اريدُ قولَه لمستمعيَّ في عظةِ اليوم.

١

الجميع ينظرون الى المسيح دون ان يروه.

١) في هدأة الليلِ تتساقط على مهلٍ رُقعُ الثلجِ البيضاء. الأرض ساكنة تحت نورٍ باهت عجيب. عمَّا قليل ينتصفُ الليل... في مثل هذه الساعة من باقي الليالي كل شيء يرقد، اما في هذه الليلة السرِّية، بين الرابع والخامس والعشرين من كانون الاول فالنوافذُ تشعُّ انوارها على مشهد الثلوج هذا، ويجلِسُ خلفَ النوافذِ اناسٌ سعداء ينتظرون ساهرين قداسَ نصف الليل.

في مثل هذه الليلة السرِّيةِ تحطمت قواتُ الظلام: **النور يزنّرُ** ارضنا القديمة الظلماء، **البيوتُ مُضاءَةٌ، الكنائسُ منوّرة والعيون تشعُّ فرحًا**. وعند منتصفِ الليل تدقُّ الأجراسُ داعيةً الناسَ الى القداس فتحملُ المؤمنين جميعًا بعفويةٍ مثيرة الى الكنائس التي تغصُّ بالمؤمنين فيصدحُ من افواههم كالموج الهادر نشيد الفرح الطافح: «لقد ولد الطفل الإله».

٢) منذُ اجيالٍ يتكرَّرُ هذا الحدث، في هذه الليلة المظلمةِ الباردة من ليالي الشتاء تسبحُ ارضنا القديمة وسط النورِ والدفء... عندها ينتصبُ في

ضميرنا هذا السؤال: ما مصدرُ هذه القوة الخفية وهذا الفرح بالميلاد؟ وليس من جوابٍ آخر سوى ايماننا بالمسيح . هذا الإيمان المقدسُ الذي لا يتزعزعُ بأن طفلَ بيتَ لحم الصغير ليس كباقي الأطفال الذين ولدوا وسيولدون على وجهِ الأرض. **هذا الطفل هو الله بالذات** ، هذا الطفلُ الملفوفُ بالأقمطةِ هو الله ذو القدرة اللامتناهية. هذا المولود الجديد المغمورُ في مغارةِ بيتَ لحمَ هو إله العظمةِ.

هذه الكلمةُ المدهشة لم تنطق بها ابداً شفاهُ البشرِ من قبلُ. ليست هذه الكلمة مدهشة فحسب بل هي كافرةٌ أيضاً وتجديفٌ غبيٌّ اذا. . . اذا لم تكن صحيحةً.

وإن كانت صحيحة؟

ولماذا لا تكون صحيحةً؟ لماذا يتمرّد العقل البشري هكذا؟

لأننا لوحدنا لا يمكننا التوصل ابداً لأن نحلمَ بذلك ، لوحده لا يستطيع عقلنا البشري انْ يتصوّر مجيء الله الى ارضنا على هذا الشكل.

على هذا الشكل! ولكن اذا عرفنا ان اللّه لا يفكّر بعقلنا ، كيف يحقّ لنا اذن ان نملي عليه ماذا يجب ان يعمل وكيفية عمله. لقد شاءَ ان يخلِّصَ لا الاغنياء فقط بل الفقراء ايضاً ووضيعي الحال والضعفاءَ ؛ لذلك ولدَ طفلاً فقيراً ، وضيعاً وضعيفاً. لا ، لا يقلقني طفلُ بيتَ لحم الفقيرُ والوضيعُ. يقلقني ان يكونَ المسيحُ وُلدَ في ارجوانِ قصرٍ ملكي ، لأن مثل هذه الابهة تحجب عظمة اللّه. اما اصطبل بيت لحمَ؟ في الحقيقة لو اراد اللّه ان يأتي إلينا لما استطاع ذلك على غير هذا الشكل.

ولكن كثيرين لسؤ الحظِ ينظرون إلى المسيحِ دون ان يروه: لا يرون فيه اللّه الاتي ليسكن معنا.

٢

كيف ينبغي لنا ان ننظر الى المسيح؟

والآن اطرحُ السؤال الكبير: كيف يجدُرُ بنا ان نفكِّرَ بالمسيح؟ بأي عينين ينبغي ان ننظر الى المسيح؟ من يستطيعُ الاحتفالَ بسرِّ الميلاد كما ينبغي؟ من يستطيعُ ان ينشدَ من الصميم وبحقٍّ انشودة الميلاد العذبة «لقد ولد الطفل الإله»؟ الربُّ نفسهُ يجيبُ على هذا السؤال: «ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الاطفال لن تدخلوا ملكوت السماوات» (متى ١٨/٣) اذن من استطاع ان يرجعَ طفلاً وحده يقدرُ ان يرى بعينينٍ صافيتين المسيحَ وتعليمه.

وتراني افكِّر بهذه الرغبة الغريبة عند المسيح: ماذا تراه اراد ان يقول؟ ان نعودَ اطفالاً نحن البالغين؟ ماذا اراد سيدنا يسوع المسيح ان يقول اذن؟ من المؤكد انه اراد ما يلي: **١ ـ يجب ان ننظر الى العالم بعينَي طفل و٢ ـ ان ننظرَ اليه هو خاصة بايمان طفل.**

١ ـ ان ننظر الى العالم بعينَي طفل.

أ) الطفل يرى العالم كلَّهُ كأنه ساحة لعبٍ؛ كلُّ ما تصلُ اليه يدهُ، قطعةُ خشب او العوبة او حفنةُ تراب، كل ذلك يساعده على اللعب. والمسيحُ يريدُنا ان نتعلّم من الطفل امثولةً بالغةَ الحكمة. ما هي؟ هي ان كل معضلات الحياة اليومية من هموم الخبز اليومي ومعركة الحياة، الى المجتمع الذي نعيش فيه، ليست كلها سوى العوبة: فصل على مسرح الخالق الوسيع جداً. لربما كان لهذه الكلمات، وقعٌ مستهجن جداً للوهلة الأولى. مع ذلك فالامر كما قلنا: **الحياة لعبة كبرى**. في طفولتنا نلعب دور بيت لحم

البريء ، وفي سن الرُشدِ نلعب مأساةَ الآلام ، واخيراً ، وهو الاهم ، نمثّل بحضرة الله في السماء مشهداً ابدياً .

في المسرحية لا يتعلقُ بي انتقاء هذا الدور او ذاك ، اليس كذلك؟ ولن أحاسبَ على الدورِ الذي أكون لعبتُه بل على **طريقة لعبي الدورَ الذي أُعطيتُه**. ان اللّهَ المدير الأعظم لتاريخ العالم يوزّع على الناس مختلفَ الأدوار . فيجعلُ من هذا رئيسَ وزارةٍ ومن تلك اميرةً ومن الثالث «غجري» وليس لذلك كله كبيرُ اهمية . المهمُّ ان أحسنَ اداءَ الدورِ الذي أُعطيتُه في الحياة وان اقوم بالواجبات التي يقتضيها الدورُ مني ، وان اتمِّمَ الوصايا التي يطلبها الله من كل انسان .

ب) فهل لعبتُ الدور الذي اعطانيه اللّه **ام بالحري سعيت ان اكون كل شيء ما عدا ما اراده الله لي؟** هل قنعتُ بحالتي واجتهدتُ ان العبَ في محيطي الدورَ الذي اسنده الله اليّ ام بالحري حسدتُ دائماً حظَّ الآخرين بأقل نجاح لربما مَن الذي حققه راهبُ دير هايسترناخ . الم تسمعوا بقصةِ هذا الراهب القديم المليئة بالعبر حسبما دونها مخطوطٌ قديم علاه الغبار وحفظته وثائق الدير التاريخية؟

تخبرنا هذه الماجريات القديمة عن راهبٍ كان يعيش سعيداً وسط اخوتهِ الرهبان ، حتى اليوم الذي غطَّ فيه طائر مجهول في ساحة الدير وحرّك بتغريده الشجيّ عواطف الراهب ، ففكّرَ هذا بنفسه: «يجب ان اقبض على هذا العصفور!»

ولكن العصفور فرَّ من باحة الدير فلحقه الراهب . طار باتجاه الغابة فتتبّعه . وكان يتعقبه من مكانٍ لآخر متوغلاً في الغابة اكثر فاكثر . وغالباً ما ظن انه على اهبة القبض عليه . . . ولكن العصفور كان يفلت دائماً في آخر

لحظة. . . حتى توارى نهائياً عن الأبصار. ولم يبقَ أمام الراهب المسكين سوى العودةِ الى الدير. ولما وصل اخيراً الى الدير منهك القوى رأى الأخ البواب. . . فتراءى له هذا الأخير كأنه غريبٌ، كذلك باقي الآباء الذين لم يعرف منهم أحداً، لانه بينما كان يلاحق العصفور جاء جيلٌ جديدٌ اخذ مكانه بدل القديم؛ فقط بقيت الساقية التي كانت تتابع جريها كالمعتاد قرب الدير ولما انحنى فوقها ورأى صورته فيها لم يستطعْ ان يتعرف الى نفسه. . .

اليس اكثرُ الناس، ايها الأخوة، يسعون هكذا وراء السعادة؟ الا يرغبون ويجدُّون في طلب السعادة بلا هوادة؟ الا يشتهون دائماً ويحسدون الآخرين ويقلقون لسعادتهم؟ الا يفتش اكثر الناس بقلق عن مركزٍ آخر، عن وظيفة اخرى، عن مقامٍ اعلى، وعندما يبلغون امنيتهم تراهم مجبرين على الاقرار بأن الرصيف الآخر من الشارع يبدو انظف ولكن **يبدو** فقط، وأن الضفة الاخرى من النهرِ تبدو اكثر رونقاً ولكنها **تبدو** فقط.

لنتعلّم الحكمَةَ من الاطفال: لننظر الى العالم بروح طفل، لنلعب كأولاد الله الدورَ الذي اسندته الينا العنايةُ الإلهية: «ان لم ترجعوا وتصيروا كالأطفال لن تدخلوا ملكوت اللّه».

٢ ـ بهذه الكلماتِ المثقلةِ بالمعاني يطلب الرب منا ليس فقط ان ننظر الى العالم بعينَي طفل، بل اكثر من ذلك، ان ننظر اليه هو خاصةً بايمان طفل.

وها نحن نصل الى العبرة الأهم في عظة اليوم.

الم تلاحظوا ابداً قوة الإيمان التي تنقُلُ الجبالَ التي تشع من عينَي الولد؟ الولد لا يشكُّ بالايمان ولا هو من المرتابين: **الولد يؤمن بدينه عن اقتناع وتأكيد.**

«نعم ، تجيبون بتهكم ، صحيح ان الولد يؤمنُ باقتناع لأنه لا يُدركُ بعدُ **صعوبة اسرارِ الإيمان ولا يرى علامة استفهام الحياة القاسية»**.

أ) ان نؤمن بالمسيح ايمان طفل؟ آه ، لم أكن في طفولتي ادركِ **هولَ المعركة التي تدور رحاها حولَ المسيح**. لم اكن اعلم **ما يكتنفه من اسرارٍ تفوقُ العقلَ**. هل يكون طفلُ المغارةِ الذي يرتجف من البردِ هو سيدُ الكون؟ ياله من سرّ! ايكون هذا الانسانُ الذي يسقُط على الأرض في بستانِ الزيتونِ فيعرق دماً ، هو اللهُ الخالقُ؟ - يا للسرّ! أيكون هذا المنازعُ على الصليب ، متروكاً من الجميع ، هو الرب إلهي؟ - يا للسرّ! وهذه المعركة الهائلة التي تدورُ رحاها على الارض باستمرار ضد المسيح وتعليمه؟ - يا للسرِّ الذي لا يدرك!

نرتلُ في الميلاد «لقد ولدَ الطفلُ الإله» ولكن لماذا ؟ تقولون: الحياةُ حلَّت بيننا ، **الرب في وسطنا**. ولكن اين هو الربُّ المقيمُ بيننا؟ تقولون: الحياة حلَّت بيننا - ونشعر في كلِّ مكانٍ بنفحةِ الموتِ القاتلة. تقولون: لقد حلَّ الرجاءُ بيننا - وفي كل مكان نرى وجوهاً كالحةً وتعبة. تجولوا في الشوارعِ التي تضجُّ بالناس ، بأناسٍ لا يريدون سماعَ اي شيءٍ عن المسيح ، وتجدون في ثنايا نفوسكم رغباتٍ ومساعيَ وافكاراً واعمالاً تتجاهل وصايا المسيح .

لقد وُلدَ يسوعُ المسيح - ولكن اين انت يا يسوع؟ ارى من الداخل حياةَ كثيرين من الناس وارى من الخارج حياةَ المجتمع ، ارى الفنون والعلومَ وارى الدمار المخيف ، دمار الغرائز المنحطّة الجارفة. فاين انت يا يسوع؟

ما امرَّ هذا السؤال! **ومع ذلك!**

صحيح ، ان الحرب ضدَّ المسيح لم تهدأ منذُ الفي سنة ، ولكنها لا تستطيع ان تُزعزع ايماني ، بل بالعكس ، انها تزيده مناعة. مجرد ان يكون اسمُ المسيح تحدّى وحده عشرين جيلاً دُفِنَت كلُّها تحتَ الرمال ، فلم تقدر

البشرية ان تتقدمَ عليه في شؤون الساعة وانه يجب ان نكون معه او عليه، كل ذلك يبيِّنُ لي بوضوح ان المسيحَ لم يكن مجردَ انسان. هذا سيكون موضوعَ عظاتي الآتية.

اليوم اعطيكم مثلاً فقط.

لسنوات خلت اثار استاذ بروتسطانتي، اسمه دروز «Drews»، ضجةً كبرى عندما نشر في كل انحاءِ العالم اكتشافًا هامًا مفاده ان المسيح لم يوجد قط، وان شخصيته هي مجرّدُ اسطورةٍ ورواية. هذا نوعٌ من التهجُّمِ على المسيح.

مؤخراً حملت الصحف خبراً آخر مؤداه ان استاذاً المانياً وجد بقايا يسوع في قبرٍ في اورشليم. هذا نوع آخر من التهجُّم على المسيح. الأول يقول: المسيح لم يوجد قط. الثاني يجيب: على العكسِ لقد وجدتُ بقاياه بالذات. وبين هذين القطبين من هادمي الدين يقف معسكرُ المؤمنين بالمسيح الكبيرَ جداً. هناك مئات الملايين من الناس الذين يقدّسون حتى اليوم اسم يسوعَ ويجدون في صليبه القوة في متاعب الحياة، ويرفعون نحوه في ساعة النزاع عيونًا ملؤها الثقة.

فليقولوا ما شاءوا عن هذا الطفل العجيب. الواقع الأهم ان مئات الملايين يسجِدون امام المغارة كلَّ سنة، ومئاتُ الملايين يعبدونه اليوم ايضًا كربّ السمواتِ والأرض. وتُنشدُ مئات ملايين الناس في كلِّ انحاءِ العالم: «لقد ولد الطفل الإله».

هذا ما سنتكلّمُ عنه في هذه السلسلة الجديدة من الارشادات.

ب) ولكننا لا نزال نسمع مثل هذا التشكي! «آه، الطفل، نعم! **ولكن اين ايمان طفولتي**؟ أن اؤمن كما كنت طفلاً؟ ان اصلي قبلَ النوم ضامًّا يديّ امام سريري؟ بحرارتي الأولى، بثقتي القديمة؟ نعم، لو كانت الحياةُ اقلَّ

قساوة واكثر رأفة! . . . لو كانت ارضُنا لا تضجٌّ بهذه البشاعة! . . . ولولا تدخُّل العقلِ الذي يسأل باستمرار: لماذا؟ لماذا؟

انه تشكي الكثيرين من البالغين واني اودٌّ ان اهرع لتعزيتهم: انتم على حق ايها الأخوة، انتم على حق. الحياةُ مشحونةٌ بالشقاء والارض مليئةٌ بالبشاعة. انما لهذا السبب بالذات عليكم ان تسترجعوا ايمان طفولتكم لئلا تحطِّمَكم صعوبات الحياة وكيلا تتلطخوا باوحالِ الأرض. الطفل ايضاً يسأل باستمرار: لمَ هذا ولمَ ذاك؟ انتم ايضاً تطرحون نفسَ الاسئلة. تطرحون الأسئلةَ حولَ معضلات الايمان التي لا حلَّ لها. تفتّشون عن كلٍّ ما يناقضُ عقيدتَكم القديمة. لمَ هذا ولمَ ذاك؟

الايمان المسيحي يرتكزُ على هاتين القاعدتين: اؤمن بالله، واؤمن بيسوع المسيح ابنِ اللّه. كرست للاولى سنةً ونصف السنةِ من مواعظ الآحاد. الآن اريدُ التوقفَ عند الثانية. من هو طفلُ بيتَ لحمَ الصغير الذي يُخرجُ العالمَ كلَّهُ من عقاله كل سنة؟ **اؤمن بيسوع المسيحِ ابنِ الله**. سأحاول الإجابة على هذا السؤال في عظات متتالية: لماذا؟ بأي حقٍّ نؤمن بأن يسوعَ المسيح هو اللّه؟ وان كنا نؤمن بذلك فما هي نتائجُ ايماننِا؟ ماذا علَّمَ، ماذا اوصى وبماذا اعطى المثل؟

حتى اذا ما وصلنا الى نهاية هذه السلسلةِ من المواعظِ نستطيعُ القولَ: لقد وجدت من جديد ايماني القديم، ايمانَ طفولتي الطافحَ بالثقةِ والحرارةِ والحياة، فارى ان المسيحَ وحدَه يستطيع ان يكون ملكَ العالمِ وقائدَ البشرية، وان الانسان عندما يفقدُ ايمانه يتعرَّضُ حالاً للحَيرةِ والقلقِ والشقاءِ لأنه اضاعَ رأسَه، الذي هو المسيح.

* *

*

في الحـادي عشـر من تشـرين الأولِ من سنة ٣٦٨ مـسيحيـة حلّت بمدينةِ نيقيةَ كارثةٌ هائلة.

كانت مـدينة آسيـا الصغـرى الجميـلة تغطُّ في رقادها العـميق عندمـا ضربَ ارضَها زلزالٌ رهيـبٌ فأصبـحتِ المدينةُ بأجمـعهـا كومةً من الأنـقاض في ثوانٍ معـدودات. لقـد استـسلم الناس الـى رقـادِ الموت تحتَ ركـامِ الانقـاضِ في الأكـواخ كـما في القصور. بين القلّةِ اليـسيرةِ التي نجت، كـان حاكمُ المدينة سيـزاريوس الذي كـان وثنيًا. لقـد صارعَ الموتَ سـاعـاتٍ طويلة متـألمًا تحتَ الأنقاض؛ وبينما كان يتعذبُ في جسـده لمعت في نفسه كالبرقِ فكرةٌ اتخذها كـمقـصد. وعنـدما سُحِبَ من تحتِ الأنقـاض تراءت له جليًا حـياةٌ جـديدة: «وداعًا ايها العـالمُ الخادع! سأفتّشُ عن بيتٍ لن تتزعـزع اساساتُه ابدًا». اقـتبل سرّ العمـادَ ووزّعَ ثروتَه على الفـقراء، راغـبًا في تكريس حيـاته للّه بكاملهـا. ولقد اكتـفى الربُّ بحسنِ قصده، فـمرضَ سيزاريوس وبعد بضـعةِ ايامٍ فارق الحياة... مـات وهو لابس ثياب المعـمَّدين البـيضـاء (ميني: الآباء اليـونان، المجلّد ٣٥، ص. ٧٧٤).

اليـوم ايضًا تتـرنحُ الأرض تحت اقـدامـنا ايهـا الأخـوة، وكل شيءٍ حـولَنا يتـهدَّمُ... فلينجـلِ في نفس كل واحد منا، نحـن الذين نتألّم تحت انقـاضِ عـالمٍ منهـار، هـذا القـصـد المقـدس: «**وداعًا ايهـا العـالمُ الخـادع ويا حـيـاة الأرض! لن تكـوني في يديّ سـوى العـوبةٍ، سـوى وسـيلةٍ وليس الغـاية القـصوى. غـايتي القصـوى ان اصلَ إلى ذلك البيتِ الذي لا يتزعـزع: ان اصل الى سيدنا يسوع المسيح**». آمين.

من هو المسيح؟

إخوتي،

فوق هضبة يبلغ ارتفاعها ٩٠٠ متر عن سطح البحر يرى المسافر تمثالاً جباراً لدى اقتراب الباخرة من مرفأ ريو دي جانيرو. كلكم سمعتم بتمثال الحرية في نيويورك... ولكن ليس بينكم كثيرون رأوا تمثال المسيح البالغ ارتفاعه ٤٥ متراً، بذراعيه المفتوحتين صوب المدينة والمرفأ وكأنه يودّ ضمّ الجميع الى قلبه المحب.

لقد اقتضى لهذا التمثال سنتان من العمل. يلزمني انا ايضاً ان اعمل طوال سنتين تمثالاً آخر للمسيح بواسطة هذه السلسلة من المواعظ: ان ارسم في نفس مستمعيّ الأعزاء وجه سيدنا يسوع المسيح الكلي القداسة.

كانت عظتا الأحدين الماضيين بمثابة مقدمة لهذه السلسلة الجديدة لشرح قانون الايمان. في سنة ونصف تكلمت عن المقطع الاول من قانون ايماننا: «اؤمن بالله»؛ وسأكرس سنتين للمقطع الثاني: «اؤمن بيسوع المسيح».

بعد هذه العظات التمهيدية يمكننا معالجة المسألة الرئيسية والنقطة الأساسية والأهم: أؤمن بيسوع المسيح؛ **ولكن من هو يسوع المسيح**؟

هذه السلسلة الجديدة لا تقل اهميةً عن سابقتها. في الواقع من يؤمن بالبند الأول من قانون الايمان ليس مسيحياً بعد. من يكتفي بالقول: «اؤمن باله واحد آب ضابط الكلّ، خالق السماء والأرض» ليس مسيحياً بعد. **المسيحي هو من يؤمن بالوهية المسيح**. اذا كان الإيمان بالله مهماً جداً لحياتي الزمنية والأبدية فليس باقل اهمية ان اؤمن ايضاً بان المسيح اله.

في الواقع اذا لم يكن المسيحُ الهاً، ولا يشكّكم ذلك، فالمسيحية اذن خِدعةٌ، وأسفَه خدعةٍ على الإطلاق، ورّطت البشرية في الضلال وليست الحياة في هذه الحال سوى لُغزٍ وعذابٍ وجنون، او حسبَ تعبيرِ الكافرِ ڤولتير «مزحةٌ بشعة».

اما اذا كان المسيحُ الهاً، وقانون الإيمان صحيحاً فينبغي ان يحدث اذّاك تغييرٌ جذريّ في حياتنا وافكارنا وتطلعاتنا كما وفي نظرة البشرية كلها الى الحياة التي يجب ان تتوافق مع المسيحِ. فلو آمن العالمُ اجمع بالوهيةِ المسيح لتفجَّرت فيه ينابيع هكذا فياضة من الفرح بالحياة والنشاطِ في العمل، والسلام والحقِّ والمحبّةِ حتى لتُحلَّ دفعةً واحدةً كلُ معضلات الحياة التي تدمي المجتمع البشري بألوف الجراح.

من هو المسيحُ اذن؟ اطرحُ السؤالَ واجيبُ عليه ليس في عظةِ اليوم فقط بل في ستِّ عظاتٍ متتالية. لا يمكن حلُّ هذه القضية ببضع ثوانٍ؛ اريد بكل السبل ومن كلِّ الأوجهِ ان اعطي البراهين التي تسمحُ لنا بالقول في قانون ايماننا: اؤمن بيسوعَ المسيح ابنِ الله.

ليست عظةُ اليومِ سوى نظرة عامة الى هذا الموضوع، وهي جوابٌ على السؤالين التاليين:

١ ـ ماذا يقول الناس عن المسيح؟

٢ ـ ماذا يجبُ ان نقولَ نحنُ عن المسيح؟

١
ما قولُ الناس بالمسيح؟

ما قولُكم بالمسيح؟ (متى ٢٢/٤٢). الربُّ نفسه طرح السؤال ذاتَ يوم. ومنذ ان طُرِحَ السؤال للمرة الأولى منذُ عشرينَ جيلاً، لا يزالُ يتكررُ على وجهِ الأرضِ باستمرارٍ وعلى كلِ انسان ان يجيبَ عليه. المدهشُ حقًا في شخصيةِ المسيح انه لا يمكنُ تجاهلُه او المرورُ بقربه بغفلةٍ: بشكلٍ او بآخر يَجب ان نتَّخذَ منه موقفًا.

ليس امامَ الضباب سوى واحد من امرين: اما ان يرتفعَ متعاليًا فوق قمةِ الجبل او ان يتلاشى عليها. كذلك الصاعقة، اما ان تنزلقَ على جانب الصخر في البحرِ او تحولَه رماداً. هذه هي حالُ الإنسانِ مع المسيح: فاما ان يقف الى جانبه او ان يتمرَّدَ عليه. ان يباركَه او يَحقِدَ عليه. ان يسعد معه او يذهبَ الى الهلاك بدونه.

ان عظمةَ المسيح التي تفوقُ اطارَ البشر تتضحُ من كونِ الاحزابِ جميعها وكلِّ الاتجاهاتِ الروحيةِ في البشرية تريده من جهتِها.

ايَّ شيءٍ لم يقلْه عن المسيح اولئكَ الذين لم يجرؤوا على قولِ الكلمة الأخيرة: انه إله! قالوا انه ثائر... ان المسيحَ كان أولَ اشتراكي... ان المسيحَ كان شيوعيًا... ان المسيح كان نبيًّا... انه احكمُ انسانٍ عاشَ على وجهِ الأرض... انه المثاليُّ الأعظم. انه كان اعظمَ المعلمين... وهكذا دواليك.

ايَّ شيءٍ لم يقله الناس بعد عن المسيح!

فهل كان المسيحُ ثائرًا؟ هل كـان ثائرًا بالمعنى الذي يعطونه اليوم لهذه الكلمة؟ بمعنى مخرّبٍ ومدمّرٍ اعمى. بهذا المعنى لم يكن ثائرًا، اما اذا اعطينا هذه الكلمة معنًى آخر جيدًا، فلا مانعَ. صحيح ان عالمًا جديدًا بكليته ابتدأ مع المسيح، واننا بحق نعُدُّ السنين ابتداءً من تاريخِ ميلاده، وان طفلَ بيتَ لحم الصغيرَ اخرجَ العالمَ من عقاله، لهذا يُمكنُني ان اسمّيَ ذلك بحقٍ اكبرَ ثورةٍ في تاريخ العالم.

يكفي ان نعرف كيف كان العالمُ يفكّر قبلَ المسيحِ بالزواج والشرِّ والأولاد والعمل والحب وما علَّم المسيحُ حولَ هذه المواضيع. في العالم الوثني كانوا يبدّلون النساءَ كالثياب العتيقة. في العالم الوثني كان الأبُ يميتُ ابنه ساعة يشاء. لم يعرف العالم الوثني لا مياتم ولا مآوي عجزة ولا مستشفيات. كان باستطاعةِ السيّد الوثني ان يلقي عبيده طعامًا للأسماك في بحيراته. العالم الوثني كان يرى في العمل عيبًا وكان حق الأقوى والانتقام يسيطران على عالم الوثنية. فهل كان المسيحُ ثائرًا؟ من حيث الغى كل ذلك، فقد كان ثائرًا. ولكنِ كيف الغاه؟ الغاه بقوة المحبة والإقرارِ الواضح بمبدأ السلطة. بذلك كان اكثرَ من ثائر.

ان المسيح اراد بشريةً جديدة، اراد تغييرَ العالمِ القديم. لم يرد ان يُحطِّمَه بقوة خارجية، بل ان يغيِّر من الداخلِ حياةَ الإنسان. لم يكن تعليمُ المسيح مفجّرًا يخرّبُ ويدمّر، بل خميرًا يرفعُ ويُحيي. المسيحُ لم يشأ عالمًا اكثر سعادةً عن طريقِ نسفِ النظامِ الإقتصادي والإجتماعي القائم، بل شاء ان يخلقَ انسانًا افضلَ وانبلَ كي يستطيع مثلُ هذا الإنسان ان يُدشِّنَ نظامًا اجتماعيًا انبلَ واعدلَ. اذن لا نستطيعُ ان نسمّيَ المسيحَ ثائرًا الا اذ سمّينا ثائرًا ايضًا نورَ الشمسِ في الربيع الذي يبعثُ الحياةَ المبرعمة والفاعلةَ في قبر الطبيعةِ الشتوي.

٢) يأتي آخرون بعد ذلك ليقولوا ان المسيح كان «اولَ شيوعي». «**فهل كان المسيحُ شيوعيًا؟**» من المؤكد انه لم يكن كذلك بالمعنى الدموي والثوري لهذه الكلمة التي تزرعُ الرُعبَ في العالمِ المتمدن. الشيوعيةُ لا تعترفُ بحقِ الملكيةِ الفردية ولكن الربَّ اعلن انه لم يلغِ الوصايا العشرَ وبالتالي لا السابعة ولا العاشرةَ اللتين تحميان الملكية الفردية. لم يكنْ جميعُ تلاميذ المسيح من الفقراء بل كان بينهم من ميسوري الحال مثل مرتا والمجدلية، سالومي، ونيقودمُوس، زكّا ويوسف الرامي. الربُّ لم يحلمْ بنظامٍ اجتماعي يتساوى فيه الجميعُ بالممتلكات، بل قال صريحًا: «الفقراءُ عندكم في كلِّ حينٍ» (مر ١٤/٧)، وتعليمُه يتضمنُ تعابيرَ كثيرةً مثل: أجر، عامل، بيع، شراء، قرض، فائدة، مما يدلُّ ان المسيحَ لم يشجبِ النظامَ الاجتماعي القائم على الملكية الفردية.

ان لم يكن المسيح شيوعيًا فلا يعني ذلك انه وافق على توزيع الثروات الحالي بكل نقاطِه وعلى جورِ التركيبةِ الاقتصادية. **لم يكن المسيح شيوعيًا ولكنه لم يسمح بالإستئثارِ الأناني بالثرواتِ والإستمتاعِ غير المشروعِ بالملكيةِ الفردية.**

لم يعلن فقط «طوبى للرحماء فإنهم يُرحمون» (متى ٥/٣) ولم يُشرْ على الشاب الغني ان يوزّعَ ثروتَه على المساكين فحسب، بل بيَّنَ ايضًا بكلماتٍ موجعة ما اصعب دخولَ الأثرياءِ ملكوت السماء؛ اما في مَثَلِ الغني الشرير ولعازرِ الفقير، فالغنيُّ هو الذي يهلكُ مع انه لم يرتكبْ غيرَ خطيئة قساوةِ القلبِ نحو الفقراء.

فهل كان المسيحُ شيوعيًا؟ اذا كانت الشيوعية تعني القرصنة فالجواب: لا، اما اذا كانت تعني المحبةَ السخيةَ فالجوابُ نعم. اذا كانت الشيوعيةُ تعني:

ادخلْ بيتَ جارِك واسلبْه خبزه، فالمسيحُ لم يكن شيوعياً، اما اذا عنت: «إكسِر خبزَكَ للجائعين وأنزِل في بيتك من لا مأوى له» (أشعيا ٥٨/٧)، فالمسيح كان شيوعياً. اذا كان معنى الشيوعية: أسلب قريبك ثوبه، فهو لم يكن شيوعياً، اما اذا كان معناها: من له ثوبان فليعطِ من ليس له، فالمسيح كان شيوعياً؛ اذا كان معنى الشيوعية تنيناً متعطشاً للدماءِ والقتلِ فالمسيحُ لم يكن شيوعيا؛ اما اذا عنت طائرَ البجعِ الذي يَشُقُّ صدرَه ليقيتَ صغارَه من دمِه عندما لا يجد لهم مأكلاً، بهذا المعنى كان المسيحُ شيوعياً.

٣) من كان المسيح إذن؟ لم يكن ثائراً. لم يكن شيوعياً - من كان اذن؟ هل **كان معلماً لا نظير لحلمه وحكمته**؟ افضلَ انسانٍ انتظرته البشرية بفارغِ صبر طوال اجيال، فاذا بمجيئه يجمعُ الناس بمئات الملايين عائلة واحدةً يوم ميلاده؟ **هل كان المسيحُ انساناً، انساناً لا غير؟**

يكفي ايها الأخوة ان نعرفَ الناسَ معرفةً حقيقة كي نضطر الى الاعترافِ: **المسيح كان اكثر من انسان**. ان فيه سراً لا يدخل في اطار البشر. قال نابوليون: «صدقوني، انا اعرفُ الناسَ؛ اما يسوعُ المسيحُ فقد كان اكثر من انسان».

وُجِدَ قبلَ المسيحِ كما من بعده اناسٌ عظامٌ ولكنهم كانوا بشراً ليس الاَّ، لأنهم لم يقدِروا ان يغيِّروا انساناً واحداً او يجدّدوه روحياً. اما المسيحُ فلا يزال يمرُّ بيننا طوالَ عشرين جيلاً ومليارات الناس يفتحون له ابواب نفوسهم. فاذا الخطأةِ يصيرون قديسين والأشرارُ يرجعون عن شرِّهم والذين سقطوا تحت عبءِ الحياة ينهضون من جديد والذين مُنوا بمرضٍ عضال يستعيدون عافيتهم. اين هم الرجالُ الاعلام الذين خففّوا حقاً ولو وجعَ نفس واحدة؟

وها هو المسيح لا يزال منذ اجيال يلقي بلسم التعزية على النفوس الكئيبة . عند ينبوع القوة المحيية التي تتفجر من شخص المسيح بقوة لا تحصر ، هل نحتاج الى برهان اكثر اقناعاً بان المسيحَ لم يكن مجردَ انسان لا غير .

ولكن اليكم السؤال الآخر .

٢
ماذا يجبُ ان نقولَ نحن عن المسيح ؟

من كان المسيحُ وماذا اراد؟ هذان هما الموضوعان الكبيران لكل هذه السلسلة من المواعظ .

من هو المسيح؟ «هو ابن الله» . ماذا اراد؟ «اراد ان يخلِّصَنا» . يا له من سؤالٍ سهلٍ ، يا له من جوابٍ معروف! ـ ولكن سنرى المنجم الذي لا ينضبُ ذهبُه ، الذي تحويه هذه الفكرة الدينية السامية .

ليس عندنا ما نخافُه وليس لدينا ما نخفيه ، لأن ايمانَنا صافٍ كالبلّور .

ـ من هو المسيحُ ؟ المسيح اله وانسان .

ـ إله؟ كيف تعرفُ ذلك؟

ـ هو نفسه قال لنا ذلك .

فليكنْ ، هو قال ذلك . ولكن هل يمكنُ ان نصدِّقَ بمثل هذه البساطةِ شيئاً لم يُسمع بمثله؟

لا ، لا يمكن ان نصدّقَ «بهذه البساطة» . ولكن من عَملَ الاعمال التي عملها هو ، ومن كانت **اخلاقُه وحياتُه وشخصيتُه** شبيهةً باخلاق وحياةِ وشخصيةِ المسيح يمكنُ تصديقُه نعم .

في عظةِ الاحد القادمِ سنفتحُ الأناجيلَ وحيثما نقرأُ كلماتِ الربِّ يمتلكنا شعورٌ بأن من يتكلّم هنا بكل هذين التأكيد والقوة هو، بلا شك، سيدُ الحياة. وسأتكلم عن ذلك في العظاتِ الثلاثة المقبلة:

المسيح إله، هو قال ذلك عن نفسه؛ المسيح هو الله: اعماله تشهد له؛ المسيح إله اخلاقه تشهد على ذلك.

لنواصلْ كلامَنا،

من كان المسيح؟ نسأل مرّةً اخرى.

إله وانسان ـ نجيبُ من جديد.

إله؟ كيف تعرفون؟

نعرف مما علمتنا الأجيال العشرون. مليارات الناس آمنوا بالوهية المسيح منذ عشرين جيلاً، ولا يزالون يضحّون في سبيله برغباتهم الزمنية ومراكزهم ونجاحاتهم؛ لقد استمدوا القوة بالقرب منه في كل معارك الحياة، ان غيابه عن مسرحِ العالم يعني خطر الموتِ ـ لا يمكن ان يكون واحداً كباقي الناس. المسيح اله.

لقد كتب نيتشه Nietzsche هذه الكلمات التجديفية عن قائدنا الأول: «عندما نسمع صوت الأجراس نهار الأحد نتساءل: هل هذا ممكن؟ وكل ذلك لأجلِ يهودي صُلبَ منذ الفي سنة مدعياً انه ابنُ الله. ولكن هذا الادّعاءَ يفتقرُ الى ابسطِ البراهين».

لم يدرِ هذا الوقح انه كان يناقضُ نفسهَ. في الواقع لو لم يكن هناكَ بعد الفي سنة سوى رنين الأجراسِ هذا كبرهانٍ على الوهيةِ المسيح لكفى. هل

يمكننا ان نفهم كيف استطاع اسمُه ان يتحدَّى مدافنَ التاريخِ منتصراً، لو كان المسيحُ مجردَ انسان؟ سأتكلم عن ذلك في ثلاث عظات متتالية. المسيح إله: التاريخ يشهد.

٢) سيكون هنالك اذن ستُّ عظات عن هذا السؤال: هل المسيح إله؟

اتكون المسألة بهذه الأهمية؟

طبعاً. لأن بها تتعلق كل أهمية المواعظ التي تليها.

لا يكفي ان نسميَ المسيحَ احكمَ رجلٍ في العالم؛ لا يكفي ان نسمِّيه المعلِّم الأودعَ، والإنسانَ الأكثرَ اخلاصاً والمثاليَّ الأكبر. كل ذلك لا يكفي ان لم أُضِفْ: «**انت هو المسيح ابن الله الحي**».

في الواقع ان كان المسيح الهاً حقاً فكل ما يتعلقُ به يصبح غير ما هو عليه ان لم يكن الهاً.

صحيح ان **تعليمه** يبقى على جماله وتأثيره، ولكن ان كان مجرد انسان فإنني استطيع ان انتقي من كلماته وتعليمه ما يوافقُني؛ اما اذا كان إلهاً فعليَّ ان اؤمن بتواضع بجميع كلماته.

صحيح ان **وصاياه** تبقى على اهميتها إن هو الاّ انسان فقط ولكني في هذه الحال استطيع التملُّصَ منها والهرب من امامها عندما تبدو صعبة وتحزُّ في النفس. اما اذا كان المسيح إلهاً فالله بالذات من يعطي هذه الوصايا وعلي اتباعها بكل دقة حتى ولو كانت صعبة.

ان كان المسيح الهاً **فتهديداته** هي أكثر هولاً. ان كان المسيح الهاً **فمواعيده** تصبح اكثر عزاءً. ان كان المسيح الهاً **فمثله** يصبح اكثر جاذبيةً، وبالاخص اذا كان المسيحُ الهاً **فاقتبال الألمِ** بالنسبة لي يصبح مباركاً واجزلَ فائدةً.

اجل الآن ادرك، ان بالوهية المسيح تقوم او تسقط الديانةُ المسيحية برمتها. الآن اعلم لماذا قاستِ المسيحيةُ منذُ بدايتها معارك داميةً وخاضت حروباً روحية ساخنة حول هذه العقيدة، وفضلت ان ترى قطاعات واسعة تنفصلُ عن جسمها كلياً قبل ان تكفر بالوهية المسيح. الآن ادرك لماذا تتمسك المسيحية بهذه العقيدة بكل هذا العناد.

في الحقيقة ان كان المسيح ليس الهاً فهو على الأكثر بطلُ الايمان ولكنه لا يستطيع ان يكون مخلصَ العالم.

ان كان المسيحُ ليس الهاً فبامكاننا عندئذ ان نضعه في مصاف مؤسسي الديانات الأخرى مثل بوذا ومحمد وكونفوشيُس وهو ليس اكثر من رقم في مجموعة كبرى.

اذا لم يكن المسيح الهاً فما مصير رسالته المعزّية: «من غفرتم خطاياه غفرت»؟

اذا لم يكن المسيح الهاً فما معنى كلامه انه سيعود يوماً ليدين الأحياء والأموات؟

نعم، اذا لم يكن المسيح الهاً فالمسيحية قد انتهت. ولكن المسيح اله.

ولأنه إله فاننا نسجد له في احزاننا صارخين: «نجنا يا رب فاننا نهلك».

ولأنه إله فاننا ننوح امامه بنفس تائبة: «ارحمني يا رب لأنني رجل خاطئ».

لأنه اله فهو مخلصنا ولأنه انسان فهو اخونا؟ وكإله انسان هو معلمُنا ومخلصُنا الذي يجذُبنا جميعاً الى صليبه... وكلُّنا نسجدُ امامه مصلّين هكذا: « **يا يسوع لأجلك نحيا ولأجلك نموت. في حياتنا ومماتنا نحن لك** ».

* *
*

اخوتي ، في ذلك الفصل من السنة الذي فيه تقصُرُ الأيام وتطولُ الليالي ، في الواحد والعشرين من كانون الأولِ تعيّدُ الكنيسةُ عيدَ القديسِ توما «الرسولُ المرتاب» .

ليس من الضروري ان اتكلم باسهاب امام سكان مدينة كبرى عن ايام كانون الأول التي يخيمُ فيها الضباب الخانق . هنا في بودابست تكثر مثل هذه الأيام: السماء ملبدة بالغيوم السوداء والضبابُ كثيفٌ حتى ليُقطعُ بالسكينِ ويضغطُ على الرئتين وعلى النفْس فيقطع الأنفاس .

يومَ الجمعةِ العظيمة كان يُخيّمُ مثل هذا الضباب على نفس القديس توما . الرب مات . كم من آمال عقدها عليه! اي ثقة كانت له به . الآن انتهى كل شيء . . . لقد مات . . . بالإضافة قد ختموا القبر ايضاً . كان ضباب الشك يشدُّ الخناق على نفس القديس توما .

ولكن المسيحَ ظهرَ ، في الفصح ، للرسلِ بعد قيامته من الموت ، اما توما فلم يكن معهم ، زفَّ اليه رفاقه البشرى السعيدة فلم يصدِّقْهم .

لا اصدِّق ، لقد سمعتُ الجمعَ يرميه بالشتائمَ والتجاديف . عرفتُ كذلك انه صَرَخَ من على الصليب: «إلهي ، إلهي ، لماذا تركتني؟» . لقد رأيته يُسلِمُ الروحَ على الصليب . لا اصدِّقُ ، لا اقدرُ ان اصدق .

يا لضبابِ كانونَ الأولِ الرهيبِ والخانقِ!

ان عيد هذا الرسول المرتاب في ايمانه ، يقعُ ، يا للغرابةِ ، في هذه الأيام بعينها التي تضع فيها الكنيسة ايماننا على المحك . عيد الميلاد يقعُ بعدَ عيد القديس توما بايامٍ قليلةٍ ويلزمُنا ان نسجدَ امام سرٍّ لا يدركُ ، امام اللهِ المولودِ طفلاً صغيراً لا حولَ له ولا قوةَ على الكلام ويلزمُنا ان نؤمنَ بان طفلَ مغارةِ بيت لحمَ الصغيرِ هو الله الحال فينا .

لقد انحسرَ الضبابُ القاتلُ عن نفسِ القديس توما المشكِّك عندما ظَهَرَ سيدُنا يسوعُ المسيح مرةً أخرى بعد ثمانيةِ ايام ، فصرخ القديسُ توما بتأثرٍ بالغٍ: «ربي والهي!» .

ايها الربُّ يسوعُ! ان عالمَ الإيمان يدورُ باستمرارٍ حولَ الواحدِ والعشرين من كانونِ الأولِ في نفسِ انسانِ اليوم . ما احلكَ ظلام حياتنا ، كم من ضبابٍ وكآبة ، كم من هجماتٍ على ديننا وايماننا! لا تسمحْ ايها الربُّ بذلك! بل أشعَّ نورَكَ بواسطة هذه المواعظ التي تتكلَّمُ عنك . **ساعِدْنا ان نرى مَن انت ، قدِّرنا جميعًا ان نقولَ مع القديسِ توما المرتدّ: اؤمنُ بك ايها المسيحُ ربي وإلهي!** آمين .

المسيح اله: البرهان من كلامه

إخوتي ،

يُلفتُ القديسُ بطرس انتباهَنا في رسالته الثانية الى أمرٍ فريدٍ. لقد كَتَبَ: «انموا في النعمة وفي معرفةِ ربِّنا ومخلِّصِنا يسوع المسيح» (٢ بطر٣/١٨). كأنه يقول: لا يكفي ان تعرفوا عنه هذا الشيءَ او ذاك بل اجتهدوا ان تعرفُوه اكثرَ فأكثرَ وان تغوصوا في التأملِ بالمسيح ، لأن في ذلك السعادة او الشقاء ، الوجودُ اوالعدم ، الحياةُ اوالموت .

سأحقق كلمات القديس بطرسَ هذه مكرساً ستة آحادٍ من الإرشادات لهذا السؤال فقط: **من هو المسيح**؟ والربّ نفسُه اجاب على هذا السؤال عندما سأل تلاميذَه «وانتم من تقولون اني هو؟» فنجيبُ مع القديسِ بطرسَ الناطق باسمِ باقي التلامَيذ:« انت هو المسيحُ ، ابنُ اللّه الحي» (متى ١٦/٦) هذا هو جوابُنا ، نعم ، ولكن كيف نعلمُ ذلك؟ نؤمنُ ونؤكِّدُ ان المسيحَ هو الله ولكن ما هي اسباب هذا الإيمان؟

نؤمنُ بذلك اولاً لأنه هو قال ذلك عن نفسه باساليبَ مختلفة وهذا سيكونُ موضوعَ عظتي اليوم: **شهادة المسيح عن نفسه** .

ونؤمنُ بذلك ايضاً لأن اعمالَه تبرهنُ ذلك كما سنرى في الأحدِ القادم .

وايضاً نؤمنُ بذلك لأن اخلاقيةَ المسيحِ وشخصيتَه يلقيان الضوءَ حول هذا الموضوع . وسيكونُ ذلك موضوعَ العظةِ الثالثة . وسنسألُ التاريخَ ما قولُه في المسيح ، في ثلاث عظاتٍ متتالية . انه لخارقٌ هذا الإيمانُ الذي تنادي به المسيحية: المسيح هو الله . انه خارقٌ ولكنه لا يخلو من اساسٍ.

هذا ما نُنادي به. هذا ما نُؤمنُ به لأننا لا نستطيعُ ان نفعلَ غيرَ ذلك بسلامةِ تفكيرنا.

لنبحثِ اليومَ اذن السؤال الأول: **ماذا يقولُ المسيحُ عن نفسه؟** هل قال انه ابنُ الآب السماوي الوحيد؟ هل قال إنه ابنُ اللّه؟

١
المسيح هو «ابنُ الانسان»

أ) هذا السؤال الأولُ يستوقِفُ بسهولة من تعوَّد قراءةَ الكتابِ المقدسِ. في كل صفحة نجد عبارة «غريبة» في فم الرب نفسه تبانُ وكأنها تناقضُ الوهية المسيح. نسمعُ من فمِ المسيح ٨٢ مرّة في الأناجيلِ الأربعةِ هذهِ العبارة المحيِّرة بأنه «ابن الانسان»: و«ابنُ الإنسانِ ليسَ له موضعٌ يسندُ اليه رأسَه» . . . «ابنُ الإنسانِ سيتألّمُ» . . . «وسترون ابنَ البشر آتيًا، بمجدٍ وقوةٍ عظيمين» . . . الخ.

مَن هذا « ابنُ الانسان » ؟ لماذا يسمي الربّ نفسه بهذا الأسم؟ انه مصدرُ صعوباتٍ بالنسبة لإنسان اليوم عندما يقرأُ ان المسيحَ نفسه سمّى ذاته ابن الإنسان، وقد يفكِّرُ اكثرُ من واحدٍ: « الا ترون هو نفسه يعتبر ذاته انسانًا فقط».

مع ذلك ليس الأمرُ كما نظنُّ ابداً. لربما يعسُرُ علينا نحن فهم مثل هذه العبارة، اما اليهودُ فقد كانوا يعرفون جيدًا ماذا تعني. جميعُ مستمعي الرب كانوا يعرفون هذا المقطعَ من سِفر دانيال الذي يتكلمُ فيه النبيٍّ عن عهدٍ جديدٍ في تاريخ العالم (دانيال ١٣/٧). يرى دانيال في رؤياه من هو «بشبه ابن

الإنسان» آتياً على سُحُبِ السماء، اعني بقدرة الهية، له تسجدُ جميعُ الأمم والشعوب؛ سُلطانُه ابدي وملكُه لا يزول. هكذا تكلمَ دانيالُ عن المسيحِ الآتي. كان اليهودُ يعرِفون جيداً رؤيا دانيال هذه، وعندما كان الربُّ يدعو نفسه «ابن الإنسان» كلٌّ يهودي كان يفهمُ حالاً انه يشيرُ الى تحقيقِ نبوءة دانيالَ.

ب) وحتى من لا يعرفُ هذا التعبيرَ الكتابي المستعارَ من النبي دانيالَ يستطيعُ ان يعرفَ مِن تعابيرَ أخرى للربّ **انه يتميزُ عنا نحن البشر بوضوح كلي**.

ان المسيحَ الذي شابَهَ البشرَ في كل نمطِ حياته والذي كان انساناً مثلنا في كل شيء (ما عدا الخطيئة)، عندما كان يعلِّمُ تلاميذَه بما يختصُّ به لم يضع ذاتَه في مصافِ الآخرين ولم يعتبر نفسه كواحدٍ منهم. وهذا مهمٌّ جداً. في كلامه عن اللّه يقول: «ابي» وفي ما يتعلّق باللّه يقول دائماً «أبوكم» كما لو اراد القول: ان الله ابي كما هو ابوكم ايضاً، ولكنني ابنُ اللّه غيرَ ما انتم ابناءُ اللّه. عندما سأله الرسل ان يعلّمهم الصلاة، قال: «اذا صليتُم قولوا هكذا: «ابانا الذي في السموات» (لوقا ١١/٢). انتم تقولون: «ابانا» اما انا فلا اقول: «ابانا». وفي مناسبة أخرى يقول: «اصعدُ الى أبي وابيكم» (يوحنا ٢٠/١٧) وفي غير مكان ايضاً: انه ابي... الذي تقولون انه إلهكم» (يو ٨/٤٥).

كلٌّ ذلك يبيِّن ان الله هو ابُ سيدِنا يسوعَ المسيح غيرَ ما اعتدنا نحن ان نسمّي الله ابانا.

من الطبيعي انه لو لم يكن عندنا غيرُ هذا البرهانِ لما كان كافياً اطلاقاً. ولكن هناك اشياء أُخر. لنأخذْ بيدنا الأناجيلَ الأربعةَ فنجد فيها مجموعةً من كلامِ الربِّ التي لا تدعُ مجالاً للشكِّ بأن المسيحَ اعتبرَ ذاتَه إلهًا بشكلٍ قاطع.

سأتلو بحسبِ الوقتِ المعطى لي كلماتِ الربِّ الرئيسيةِ فقط؛ فلو اردتُ ان اذكرَ كلَّ شيءٍ لاضطررتُ ان اقرأَ الأنجيلَ بكامله لربما.

٢

للمسيح نفسُ طبيعةِ الآبِ السماوي

أ) سأقرأُ اولاً **اقوالَ** المسيح التي بها يعلنُ بوضوحٍ **ان له نفسَ طبيعةِ الآب السماوي.**

ذات يومٍ رجعَ الاثنان والسبعونَ من رسالتِهم واخبروا المسيحَ كيف كانت الشياطين تخضعُ لهم باسمِه. عندئذٍ طارتْ من فمِ المسيح انشودةُ التسبيحِ هذه كزقزقةِ القُبَّرةِ الصباحية المرتفعةِ في الفضاءِ: «كلُّ شيءٍ دُفعَ إليَّ من أبي؛ ولا احدٌ يعرفُ الابنَ الا الآبُ ولا احدٌ يعرف الآبَ الا الابنُ ومن يريدُ الابنُ ان يبيّن له» (متى ١١/ ٢٧)، من يفكِّرُ مليًّا بهذه الكلمات بهدوءٍ وسكينةٍ لن يخالجه شكٌّ بان المسيحَ اعتبر ذاته من نفسِ طبيعة اللّه. وقد جدَّدَ المسيحُ هذا القول في اللّحظات الأخيرةِ من حياته وهو قولٌ لم ولن يقلْهُ انسانٌ عادي بكاملِ عقلِه: «لقد أُعطيتُ كلَّ سلطانٍ في السماء والأرض» (متى٢٨/١٨).

وعندما كانوا يحيطون به، ذات يوم، سألوه وكأنّهم يحرجونه: «إن كنتَ أنتَ المسيحَ فقلْ لنا صراحة» (يو ١٠/٢٤). عندئذٍ رَفَعَ ربُّنا صوتَه، معلناً بجلالٍ لا مثيل له كيما تسمعَه جميعُ الأجيالِ والأمم كافة: «أنا والآبَ واحدٌ» (يو ١٠/٣٠). لم تسمعْ أرضُنا القديمةُ مثل هذه الكلمات. لا إله إلاّ اللّه ولا

شيءَ آخر في العالم كُفُوٌ له ـ أمّا أنا فإنني والله واحدٌ. واحدٌ لا في القـدرة فقط، لا في المعرفة فحسب، بل واحدٌ في الطبيعة، واحدٌ في الحياة الإلهية.

وفي مكانٍ آخر يقول: «إنّ الآب فيَّ وأنا في الآب» (يو ١٠/ ٨). وعن ذاته يؤكّد أنّه كان مع الآب قبلَ مجيئه الى هذا العالم (يو٣/ ١٣) وكان قبل خلقِ العالم مشاركًا في مجد الآب (يو ١٧/ ٥)، وحتى «قبل ان يكون ابراهيمُ انا كائن» (يو ٨/ ٥٨).

فاذا لم يعتبر المسيحُ نفسَه من ذاتِ طبيعةِ الآبِ فباي حقٍّ استطاع القولَ: «من رآني فقد رأى الذي أرسلني» (يو ١٢/٤٥)، وعندما تطلَّعَ فيليبّسُ نحو المسيحِ طالبًا منه ان يُريَه الآب؛ بأي حق استطاع الجواب: «يا فيليبوس من رآني فقد رأى الآب، فكيف تقول: ارنا الآبَ؟ الا تؤمنُ انني في الآبِ وان الآبَ فيّ؟» (يو ١٤/٩ ـ ١٠).

ب) لنتابعْ ايها الاخوةُ. في **امثاله** ايضًا يتكلَّمُ جليًا عن مقامِه الإلهي! في مَثَلِ الكرامينَ القتلة، يدعو نفسَه ابنَ سيِّدِ الكرمِ وهو يعني بسيّدِ الكرمِ الله ذاته وهذا واضحٌ (متى، فصل ٢١) وفي مثل وليمة العرسِ (متى، فصل ٢٢) المسيحُ هو ابنُ الملكِ السماوي. لقد سأل هو نفسُه ذاتَ يومٍ الفريِّسينَ عن رأيهم بالمسيح، ابنُ من هو؟ فأجابوه: ابنُ داوود. فقال الربُّ لهم ان داوودَ كتبَ في احد مزاميره (١٠٩) ان المسيحَ الآتي هو ربُّه. يعني انه من نسل داوود بحسبِ الجسدِ ولكنه اكثر من ذلك بكثير، (متى، ٢٢/٤١).

ج) من جهة أخرى اعطى الربُّ ذاته امتيازاتٍ **لا يمكن فهمها الا اذا اعتبر ذاته من نفس طبيعة الله.**

هاكم على سبيلِ المثلِ موقف المسيح من **وصايا الله**. في انجيل القديس متى، الفصل الخامس، يقول الرب مراراً: «سمعتم انه قيل للأولين لا تقتل... اما انا فأقول لكم..» ويكرر الكلام عينه بخصوص الزواج والحلف والأنتقام ومحبة القريب. الربّ يكرّرُ ستَّ مراتٍ بجلالٍ ومهابةٍ: «اما انا فاقولُ لكم». وكلام الربِّ هذا يتعلّقُ بجوهرِ الشريعةِ الموسوية. هو اللّهُ من اعطى موسى الشريعة. فمن هو المسيحُ اذن ومن اعتبر ذاته حتى يجرؤَ على توسيع هذه الشريعة؟ الم يعلنْ بذلك انه فوق الشريعةِ لأنه من ذاتِ طبيعةِ من اعطى الشريعة اعني اللّه. هو اللّهُ من تكلمّ قديمًا على جبل سينا، وهو اللّهُ ايضًا من يتكلّمُ الآن على الجبل. ما من نبي جَرُؤَ على مثلِ هذا القولِ، كلُّهم كافحوا في سبيلِ المحافظةِ على شريعةِ موسى، فلم يفكروا بشريعةٍ جديدة. كان الأنبياء يبدأُون كلامهم: «هكذا يقول الربّ...» اما المسيح فيبدأ كلامه: «اما انا فأقول لكم». يا للبونِ الشاسع!

من المعروف جيداً ان اليهودَ كانوا يحافظون على استراحةِ السبتِ بكثير من الأحترام والوسواسِ وكان الربُّ يعلِّقُ هذه الشريعة كلما رأى ذلك مناسباً. وكان اليهودُ يغضبون ويتعنَّتون ولكن المسيح كان يواجِهُهُم بحزمٍ: «إن ابن البشرِ هو ربُّ السبتِ ايضاً» (متى، ١٢/٨).

لم يُسمع قط مثلُ هذا الكلام من فم انسان. لقد فهم اليهودُ جليًا إن المسيحَ اراد أن يثبت بذلك انه اللّه.

ولما شفى يوم السبت ذلك المريضِ منذ ثمان وثلاثين سنة، برّرَ خرقه شريعة السبتِ لإن اباه السماوي يعملُ يوم السبت ايضاً (بحفظ العالم)، فهو كذلك مثلَه يعمل (يو ٥/١٧).

«الآب لا يدينُ احـداً. ولكنه اعطى الحكم كله للأبـن. . . من لا يكرم الابنَ لا يكـرمُ الآب الذي ارسله» (يو ٥/٢٢ ـ٢٣) مـا مـعنى ذلك سـوى التأكيد الواضح لألوهيةِ المسيح من فم المسيح ذاته؟

وعندما يقـول ان الآب سيُرسلُ الروحَ القـدسَ باسمِهِ (يو ١٤/ ٢٦) وان الروحَ القدسَ يمجِّدُ المسـيحَ (يو ١٦/١٤) الا يدلُّ ذلك عن امتـيازاتٍ هي من خصائص الله وحده؟

٣

مواعيد المسيح وتهديداته الإلهية

لنتـابع ايهـا الأخـوة. المسـيح اعـتبـر ذاتـه إلهاً وهذا واضح من **مواعيده وتهديداته**. فلو لم يعتبر نفسه من ذاتِ طبيعةِ الآب فـكيف استطاع ان يطلب لشخصه محبة واخلاصاً لا يَجبان إلا للّهِ وحدَه.

وهو قد طلبَ ذلك.

«من احب ابًا او اماً أكـثَر مني فلن يسـتـحقّني ومن احب ابناً او ابـنةً اكثـر مني فلن يستحقني»(متى ، ١٠/٣٧).

هل جرؤَ احدٌ في هذا العالم ان يطلب من الناس ان يحبوه اكثر من نفسهم وذويهم؟

وفي مكان آخر يقول:«انا هو الطريق والحق والحياة»(يو١٤/٦). ان اعظم فلاسـفة الـعالم فـتشـوا عن الطريق فقط وطلبـوا الحقـيقـة، فاضطروا في نهـاية المطاف ان يُقرّوابحسـرة: الخطأ من طبيعة الأنسان. وهـا هو المسيح يقول عن نفسه انه الحقيقة صارت جسداً والطريقُ الوحيدُ والحياةُ الأبدية.

ثم تلك الكلماتُ المشبعةُ تأكيداً حول الدينونة الأخيرة! يقولُ المسيحُ عن نفسه انه سيأتي يوماً ليقررَ مصير الإنسان الأبدي وان دخولَ السعادة الأبدية منوط به كما والهلاك الابدي.

فلو لم يعتبر المسيحُ نفسه إلهًا فهل كان بوسعه ان يطلبَ تجاه شخصه مثلَ هذا **الإيمان المطلق والدقيق** معلقًا عليه الحياة الأبدية ذاتها؟ «من يؤمن بالأبنِ فله الحياةُ الأبديةُ ومن لا يؤمنُ بالإبنِ فلن يرَ الحياةَ ولكن غضبَ الله مستقرٌ عليه» (يو ١١/٢٥) فهل تجاسر انسان عاقل أن يقول ذلك عن نفسه؟

لو لم يعتبرِ المسيحُ ذاته الهًا فبأي حق استطاعَ ان يعدَ ملكوتَ السماء لمن يتبعونه ويهدِّدَ بالهلاك الأبدي من لا يؤمن به ؟ «الحق اقول لكم انتم الذين تبعتموني ، متى جلس ابنُ الأنسان على عرشِ مجدهِ في العالمِ الجديدِ تجلسون انتم على اثني عشرَ كرسيا وتدينونَ اسباط اسرائيل الاثني عشرَ. ومن تركَ لأجلي بيتًا او اخوةً او اخواتٍ او ابًا او أمًّا او امرأةً او بنينَ اوحقولاً ، ينالُ عوضَ الواحدِ مئة ويرثُ حياةَ الأبد» (متى ، ١٩/ ٢٨-٢٩). كيف يجرؤُ **انسان** ان يقول ذلك عن نفسه.

اما الويلُ فللذين لم يؤمنوا بالمسيح! « لأن ابنَ البشر سيأتي في مجدِ ابيهِ مع ملائكتهِ القديسينَ وعندئذٍ يجازي كل امرئٍ بحسب اعماله» (متى١٦/٢٧) ايُّ انسان جرؤَ على التفوّهِ بمثل هذا الكلام؟

إن كان المسيح في عيني نفسه ليس مجرد انسان فمن اعتبر ذاته اذن؟ ملاكًا؟ لا ، بل اكثر بكثير. يكفي ان نقرأ كيف جاءت الملائكة تخدمه بعد التجربة (متى ، ٤/١١) وللقديس بطرس عندما قطَعَ اذنَ خادم رئيس الكهنة قال صريحًا : «اتظن انني لا استطيعُ ان اطلبَ من ابي فيرسل لي الآنَ اثنتي عشرةَ جوقةً من الملائكة؟» (متى ، ٢٦ / ٥٣). من هو المسيحُ اذن في

عيني نفـســه ؟ والآن نصــل الى اكثر اقواله وضوحًا : تأكـيدُه القطعيُّ بانه هو المسيحُ .

٤
المسيحُ هو الله المخلِّصُ

ان يكونَ المسيحُ قد اعتبرَ ذاته اعظمَ من انسان فهذا واضحٌ من **وعيه رسالته الخلاصية**. غالبًا ما كان ينبئُ بموتِه وآلامه **ليأتي موتُه بمثابة تكفير عن خطايا العالم**. «هكذا احب الله العالم حتى بذل عنهم ابنه الوحيد كيلا يهلك كل من يؤمن به بل تكونُ له الحياةُ الأبديةُ» (يو٣/١٦). وفي مكان آخر: «ان ابن البشرِ لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدُم ويبذُلَ نفسه عن كثيرين» (مر١٠/٤٥). «هذا هو دمي، للعهد الجديدِ الذي يهراقُ عن كثيرين لمغفرةِ الخطايا» (متى ٢٦/٢٨). مَن مِن الناسِ في هذا العالم تجاسرَ على الإدعاءِ بأن دمَه سيطهرُ البشريةَ من خطاياها ؟ باستطاعةِ الدمِ على الكثيرِ ان يلطّخ الثيابَ والضمائرَ. فالذي يؤكدُ ان دمه يصعد نحو عرشِ اللّه ويمحو الخطايا التي اقترفتها مئات مليارات الناس فهو قد أكدَ بوضوح انه ليس انسانًا كباقي الناسِ.

ان هذا الوعيَ يبلُغُ ذروتَه في **الشهادةِ العلنيةِ امامَ رئيسِ الكهنةِ**. المسيح واقف امام قيافا. **يحيطُ به** شهودُ الزورِ. لقد هيَّأ اعداؤه كلَّ شيءٍ ليُعطوا حكمَهم صبغةَ الشرعية ؛ ولكنَّ مخططَهم الجهنمي لن يكتبْ له النجاحُ، شهودُ الزور يناقضون بعضهُم بعضًا ومخططهم آخذٌ بالإنهيار. . . عندها وقفَ رئيسُ الكهنةِ وبصوتٍ احتفالي مهيب طرحَ عليه السؤالَ الذي يتعلقُ به مصيرُ المتهمِ: «استحلفك بالله الحي ان تقولَ لنا أأنت هو المسيحُ ابنُ اللَّهِ؟» (متى٢٦/٦٣).

لقد أَتتِ اللحظةُ الحاسمة والرب يجيبُ بهدؤ: «انت قلت» يعني «هذا صحيحٌ» . عرفَ الربُّ انه بذلك يحكُمُ على نفسهِ بالموتِ ولكنه لم يرفضْ الجواب .

جوابه هذا لم يتركْ مجالاً للشك على الإطلاق . «حينئذٍ شقَّ رئيس الكهنةِ ثوبه وقال: لقد جدَّفَ ، فما حاجتنا الى شهود؟ لقد سمعتم تجديفه» (متى٢٦/٦٥) .

المسيح اضطر ان يموت لأنه اعتبر ذاته الهاً .

* *

*

هذا ايها الأخوةُ ، برهاننُا الأولُ على الوهية المسيح . هو الله لأنه قال ذلك عن نفسه . ليس هذا برهاننا الوحيد ـ سنرى الأحد القادم برهاناً آخر . ولكن الذين ينكرون الوهيةَ المسيحِ يجدون ذاتهم منذ الآن امام معضلة لا حلَّ لها . فهم يقولون ان المسيحَ لم يكن الهاً بل افضل واحكمَ انسان ظهرَ على وجه الأرضِ . ولكنني اسأل : هل يمكنُ ان يكونَ المسيحُ افضلَ انسانٍ فيما لو كذبَ . من الواضح جداً ان المسيحَ اعطى ذاته مئاتِ المرات امتيازاتٍ الهية ، واعتبر ذاته الهاً . فلو كان مجردَ انسانٍ فهل يُعقلُ بعد هذه الأقوالِ وهذه التأكيدات التي سمعناها ان نسميه انساناً مثالياً ؟

أقرُّ اننا لا نعرفُ كل شيءٍ في حياة المسيح . يمكننا ان نتفحصَه ونتتبع آثاره بمحبةٍ فتبقى في النهاية اسرارٌ والغازٌ ومعضلاتٌ . اسرارٌ يجب الإيمانُ بها: سرٌّ مجيئُه ليلة الميلاد وسط تراتيل الملائكة . سرٌّ ميلاده من العذراء الطواباوية التي «لم تعرفْ رجلاً» . سرٌّ حياتُه وتجوالُه بيننا . سرٌّ آلامه . سرٌّ قيامتُه وصعوده ايضاً سرٌّ .

ولكن الغريب حقًا انه رغمَ كل هذه المزايا الغير المدركة، لم تظهر في تاريخ العالم شخصيةٌ واحدةٌ اكثر التصاقًا بنا واحبَّ. حتى ولو بقيت امورٌ كثيرةٌ لا نفهمها فيه فان جوابَنا لن يختلف عن جوابِ الرسلِ الذين لم يفهموا هم ايضًا ما قاله المسيح لأول مرة عن سر القربان، فتركه بسببِ ذلك الشعبُ الغيرُ المؤمنُ.

«عندئذٍ قال يسوعُ للأثني عشر العلكم انتم ايضًا تريدون ان تمضوا. فأجاب بطرس: يا رب الى من نذهب. ان كلام الحياةِ الأبدية هو عندك. ونحن آمنَّا وعرَفنا انك انت هو المسيحُ ابنُ اللَّهِ» (يو ٦, ٢٨ - ٦٩). آمين!

المسيح إله : أعماله تشهد له

إخوتي ،

بين الرسوم العديدة التي تمثلُ المسيح هناك واحد يتفردُ بتعبير بليغ ، اذ يمثّل الطفل يسوع حاملاً بيده الكرة الارضيّة . هذا التفاوتُ الشاسعُ بين الكرةِ الارضية وطفل طري العود يعبّر تعبيراً رائعًا عن ايماننا بأن « المسيح هو الإله الخالق وسيدُ الكون الأعظم» .

بهذه الكلمات يبدأ قداسُ نصف الليل: « طفلٌ ولدَ لنا وابنٌ أُعطينا على كتفيه يرتكزُ سلطان العظمةِ» .

ما مصدرُ هذا الهوس الذي يجعل ليلة الميلاد هكذا مقدسة؟ المصدرُ هو انه في تلك الليلة حدث ما هو أعظم من خلق عوالمَ جديدة ، لان ابن الآب السماوي اضاف الى طبيعته الإلهيّة طبيعة بشريّة وصار الله انسانًا .

اللّه صار انسانًا ؟ عندما نسمع ذلك للمرّة الاولى ، نقول: هذا لا يُصدّق! وهذه الصيحة العفوية تدل اننا امام سرّ خارق للغاية . هي بالفعل فكرة هكذا مدهشة وتفوقُ تصور البشر حتى ليستحيل على العقل البشري استنباطُها .

ولكن ايماننا بالمسيح لا يرتكز على هذه الدهشة . هذه العقيدة التي لم يُسمع بمثلها والتي تفوق تصور العقل من ان المسيح هو حقًا الله الحالُّ بيننا ، هي نتيجة منطقيّة لتفكير الانسان العاقلِ . ان حياة المسيح حافلة باعمال يستحيل شرحها بقوّة بشريّة . وليس بالامكان وضعُ حياته في اطار الطبيعة البشريّة المحضة .

لقد بحثنا في عظة الأحد الماضي أقوال الربّ التي يثبت بها جليًا انه الله. . . نُكرّس اليوم عظتَنا لفحص اعماله التي تضعُه بوضوح فوق البشر . في العظة الماضية وجدنا الربّ يؤكّد باستمرار اصله الإلهي . ولكن ذلك لا يكفي .

باستطاعتنا القولَ ان ايّ نبيّ يقدرُ أن يعلنَ نفسَه ابن الله ، بامكان ايّ يهودي مطالبٍ بالعرش ، ايّ «مهسترٍ» وراءٍ متهوّر ان يقول عن ذاته نفس القول . ولكن ليس فقط ان يقول انا ابنُ الله بل ان يعملَ ايضًا ما يعمله الله فهذا لم يفعله احدٌ الا من كان في الحقيقة ابن الله .

فلنستعرِض اليوم اعمالَ سيدنا يسوع المسيح الباهرة فاذا وجدناه في اعماله سيدِ الحياة والموتِ وضابط الطبيعة الحيّة والجماد دونما حدّ ، اذ ذاك لا يسعُنا ان نُفلت من هذا الاقتناع والاستنتاج الاخير : **من فعل مثل هذه الاعمال كالمسيح لا يمكن ان يكون انسانًا فقط .**

١
آيات المسيح

ليس عندي الوقتُ الكافي لأعدّد بالتفصيل معجزات المسيح ، حتى ولا المذهلة منها . اقرأوا الاناجيل فتجدونها في كل صفحة . انما أرى من الضروري ، على افتراض انكم تعرفون آيات المسيح البيّنات ، ان اوفّر لكم بعضَ الافكار حول فاعليتها على الاقناع .

١ـ الرب استشهدَ مرارًا باعمالِه كبرهانٍ على الوهيته .

ارسل يوحنا المعمدان ذات يوم ، اثنين من تلاميذه الى المسيح ليسألاه ان كان هو الآتي . فحمَّلهما الربّ هذا الجواب : « اذهبا واعلما يوحنّا بما سمعتما

ورأيتما : العُميان يبصرون والعرجُ يمشون والبرصُ يطهّرون والصمُّ يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشّرون ». (متى، ١١/٤ ـ ٥) يعني ان هذه الخوارق تدلّ بما فيه الكفاية على من أنا .

ولقد أدان الربُّ، في مناسبة اخرى، مدينتي كورزين وبيت صيدا لعدم ايمانهما بقوله: «الويلُ لك يا كورزين، الويلُ لك يا بيت صيدا لأنه لو صُنع في صور وصيدا ما صُنع فيكما من القوات لتابتا من زمانٍ بالمسوح والرماد» (متى، ١١/٢١).

وبينما كان اليهود يتحلّقون حوله ذات يوم في اروقة الهيكل، سألوه قائلين: «الى متى تعذّبُ نفسنا؟ ان كنت انت المسيح فقل لنا علانيةً. أجابهم يسوع: «قد قلت لكم ولم تؤمنوا والاعمال التي اعملها باسم ابي هي تشهد لي» (يو ١٠/٢٥).

يُفهمُ من كلمات الربّ هذه انه صنع آياتٍ خارقةٍ بحسب مخطط معيّن، ليبرّر رسالته الالهيّة وليكشف باعماله عن قدرته الالهيّة بالذات. لم يفعلْها امام حلقةٍ من الاصدقاء المقرّبين ولا امامَ عددٍ معيّنٍ من المدعويّن، لا في حلقات تنظَّمُ ضمن غرف مظلمة أُسدلت فيها الستائر، او في الليل، بحسب اعدادٍ مسرحي من شأنه اثارة الأعصاب، انما على عيون الملأ وفي وضح النهار، امام مئات والوف المشاهدين وبحضور اعدائه بالذات الذين كانوا يرصدونه بمكرٍ، دون ان يستعمل ايَّ حركةٍ او كلمة سحرٍ أو عرافة. فظهرت كل كلماته وحركاته وشفاءاته طبيعية فيه، وكل شيء كان يجري بالانسجام الكاملِ مع شخصيته كالينبوع المتفجّر حيًّا من جوف الارض.

٢ ـ لقد رأيت من الواجب الاتيان على ذكر هذه القرائن لأن اعداء المسيح جرّبوا كل ما بوسعهم على كرّ العصور، ليتخلّصوا من قدرة آيات المسيح على البرهان، لأنها تزعجُهم. فاذا كانت عجائب المسيح صحيحةً حقًا فالمسيح اذن الهٌ ـ ولا مجال للشك اطلاقًا.

ان تكون آيات المسيح قد حدثت فعلاً فهذا ما لا يجرؤ احدٌ على الشك به. «روسّو» نفسه أضطرّ للقول: «ان طابعَ الحقيقة الذي تتسمُ به الاناجيل هو هكذا عظيمٌ ومُدهش ولا يحاكى، حتى ليستحيلُ اختلاقها. اعمال سقراط لا ينكرُها احد ومع ذلك اصالتها لا توازي اصالة اعمال المسيح».

لم يكن بالامكان انكار حقيقة الآيات – **فحاولوا اذ ذاك ان يشرحوها. هل صنع المسيح عجائب؟ بدون شك، يجيبون، ولكن لا يقتضي لذلك قدرةٌ الهيّة. فهناك الايحاء والتنويم المغناطيسي، قراءة الافكار والعرافة، مناجاة الارواح والكتميّة، الخ.**

ولكن هذه الشُروحات العظيمة لا تُقلقُنا ابدًا!

لو اقتصرت آيات المسيح على شفاء الامراض العصبيّة والشلل، لاستطعنا شرحَها بالايحاء.

سمعتم طبعًا باسلوب «كوي Coué» الذي يمكن بواسطته شفاء بعض الامراض العصبية وذلك بترداد عشرين الى ثلاثين مرة: لست مريضًا .... لست مريضًا .... لست مريضًا.

سمعتم لربما ان بعض المرضى حصلوا على الشفاء هكذ. ولكن لنقرأ الفصل السابع من انجيل لوقا حيث نجد المسيح يشفي **عبدًا لم يَره**. من يتجاسر على القول ان المسيح استعمل طريقة «كوي» كي يشفيه؟

هل كان باستطاعة احد من الناس ان يشفي بواسطة الايحاء ابن قائد الملك في كفرناحوم حيث المسيح لم يره وكان يجهل مكان اقامته، فقط كان يعرف انه مريض حتى الموت. دنا والدُ الفتى يتوسّل الى المسيح الذي قال له: «ارجع الى بيتِك فابنُك حيٌّ». ولما رجع الأب الى بيته وقبل ان يصل خرج اليه عبيده يخبرونه بغاية البهجة ان ابنه شفي من مرضِه في الساعة السابعة من مساء امس، اعني في الساعة عينها التي تكلّم فيها مع المسيح (يو٥/٤٦-٥٢).

فليحاول من شاء في هذا العالم ان يوحي **للبحر الهائج** ان تسكن امواجُه المزبدة كما هدّأها الرب في الحال (مر ٤/٣٥). فليحاول من اراد ان يوحي **للأسماك** ان ترتمي جميعها في الشباك حتى اوشكت هذه ان تتمزّق كما فعل الربّ (لو ٥/١ - ١١).

فليحاول من يشاء، بالتنويم المغناطيسي ام بالايحاء ان يشفي **اعمى منذ مولده**. لا يستطيع الطب الحديث ان يشفي من هذا المرض الناتج عن التهاب العين عند الولادة (Blennhorrea Neonatorum) لا بالايحاء ولا باي علاج آخر، ولكن المسيح شفى منه (يو ٩).

الطب الحديث لا يعرف كيف يعالج البرص. اما المسيحُ فقد اكتفى بالقول لاحد هؤلاء التعساء: «لقد شئت فاطهر!» (متى، ٨/٣) وذلك البائس شفيَ.

وأخيراً فليحاول من يشاء ان يوحيَ لميت يحملونه الى القبر او لآخر حواه القبر اربعة ايام: انت حيّ!

لا، لا، ايها الأخوة، من يقرأُ الانجيل بروح مستقيمة وعقلٍ سليم يضطرّه الامرُ ان يرى في المسيح قدرةً تتعدّى البشر، ان يرى فيه سيد الخليقة والهَها.

ولكنني لم أقل بعد كلمةً عن أعظم اعمال المسيح ، عن آيةالمسيح الباهرة : قيامته هو . لا مجال للشك بواقعين اكيدين : المسيح مات حقًا نهار الجمعة ، (الجندي الروماني طعنه في قلبه على الصليب) والقبر وُجد فارغًا صباح أحد الفصح . ان يكون هذا الحدث طعنة نجلاء بالنسبة لأعداء المسيح فهذا ما خَبِره حالاً اعداؤه عندما سارعوا بارتباك مُشين الى نسف أهميّته بشرائهم حراس القبر . ولكن قوة هذا الحدث على البرهان خارقةٌ جدًا بالنسبة الينا .

لقد قال الرب يومًا عن نفسه: «انا هو الحياة» . فاما ان يكون هذا القول ، اخوتي ، هذيانًا لم يسمع بمثله واما انه اعلان عن مقامٍ الهي . نعم ، او هذا او ذاك . فلو لم نعرف عن سيدنا يسوع المسيح سوى «صلب على عهد بيلاطس البنطي» فان تلك الكلمات ليست سوى هراء لا مثيل له . ولكننا نعرف عنه شيئًا آخر ، نعرف التكملة «وقام في اليوم الثالث من بين الاموات» ، فالذي قام من بين الاموات يستطيع ان يقول عن نفسه «انا هو الحياة» ، لأن لا أحد إلاّه اعاد اليه الحِياة . الحياة جزء لا يتجزأُ منه ، انه سيد الحياة : **انه الله** .

٣ - بعد معرفتنا بمعجزات المسيح لن نتشكّك مما هو اعظم من الآيات ، اعني **كلماته التي بها غفر الخطايا** .

ما هي الخطيئة؟ هي اهانة لله . من يستطيع ان يغفر الخطيئة اذن؟ فقط من وجهت اليه : الله . ولكن الرب اعلن مرارًا انه يغفر الخطيئة . فاما ان يكون ذلك تجديفًا رهيبًا (اذا لم تسنده قدرة الهية) واما **برهانًا جديدًا على الوهيّة المسيح** .

لقد غفر المسيح الخطايا علانيّة وبوضوح وحتى بابهة ، يمكن القول ، كي يقدر سامعوه ان يفكّروا مليًا ويروا فيه اكثر من انسان . باي سلطان مثلاً قال للمخلّع عندما شفاه في كفرناحوم : « يا ابني مغفورة لك خطاياك» (مر ٢/٥)

وللمجدليّة الباكية على قدميه :« مغفورة لكِ خطاياكِ» (لو ٧/٤٨). لم تَفُتْ الفريسيين ابعادُ هذه الكلمات الهائلة فتذمّروا فيما بينهم بغيظ :« من هذا حتى يغفر الخطايا » (لو ٧/٤٩).

لذلك ارادوا مراراً ان يرجموا المسيح «لأجل تجاديفه»: «اننا نرجمك لانك تجدّف ، واذ انت انسان تجعل من نفسك الهاً ». (يو ١٠/٣٣). ولكن ربنا لم يعطِ تفسيراً آخر لكلامه بل بالعكس الحّ على سابق قوله:« ان لم أعمل اعمال ابي فلا تؤمنوا بي . وان عملت فان لم تريدوا ان تؤمنوا من اجلي فآمنوا من اجل الاعمال لتعلموا وتؤمنوا ان الآب في واني في الآب» (يو ١٠/٣٧ -١/٣).

من هو المسيح اذن ؟ اعظم انسان؟ لا . نبيّ؟ كلا . رسولٌ من عند الله؟ كلا . **انه الله لابسًا جسدًا بشريًا** ، من رآه رأى الآب ، من يغفر له خطاياه يغفرها له الآب ايضاً ، من يأكل جسده ويشرب دمه يحيا حياة تشبه حياة الآب السماوي .

٢

نبوءات المسيح

بعد آيات المسيح التي يستحيلُ شرحُها بقوةٍ بشريَّةٍ تأتي **كلمات المسيح النبويّة عن المستقبلات التي لا يمكن صدورها عن معرفة بشريّة** .

سأل **فردريك الكبير** يوماً حاشيته إن كان هناك برهان سريعٌ على صدقِ كلامِ المسيح . فاجابه احدُهم بالايجاز :« **اليهود يا صاحب الجلالة!**» لقد عنى ذلك الرجل ان كلّ ما قاله المسيح بصدد اليهود وتشتيتهم ومستقبل

حياتهم في العالم قد تمّ بحذافيره. ان كلمات المسيح باتت صحيحة كلها. من رأى هكذا بعيداً في المستقبل لا يمكن ان يكون مجرّد انسان.

ليس هذا كلّ ما في الامر. كان باستطاعة ذلك الرجل ان يجيب فريدريك الكبير حول صحة كلام المسيح: « **اورشليم يا صاحب الجلالة !** ». كل ما قاله المسيح بشأن تلك المدينة تحقق كله.

كما كان باستطاعته أن يجيب: « **الشهداء يا صاحب الجلالة !** » ما أصدق ما قاله المسيح عن الذين سيتبعونه على ممر العصور: « انتم تحزنون والعالم يفرح ولكن حزنكم سيؤول بكم الى فرح » (يو ١٦/ ٢٠)

هو نفسه كان بامكانه ان يجيب ايضاً: «**الكنيسة الكاثوليكيّة يا صاحب الجلالة!**». «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم!» كانت هذه كلمات المسيح الوداعيّة. اي انسان في هذا العالم جرؤ ولو بالفكر ان يحلم بان تعليمه سيتعدّى حدود هذا الشعب اليهودي الصغير والمغمور لينتشر وراء الجبال والبحار والقارات. علّموا جميع الامم! لن يكون معكم لا مدافع ولا بنادق ولا جنود - ومع ذلك ستنتصرون. ولقد انتصروا فعلاً. كل ما امكن الخباثة البشرية استنباطه قد استعمل في محاربة الكنيسة، مع ذلك بقيت كلمات المسيح قائمة بكل حقيقتها: « ابواب الجحيم لن تقوَ عليها ».

كذلك كان بامكانه القول: « **كلمات المسيح يا صاحب الجلالة!** » اي كلمات؟ هذه التي لم يسمعْ بمثلها، هذه الكلمات التي لا تصدّق، هذه الكلمات التي لم تخرج من فم انسان قط: « السماء والارض تزولان وكلامي لا يزول ». كلمات لا تصدّق - مع ذلك لا نزال نراها تتحقق بعد عشرين جيلاً. منذ ان فاه سيدنا يسوع المسيح بهذه الكلمات خرج محور

العالم عن قاعدته اكثر من مرّة. كم من شعوب اضمحلّت، كم من سلالاتٍ ظهرت وتلاشت كم من ممالك قامت ثم هوت، كم من فلاسفة اتوا بتعاليم اسدل عليها النسيان فيما بعد - فقط كلمات المسيح لا تزال ترنٌّ في آذاننا بقوّة كما لو قيلت امس للمرّة الاولى. كل ما في الكون يتغيّر. كم تغيّر وجه العالم منذ اجيال قليلة - اما كلمات المسيح فلا تزال حيّة بعد عشرين جيلاً وهي تبعث دائماً حياة زاخرة وسخيّة.

نعم، ان معجزات المسيح ونبؤاته تبرهن هي ايضاً ان المسيح لا يمكن ان يكون مجرّد انسان. انه الله.

اخوتي، في تلك المنطقة الحالمة من جبال سويسرا التي تدعى «غريزون» (Grisons) كثيرة هي الطرقات الوعرة التي تبعث الدَوار، ولكن بينها ممرٌّ يمتاز بوعورته حتى دعاه سكان المنطقة «الطريق الشرير» (Via mala). من هذه الجهة من الطريق نسمع في الأعماق هدير نهر الرين، ومن الجهة الثانية يرتفع فجأة سورٌ من الصخور يخيَّلُ للمسافر انها ستهوي على رأسه في ايٍّ لحظة. اكثر من مسافر سحقته الصخور على تلك الطريق. وحالما يريد المسافر ان يستعيد انفاسه بعد كل هذه المخاطر تظهرُ امامه في آخر الطريق هوّةٌ سحيقة... على الانسان ان يشكرَ الله اذا استطاع ان يعبرِ هذا الممر بسلام...

الا تشبه حياتنا على الارض هذا «الطريق الشرير»، هذا «المعبر الخطر»، مليئة بالمهالك والمهاوير والمخاطر والحوادث؟

من يقودنا الى نهايتها بدون خطر واذية؟ من يستطيع ان يقودنا سالمين عبر مخاطر الحياة؟ مَن غير سيد الحياة ومبدعها، سيدنا يسوع المسيح؟

مهما تقلّبت علينا الحياة فلن تصيبنا اذية اذا امسكنا بايمان يد سيدنا يسوع المسيح الالهيّة. لا ننسَ هذا الامر فقط: لا ننسَ انه لا يفيدنا ان نسمع

باستمرار كلام المسيح ونعجب باعماله اذا لم تتوفرّ فينا الارادة الحسنة كي نخطو الخطوة الاخيرة نحو الايمان . يمكن ان تسطع امامنا حياة المسيح وكلماته ومعجزاته بنور باهر فنبقى مع ذلك على حضيض الالحاد البارد .

لا ننسَ اذن في نهاية تأملاتنا وابحاثنا ان نطلب نعمة الايمان : « **ايها الرب يسوع رغم اني اعرف عقليًا وجوب كونك الهًا، مع ذلك لا استطيع بعقلي المحدود والارضي اكتناه سر وجودك . لا استطيع ان افهم ولكنني أؤمن بك ايمانًا ثابتًا لا يتزعزع .أؤمن بك في هذه الدنيا كي استطيع ان اراك يومًا ما في السماء** » . آمين .

المسيح إله : شهادة حياته

اخوتي ،

في كلامه عن آلام سيدنا يسوع المسيح يروي الانجيل حادثةً مؤثرة : ارتداد قائد المئة الوثني وشهادته .

كان قائد المئة يرئس الجندَ المكلفين بصلب المسيح . كانت هذه الفرقة تقف امام قصر بيلاطس ابان محاكمة المسيح؛ فتسنّى لقائد المئة ان يسمعُ أجوبة يسوع ، ويرى عن كثب هيئته المهيبة وينظر الى كبر نفسه الذي يفرِضُ الاحترام ، بعد ذلك رافقه على دربِ الصليب الداميةِ وحضر نزاعَه ثلاث ساعاتٍ ، وسمعَ كلماته الاخيرة منِ على الصليب ورأى الشمس تظلمُ عند لفظ انفاسه الاخيرة وشعرَ بالارض تُزلزل تحت قدميه ـ وهذا الروماني الخشن هتف بشجاعة صارخاً : « في الحقيقة كان هذا ابن الله » (متى ٢٧/٥٤).

كانت صرخةُ قائد المئة على الجلجلة اولَ « قانون ايمان» سُمع على وجه الارض . اول فعلِ ايمان دوّى على شفتي وثنيّ مرتدٍّ ، على شفتيِ جنديّ . ولكنه لم يعرف المسيحَ سوى في ساعاته الاخيرة فكانت كافيةً لتُحدث في نفسه انقلاباً . لم يسمع من ربِّنا سوى كلماتٍ قليلةٍ ولكن ما تجلّى فيها من عظمةٍ انتزع منه صرخة الايمان هذه . اما نحن فنعرف عن المسيح اكثر من ذلك بكثير . نعرف كلّ حياته على الارض ، ليس آخر كلماته فقط . من يقرأ الانجيل ويسمعُ كلماتِ يسوع السامية؛ من يرى معجزاته ويعرفُ خصالَه وشخصيته؛ من يتتبّع بعيني قائد المئة المندهشتين التآمر السافل الذي تسعى به

الخباثة البشرية طوال عشرين جيلاً للتخلّص منه، من اراد ان يطرد المسيح من نفسه ـ وهو لن يتوصّل الى ذلك ابداً ـ من يرى كلّ ذلك لا يستطيع ان ينتزع من نفسه هذه القناعة : المسيح هو ابن الله حقاً.

اريد حسب الوقت القليل المعطى لي أن ابيّن لكم طباع سيدنا يسوع المسيح وشخصيته السامية . وهذه ليست مهمّة سهلة بل مستحيلة : ان ارسم ببضع دقائق خصال المسيح . ولكنني اعتقد انه اذا كانت الساعات الاخيرة كافيةً لاقناع قائد المئة بالوهية المسيح فانني اساهم في تعميق ايماننا اذا استطعت ان استخرج بعض الافكار من هذا الكنز الذي لا ينضب من العظمة ونبل الاخلاق كما يظهران في شخصيّة ربّنا يسوع المسيح .

١

ازدواجية خفيّة

الميزة الاولى التي اودّ الاشارة اليها في حياة سيدنا يسوع المسيح هي هذه **الازدواجيّة العجيبة**، هذه المجموعة من التناقضات التي لا يمكن شرحها الا بازدواج طبيعته الالهيّة والانسانيّة .

في مزود مهجور يأتي الى هذا العالم طفلٌ صغيرٌ كغيره من مليارات الاطفال الذين وُلدوا قبلَه ولكن السماوات تنفتحُ فوقه فتنشد الملائكة قرب مغارته . من هو اذن هذا المولود العجيب ؟

بعد ميلاده باربعين يوماً تحمله امه الى الهيكل لتقدّمه لله كغيره من الاطفال الذين قُدّموا؛ ولكن شيخاً في الهيكل يأخذه بين يديه ويُعلن بعينين نبويتين ان مصير الشعوب والامم منوط بهذا الطفل الصغير .

يطوف طُرقَ فلسطين محتملاً الجوع والعطش دون ان يكون له موضع يُسند اليه رأسه؛ ولكنه يغيّر سنن الكون عندما يرى ذلك مناسباً فيشفي العميان والمرضى بابسط الكلمات ويُشبع خمسة آلاف رجلٍ ببضع خبزات.

من ذا المسيح؟

يتعبُ فينام كباقي الناس نوماً عميقاً ولكنه ينهض بعد ذلك وسط السفينة التي تضربُها العاصفة فيأمر الامواج الهائجة بالسكون فيحدث هدوء عظيم.

من كان المسيح اذن ؟

في جبل الزيتون تستولي عليه كآبة عظيمة حتى ليتصبّب وجهُه عرقاً دموياً - بعد ذلك بدقائق معدودات يواجه الجنود الآتين ليقبضوا عليه فتسقط الفرقة بكاملها على الارض امام عينيه المتّقدتين. من هو المسيح هذا ؟

يموت على الصليب كمجرم، مزدرىً من العالم - انما في تلك اللحظة عينها تزلزل الارض والشمس يظلم نورُها والقائد الوثني يهتف قرب الصليب صارخاً: «في الحقيقة كان هذا ابن الله».

من كان المسيح اذن ايها الاخوة؟

هناك مؤسسو ديانات أُخر وبعض الناس يضعون المسيح في مصافهم: بوذا، محمد، كنفوشيوس... ولكن يكفي ان نقرأ حياة كلّ منهم ومن بعدهم حياة المسيح كما يرويها الانجيل كي يتملّكَنا الشعور باننا نخرج من كهف مظلم الى نور باهر. في الواقع من يلقي ولو نظرة خاطفة على خلق المسيح وشخصيته وعظمته الروحية يرى في الحال ميزتين لا يمكن ان توجدا في انسان آخر وهما تعلنان بصوتٍ عالٍ الوهيّة المسيح.

ما هما هاتان الميزتان اللتان تسيطران على خلق المسيح ؟ هما انتفاء ظلٍّ الخطيئة ووجودُ كلٍّ الفضائل.

١
لم يوجد في المسيح ولو ظلٌّ الخطيئة .

لم يستطعْ احدٌ ان يجد في المسيح ايّ خطيئة وهذا ما **يقرٌّ به جليًا اعداؤه انفسهم** .

كان رؤساءُ اليهود بسبب حقدهم يرصدونه باستمرار ، متتبعين كل خطواته ، ويطرحون عليه اسئلة ماكرة ليمكنهم اقتناص كلمة يشكونه بها ـ مع ذلك استطاع ربنا ان يتحدّى اعداءَه وكلُّه ثقة بنفسه: «من منكم يثبّت علي خطيئة ؟» (يو ٨/ ٤٦) هل وجد في هذا العالم من استطاع ان يقول ذلك عن نفسه ؟

ان الصمت الذي عقب هذا التحدّي هو دليل قاطع على قداسة المسيح . لنرَ فقط ما يشكونه به امام بيلاطس . من المؤكد انه كان على اعدائه في هذه اللحظة الحاسمة التي كانوا يصرخون فيها بغضب على مسمع بيلاطس: «اصلبه» ان يثبتوا عليه ولو ذنبًا طفيفًا في هذه اللحظات المأسوية . من جهة اخرى سألهم بيلاطس: «ايّ شرّ صنع؟» فلم يجدوا غير هذا الجواب: «اصلبه!» ولكن بيلاطس لم يقتنع بهذا الجواب لاثبات مسؤولية يسوع عن ذنب ما .

نستنتج ذلك من كلماته التي اراد بها التنصلّ من مسؤولية صلبه . عندما اسلم رغم ذلك يسوع الى اعدائه اعطى هذا الجواب الجبان غاسلاً يديه : « انا بريء من دم هذا الصديق ، انظروا انتم »(متى ٢٧/ ٢٤) .

كذلك زوجة بيلاطس ، كلاوديا بروكولا ، شهدت هي ايضاً لقداسة المسيح عندما ارسلت تقول لزوجها : اياك وهذا الصديق لاني تألمت اليوم كثيراً من اجله في الحلم » (متى ١٩/٢٧) نفس الشهادة اعطاها قائد المئة تحت الصليب : « في الحقيقة كان هذا الرجل صديقاً» (لو ٤٧/٢٣) .

يوضاس الشقيّ يعطي الشهادة عينها بعد ان استفاق ضميره اذ رمى امام اليهود الثلاثين من الفضة وقال:«لقد اثمت بتسليمي دماً زكياً » (متى ٤/٢٧) .

كما ترون، اعداؤه انفسهم لم يجدوا في المسيح خطيئة واحدة .

٢ ـ ولكن **اصحابه ايضاً لم يجدوا في المسيح ايّ خطيئة** . هذا البرهان لا يقلِ اهميّة عن سابقه . هناك في الواقع مثل يقول عن صواب:« ليس من كبير في عينيَ خادم عرفته . . . » مهما بدا الانسان عظيماً ومحباً وصالحًا من بعيد ، فان الكثير من الضعف والنقص البشريين يظهران فيه امام من يختلط بهم يومياً في حياته واكله ونومه . وهذا يطبّق على كلٍّ الرجال العظام .

ولكنه لا يطبّق على ربّنا . ان اقرب عارفيه ، الرسل ، لم يجدوا فيه نقصاً واحداً حتى ولا ظلّ النقص! بالعكس لقد وجدوا فيه الهاً وعبدوه كإله . مع انهم لم يروا فقط سلوكه العام بل تمكّنوا من رؤية حياته اليومية فجاء حكمهم على المسيح اعترافاً بقداسته .

عندما شفى القديس بطرس المخلّع عند باب الهيكل ، وجّه الى الشعب المدهوش هذا اللوم بسبب صلب المسيح: « لقد انكرتم الصديق والبار» (اعمال٣/١٤) . وفي رسالته الاولى يدعوالمسيح «الحمل الذي لا عيب فيه ولا دنس» (١ بطر ١٩/١) وفي غير مكان يقول عن المسيح «انه لم يخطىء ولم يعرف المكرَ فوه » (١ بطر ٢٢/٢) .

القديس يوحنا كذلك يدعو ربنا «البار» (يو ٢١) وكتب عنه : « فاذا كنتم تعرفون انه بار فاعرفوا ان كلّ من يعمل البرّ فهو مولود منه » (١ يو ٢/٢٩) .

القديس بولس في رسالته الى العبرانيين يؤكد بنوع خاص ان المسيح «صار انساناً مثلنا في كل شيء ما عدا الخطيئة » (عبر ٤/١٥) . لعلّ اجمل شهادات الرسل ما كتبه القديس بولس عندما قال: « اجل هذا هو الحبر الذي يلزمنا ، قدوس بريء لا عيب فيه ، متنزه عن الخطأة وارفع من السماوات» (عبر ٧/٢٦) . **في الحقيقة اذا كان المسيح ليس الهًا فكيف استطاع الرسل ان يروا فيه الهًا ؟**

ليس من المستغرب ان يبان الانسان عظيماً وبطلاً في عيني من ينظر اليه من بعيد في مجال التاريخ . ويمكن القول ان رجال التاريخ العظام يجب ان نراهم من بعيد كقمم الجبال العالية الجميلة ، لاننا عن قرب ، نكتشف فيهم مجموعة من الصغائر والضعف والنقص والخطايا .

اما بالنسبة للمسيح فلم يكن الامر كذلك . ان رسله قد اكلوا معه وشربوا وناموا ، تجولوا معًا وعملوا معًا ، سمعوه يتكلّم عن آلامه وموته ، رأوا الجنود يجلدونه . سمع القديس يوحنا من شفتيه على الصليب صرخة المتروك المدويّة؛ رأوا القبر المختوم - فهل يوجد من يحلّ هذا اللغز وهو انهم رغم فشله الكامل ما برحوا يرون فيه الله دائماً ؟

هذا الواقع لا يمكن شرحُه الا بشخصية المسيح الباهرة والجذابة . ولكننا لم نرَ حتى الآن سوى ناحية من صورة المسيح :لم يكن في المسيح خطيئة . كانت تلك أسهل المهمّات .

سنجد ذاتنا امام مهمةٍ اصعب عندما نحاول شرح الجزء الثاني .

٣

في المسيح مجموعة كل الفضائل

من يستطيع وصف فضائل المسيح حتى ولو على وجه التقريب لا غير ؟ كم من دروس وجهود وتجارب قام بها الفنان العبقري ليوناردو دافينشي عندما فتش عن مثال لرسم وجه المسيح في لوحته الخالدة :«العشاء السرّي » . ليس من فنان يستطيع ان يرسم وجه المسيح الذي ينظر الينا من ورائه الله الازلي ـ كما انه ليس هناك من خطيب يستطيع أن يتكلّم كما يجب عن شخصيةِ المسيح .

سنكتفي اذن ببعض الملامح . والاسهل لنا ان نأخذ نقطة انطلاقنا كلمات الربّ نفسه . في احدى المناسبات كشف هو عن ذاته بكلمات لا يمكن ادراك عظمتها حتى ليمكن تأمل هذه الكلمات طوال ساعات .

ما هي هذه الكلمات الشهيرة ؟

«تعالوا اليّ يا جميع التعبين والثقيلي الاحمال وانا اريحكم .... تعلّموا مني انني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم» (متى ١١/٢٨-٢٩) .

ها هو السيد يشدّد بالتفضيل على وداعته وتواضعه .

كم كان المسيح وديعًا ! كم أحبَّ الاطفال ! كم أحبّ اعداءه! بايّ رفقٍ نظر الى القديس بطرس بعد سقطته! باي امتلاك لنفسه اجاب الخادم بعد ان صفعه هذا على وجهه ! كيف صلّى لاجل اعدائه وهو على الصليب !

لقد اصاب القديس بطرس عندما كتب : « انه لم يعرف الخطيئة ولم يوجد في فمه غش . شُتم فلم يردّ على الشتيمة بمثلها . تألم فلم يهدّد احداً ، بل اسلم امرَه الى من يحكم بالعدل » (١ بطر ٢/٢٢ ـ ٢٣) .

كم كان المسيح متواضعًا ! لقد اكتفى بمغارة ومزودٍ وهو خالق الكون . «للثعالب اوجرة ولطير السماء اوكار اما ابن الانسان فليس له موضع يسند اليه رأسه » (متى ٨/٢٠) .

اعطى تلاميذه هذا الامر: «قد علمتُم ان اراكنة الامم يسودونهم وعظماؤهم يتسلطون عليهم . اما انتم فلا يكون فيكم هكذا ولكن من اراد ان يكون فيكم كبيراً فليكن لكم خادماً ، ومن اراد ان يكون الاول فليكن لكم عبداً ، كما ان ابن البشر لم يأتِ ليُخدم بل ليَخدم ، وليبذُل نفسه فداء عن المجموعة » (متى ٢٠/٢٥ ـ ٢٨) .

اتراني مضطراً ايضاً لاعطاء علامة مدهشة اكثر عن تواضعه لما تمنطق في العشاء السري بمنديلٍ وركع ، وهو ابن الله ، امام صيادي سمكٍ فقراء ليغسلِ ارجلَهم .

وايُّ حب عمُر به قلب المسيح ! «تعالوا اليّ كلُّكم» ـ هي صرخة الحب على شفاه المسيح . لم تُسمَّ الديانة المسيحية عبثًا «ديانة المحبّة» ، لم يبشّر مؤسسها بالمحبّة فحسب ، **لم يطلبْها من تباعه فحسب بل مارسَها هو نفسُه** بدرجةٍ تفوق كلّ القياسات البشريّة .

المسيح بشّر بالمحبّة : «أَحببْ قريبك كنفسك» .

المسيح اقتضى المحبة من مؤمنيه . «احبوا بعضكم بعضًا ، فكما انا احببتكم فليحبب هكذا بعضكم بعضًا . بهذا يعرف الناس انكم تلاميذي اذا كان فيكم حبّ بعضكم لبعض » (يو ١٣/٣٤ ـ ٣٥) .

ولكن المسيح مارس المحبّة ايضاً. «ليس من حبّ اعظم من هذا وهو ان يبذُل الانسان نفسَه عن احبائه» (يو ١٥/١٣). موته على الصليب كان ترجمة هذا الحبّ الذي لا مثيل له . الصليب الدامي ينتصب على الجلجلة ويعلّم الناس لاوّل مرةٍ معنى الحبّ الحقيقي. عندما ننظر الى حياةِ المسيح هكذا، الى كلماته البسيطة التي لا تحاكى بسحرها في ذاتِ الوقت ، الى تواضعه رغم معرفته انه اله، لا يسعنا الا الموافقة على ما قاله الموسيقار العبقري ريشار **واغنر** الذي اختصر انطباعاته بهذه الكلمات :« قد يظنّ البعض ان مجرد وجود شهداء وقدّيسين هو برهان على الوهية المسيح . ولكن هؤلاء الرجالِ والنساء لم يتغيّروا الا بسبب نعمة الله، بالاستنارة والاختبار والانقلاب الداخلي الذي حولّهم من خطأة الى جماعةٍ روحانيةٍ الى حد انهم اصبحوا بعد ذلك غرباء عنّا . اما يسوع فقد كان فيه منذ البدء براءة خالية من كل شهوةٍ وطهارة الهيّة مصدرها طبيعته، مع ذلك لم تكن فيه ايٌّ ميزة مستغربة - كما يظنّ البعض - او ايّ تفردٍ يجعله بعيداً عن الناس، بل هو محض لاهوت مملؤ بالناسوت المحضِ الذي يدفع جميع الناس الى الاحتمال والشفقة . انها لظاهرة فريدة لا مثيل لها . كل انسان بحاجة الى مخلّص، وهو كان المخلّص» .

في الحقيقة، اخوتي، من تعمّق في درس خصال المسيح المميزة ولا يؤمن مع ذلك بان المسيح اله يجد ذاته امام معضلة لا حل لها . فهو يقف عاجزاً عن الفهم امام هذا الحب للبشر الذي لا حدّ له والذي لا يتزعزع امام ايّ نكرانٍ للجميل، والمتحرّر في ذات الوقت من كل خيال عاطفي. ويقف حائراً امام **هذا التفاؤل** الذي لا يستطيع اي شيء ان يحطّمه او يشلّه . يستحيل عليه فهم هذا الحبّ الكبير نحو الخطأة من نفسٍ لم تعرِف الخطيئة. ويبقى

غير مفهوم هذا الانتفاء لكل انانيّة وكل كبرياء وكل تعطّش الى السلطة رغم وعيه الكامل للاهوته . كما تبقى غير مفهومة كلٌّ شخصيّة هذا الانسان الممتلئ بالمُثل .

فاذا كنا لا نريد القول بصدد المسيح اننا نقف امام معضلة لا حل لها، عندئذ لا يبقى امامنا الا القول مع القديس بطرس :« آمنّا وعرفنا انك انت المسيح ابن الله الحيّ » (يو ٦/٦٩).

من هو المسيح؟ - لا نزال نسأل منذ ثلاثة آحاد دون ان نعطي جوابًا نهائيًا بعد. ان ما كُتب حول هذا الموضوع لا عدّ له ومع ذلك فلا جواب يستطيع ان يجعل كلّ الناس قابلين به. للحصول على الجواب الحقيقي يلزمنا الايمان. الايمان ضروريّ. على العقل الا ينحني فقط تحت وطأة البراهين التي قدمناها حتى الآن بل ان يخطوَ الخطوة الاخيرة . يلزمني الايمان كي استطيع القولَ مع القديس بطرس :« انت هو المسيح ابن الله الحيّ» (متى ١٦/١٦)، او ان اتشككَ مثل قيافا لأن المسيح اعتبر ذاته الهًا .

لا يبقى امامنا غير هذا الجواب : اما ان يكون المسيح الهًا كما قال عن نفسه واما ان يكون نابغة تعدّى حدود الجنون فكان اكبر ضحيّة لجنون العظمة في تاريخ العالم . لكي ننفي هذا الاحتمال الاخير ليس من الضروري ان يكون الانسان مسيحيًا. يكفي ان يعرف البشر، ان يُلمَّ قليلاً بعلم النفس ليندهشَ من شخصيّة المسيح ، ومن خلقه الممتلئ اتزانًا وهدوءاً والكلي السموّ والنبل .

يجب ان نختار !

هل هو حالمٌ، مختلٌّ وعدم؟ هل هو آية من النور الأعظم ؟

هل هو حكاية من ذي القدم ؟ هل هو ملك الابديّة ؟

هل هو هدف السخرية؟

هل هو ابن الله الحيّ ؟ (Landwiesche)

من المؤكد ان بينكم اكثر من واحد تأثّر بقراءة هذه القصة للكاتب غاردوني (Gardony) وهي تروي عن الاخ سيكار انه ذهب مع الأخ الشاب يوحنا دي بودا الى جزيرة القديسة مرغريتا ولفت انتباهه رجلٌ يتعتعه السكر فقال : « انظر الى هذا السكران يبدو حراً ولكنه في الواقع عبد» . بعد ذلك بقليل مرّا باناس جالسين الى مائدة الصرف ، يبانون اسياد نفوسهم ولكنهم يمدّون ايديهم نحو المال خلسة : « انظرْ الى عبيد المال هؤلاء !» . يمرّ بعد ذلك ثلاثة من النبلاء : « هؤلاء عبيدُ الفخفخة» . هال الراهب الشاب ما سمعه فسأل مضطرباً :« كلّ الناس عبيد اذن ؟ الملك ايضاً لربما ؟ « نعم كلّهم عبيد ، اجاب الراهب العجوز ، الملك ايضاً عبدٌ ، انه عبد الأمّة» . ونحن ، هل نحن عبيدٌ؟! تابع الراهب الشاب سأئلا . « نعم ، اجاب العجوز ، نحن ايضاً عبيد . نحن عبيدُ الله » الحقيقة هي ان كل انسان في هذا العالم عبد . الواحد عبد للممتلكات الآخرعبد للمال ، الثالث للبذخ ، الرابع لجسده ، الخامس للمرأة ، السادس عبد للأباطيل . . .

فاذا كنا كلنا عبيداً ايها الاخوة ، اذا كان علينا ان نتعبد لشخص او لشيء ، فلنكن بالحري عبيداً لاعظم الاسياد واحنّهم واشهرهم واقدسهم . لنكن عبيد ربنا يسوع المسيح السعداء . آمين .

المسيح اله:
شهادة التاريخ (١)

اخوتي،

اليومَ نحتفل بعيد العنصرة. والعنصرة هو عيد انطلاق الفكرة المسيحية الظافرة.

في مثل هذا اليوم سُمعت البشرى الاولى من فم الرسل ومنذ ذلك الحين والتبشير بالمسيح لم ينقطع. في مثل هذا اليوم وعظ القديس بطرس عظته الاولى في اورشليم امام حشد كبير وكان موضوعها المسيحَ «الذي شهد الله له بالمعجزات والعجائب والآيات» (اعمال ٢/٢٢). «فليعلم يقيناً كل بني اسرائيل ان الله قد جعل يسوع هذا الذي صلبتموه سيداً ومسيحاً» (اعمال ٢/٣٦).

بعد عظة القديس بطرس هذه آمن في ذات اليوم اكثر من ثلاثة آلاف رجل فكان ذلك اول دخول المسيحية في التاريخ.

لقد مرّ حوالي الفي سنة على ذلك اليوم وتاريخ هذين الالفين يوفّر لنا اليوم شهادة رائعة على صحة كلام المسيح. لقد اعلن بوضوح انه لم يكن مجرد انسان بل الهاً تأنس. وهذا ما تدل عليه حياته وشخصيته العجيبة كما سلف ورأينا في العظات الثلاث السابقة.

ولكني اودّ الآن في ثلاث عظات أخر ان اكلّم التاريخ عن سيدنا يسوع المسيح. التاريخ لا يذكر شخصاً انتصر هكذا على غبار الاجيال وفجّرت

شخصيته مثل هذه الطاقات الروحيّة الهائلة ، وادّت له مليارات الناس بعد موته ، الاكرام طوال اجيال؛ كما جرّبت ضدّه الخباثة البشرية كلّ ما لديها في ثورة مستمرة ولا تزال تجرّب حتى الآن عبثًا .

ماذا يقول التاريخ عن المسيح ؟ من كان المسيح ؟ سنعالج ذلك في ثلاث عظات متتالية . سنخطو في عظة اليوم الخطوة الاولى :

١ـ ماذا قال عن المسيح معاصروه ؟

٢ـ ما قول الاجيال الاولى للمسيحيّة .

١

ماذا قال عن المسيح معاصروه

عندما نعالج السؤال : ماذا يقول التاريخ عن المسيح ، من الطبيعي ان نهتم بآراء معاصريه وخاصة رسله . في الواقع ليس من يعطي جوابًا قيِّمًا على هذا السؤال كاولئك الرجال الذين كانوا على اتصال وثيق به طوال سنوات ، فاكلوا معه ورافقوه وسمعوا كلامه ورأوا كلّ اعماله .

١ ـ الرسل هم أوّل شخصيّات التاريخ المسيحي ؛ لنبحث ايا من كتاباتهم: الانجيل او اعمال الرسل او الأربع عشرة رسالة للقديس بولس او رسائل يعقوب وبطرس ويوحنا . في كل هذه الكتابات يَسطع باستمرار ايمانهم الثابت بالوهية المسيح .

لنستعرض باختصار **ما قال في المسيح معاصروه ورسله.**

أ ـ **يوحنا المعمدان** ، السابق ، حيّا المسيح عندما التقاه في نهر الاردن بهذه الكلمات : «هذا هو حمل الله !» (يو ١/٢٩) اعني : هذا هو المسيح المنتظر . في الواقع كلّ الديانة اليهوديّة ترتكز على هذه العقيدة ان المسيح الآتي سيكون الهاً .

ب ـ **من هو المسيح برأي يوحنّا الرسول** ؟ تعرفون الكلمات السامية التي يبدأ بها انجيل يوحنّا : «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله والكلمة كان الله » (يو ١/١) « والكلمة صار جسداً وحلَّ فينا » (يو ١/١٤) .

بحسب القديس يوحنا من ينكر المسيح ينكر الله: «من ينكر الابن لم يحظَ بالآب؛ من اعترف بالابن حظي بالاب» (١ يو ٢/ ٢٧) «تعرفون روح الله بهذا الدليل: كلّ روح يعترف بيسوع المسيح انه اتى بالجسد فهو من الله؛ وكلّ روح لا يعترف بيسوع ليس من الله ، بل هو المسيح الدّجال» (١يو٤/٢-٣) . ,«وهذه هي الشهادة ان الله منحنا الحياة الأبديّة وان هذه الحياة هي ابنه ، من كان له الابن كانت له الحياة . من لم يكن له ابن الله لم تكن له الحياة » (١ يو ٥/١١-١٢) .

هل من اعتراف اوضح بالوهية المسيح ؟

ج ـ **ما رأي القديس بطرس بالمسيح** ؟ المسيح نفسُه سأل الرسل ذات يوم عن رأيهم فيه . فتقدّم بطرس وقال اعتراف ايمانه المقدّس باسم الجميع: «أنت هو المسيح ابن الله الحيّ» (متى ١٦/١٦) .

د ـ **من كان المسيح برأي القديس بولس** ؟ لنعرف الجواب يكفي ان نفتح صدفة ايا من رسائله الاربع عشرة حيث يدعو المسيح اكثر من مئتي مرّةٍ: «الربّ» وهي عبارة مرادفة « للربّ الإله » في نظر اليهود . من يشك

بالوهيّة المسيح عليه ان يرفض كلّ رسائل القديس بولس . لو اردتُ ان اورد هنا المقاطع التي يُبرز فيها القديس بولس صفات المسيح الالهيّة لما انتهيت . فهو ينسب اليه قدرة الهيّة ويعلنُه صانع الخلاص الاوحد ويؤكّد ان له نفس طبيعة الآب السماوي .

يكفي ان نورد من بين آيات القديس بولس العظيمة هذه الاسطر التي لا تضاهى في روعتها وهي منتقاة من رسالته الى أهل فيليبي عن المسيح « الذي مع كونه في صورة الله لم يكن يعدّ مساواته لله اختلاساً بل أخلى ذاته آخذاً صورة عبد صائراً في شبه البشر وظهر بمظهر البشر » (فيل ٢/٢٠-٦-٧) . «لأن فيه حلَّ ملءُ اللاهوت جسدياً » (كولو ٢/٩) .

يكرّر القديس بولس بدون انقطاع اننا خلّصنا بدم المسيح (غلا ٣/ ١٣ كولو. ٤/ ٢١؛ ١ تيمو ٢/٦؛ ١ كور ١/ ٣٠). اسمعوا الاسطر الاولى من رسالته الى العبرانيين :

« بعد ان كلّم الله آباءَنا منذ القديم مرّات كثيرة بانواع شتّى كلّمنا هذه الايام الاخيرة بابنه» (عبر ١/١ ـ ٢) .

هـ ـ يمكنني ايضاً ان اسأل باقي عارفيه ما رأيهم بالمسيح . نرى الأعمى بعد شفائه يسجد له ويعبده (يو ٩/ ٣٨) . وعندما هدّأ البحر الهائج : « سجدَ له الذين كانوا في السفينة قائلين : انت هو ابن الله حقاً » (متى ١٤/ ٣٣) . ومرتا هتفت: «نعم ، يا ربّ ، اعرف انك انت المسيح ابن الله ، الآتي الى هذا العالم» (يو ١١ / ٢٧) وتوما المرتابُ صرخ هاتفاً :«ربي والهي!» (يو ٢٠/ ٢٨) .

اعتقد ايها الاخوة ، ان ما اوردته حتى الآن من الآيات يبيّن بوضوح ان معاصري المسيح ، رسله وباقي تلاميذه رأوا فيه الهاً .

ولكنني لن أكتفي بما قلته حتى الآن .

ب ـ بين مناهضي المسيحية وُجد ناقضون **اعلنوا حربهم ضد المسيح بقولهم انه كان شخصًا اسطوريًا وخرافيًا** . لقد زعموا ان المسيح كان انسانًا مدهشًا ومليئًا بالمُثل ولكنه مجرّد انسانٍ ، انما تعصب الاجيال المسيحيّة الاولى جعل منه الهًا فيما بعد ؛ وبقدر ما نبتعد في الزمان بقدر ذلك اعطت الاسطورة لشخصه ملامح مثالية وهكذا اضحى الهًا .

ان كان هذا صحيحًا فالمسيحيّة الى انهيار لا محالة . اما ان يكون الامر عكس ذلك فهذا ما برهنّا عنه بما فيه الكفاية حتى الآن وان المسيح اعتبر الهًا من مؤمنيه الأُوَل ، مع ذلك هناك امورأخرى لم اتكلّم عنها بعد .

ان تلاميذ المسيح الاوّلين : الرسل والجماعات المسيحيّة الاولى آمنوا بكل قناعة بالوهيّة المسيح وانه هو المسيح المنتظر . ولنا في خطاب القديس بطرس يوم العنصرة ، مثلاً كلاسيكيًّا ، اذ يقول: « فليعلم يقيناً آل اسرائيل اجمعين ان الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه سيداً ومسيحاً» (اع ٢/٣٦) . هذا ما يؤكده القديس بطرس ليس بعد اجيال بل من بعد صعود المخلّص بعشرة ايام .

وعندما كان القديس بطرس يكرز في الهيكل بعد شفائه المخلّع ، ذكر آلام المسيح بهذا الكلام: « فاتمَّ اللّه ما اوحى به الى جميع الانبياء وهو ان مسيحه سوف يتألّم»(اع ٣/١٨) ويقول امام رؤساء الكهنة عن المسيح صريحًا :«هذا هو الحجر الذي رذلتموه أيّها البنّاؤون ، صار رأسا للزاوية . وليس اسم اخر تحت السماء أعطي للناس يستطيعون به ان يخلصوا » (اع ٤/١١-١٢) .

ولقائد المئة كورنيليوس يقول القديس بطرس عن المسيح :« ان الله اقامه ديّانًا للأحياء والأموات . . وان كلّ من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا» (اع ١٠/٤٢ -٤٣) .

وعندما كانوا يرجمون القديس اسطفانوس رأى هذا الاخير يسوع واقفًا عن يمين الله (اع ٧/٥٦) وسلم اليه روحه بقوله : « ايها الرب يسوع تقبّل روحي » (اع ٧/٥٩).

بعد اهتداء **القديس بولس** «اخذ من ساعته ينادي في المجامع ان يسوع هو ابن الله » (اع ٩/٢٠). «من ساعته» لا تعني بعد اجيال .

فيليبوس الشماس يطبّق على المسيح مقاطع نبوءة اشعيا المتعلّقة بالمسيح (اع ٨/٣٢).

انجيل مار **متى** يبيّن ان نبوءات العهد القديم المتعلّقة بالمسيح قد تمّت في يسوع.

لقد كتب **القديس يوحنّا** انجيله، كما صرّح هو نفسه : « لتؤمنوا ان يسوع المسيح هو ابن الله، واذا آمنتم كانت لكم باسمه الحياة »(يو ٢٠/٣١).

في الواقع من ينكر الوهيّة المسيح عليه ان يحرق الاناجيل واعمال الرسل والعهد الجديد بكليته لانها كلها تعلن كوضح النهار **ان الرسل كما المسيحيين الاولين آمنوا مقتنعين ان المسيح اله وليست الاجيال اللاحقة من اخترعت ذلك** .

٢

شهادة العصور المسيحية الاولى

ما آمن به معاصرو المسيح آمنت به على السواء الاجيال المسيحيّة الأولى .

أ ـ ان الطقوس الدينية عند المسيحيين الاولين تعطي على ذلك البرهان الساطع. لقد كانوا يؤدّون للمسيح عبادة سجود. لقد اعتبره الهًا اذن

مؤمنوه الأُول الآتون من الديانة اليهوديّة التي كانت تعتبر اثماً فظيعاً وعبادة أوثان كل عبادة لغير الله وحده .

كان المسيحيون الاولون متحدرين باكثريتهم من الديانة اليهوديّة الاكثر تديّناً وها هم يجرؤون باقتناع مقدس ان يعبدوا المسيح ، يجرؤون على اعتباره الهاً . فاذا ما فعلوا ذلك فلأنه كانت لديهم اسبابٌ جديّة : ايّة اسباب؟ ان اختبارهم المباشر اقنعهم ان المسيح لا يمكن ان يكون مجرّد انسان .

ان قداسة وقِدم هذه العبادة يصفُها لنا كاتب وثنيٌّ من الجيل الثاني بشكل أخّاذ . لقد امر الامبراطور الروماني تراجان (Trajan) ، حاكم اسيا الصغرى بلينوس (Plinus) ان يقوم بجمع معلومات عن طبيعة الديانة الجديدة ومن هم المسيحيون ؟ كان عليه ان يتحقق بعناية فائقة عما كانوا يصنعون في احتفالاتهم الطقسيّة وعما اذا كانوا يشكّلون خطراً على الدولة .

اعطى بلينوس جوابه للأمبراطور في رسالة لا تزال محفوظة الى اليوم وهي مديحٌ بليغ لاجُدادنا المسيحيين .

تقول الرسالة ان الديانة الجديدة تشكل في الواقع خطراً حقيقيّاً على الدولة ، لأن هياكل الاوثان اصبحت خاوية . المسيحيون ، تتابع الرسالة ، هم قوم يجتمعون باكراً ، بعض الايام (الاحد) و«**ينشدون للمسيح مدائح كما لو كان الهاً** » .

هذه كلمات بلينوس: المسيحيون «ينشدون للمسيح مدائح كما لو كان الهاً» .

لم يدُر في خلد اخوتنا المسيحيين الاولين الذين كانوا ، بنظر الحكم ، مجرمين بسبب عبادتهم للمسيح ، ايّ خدمة سيؤدونها لاخوتهم في الايمان بعد حوالي عشرين جيلاً .

لم يكن يتصور هذا الحاكم الوثني، في كتابه للامبراطور، الخدمة الجُلّى التي سيؤدّيها لواعظ كنيسة جامعة بودابست.

ما هو موضوع مواعظي، منذ عدّة اسابيع؟ الوهيّة المسيح وان المسيح اعتبر ذاته الهاً. ولكن من هو في نظر خلفائه، الجماعة المحيطة به مباشرة، تلاميذه الاولين؟ هل هذا صحيح ان شخصيّة المسيح تألّهت رويداً رويداً بعد اجيال وان الاسطورة جعلت منه الهاً مع تعاقب الزمن؟

وها هو كاتب وثني يأتي لنجدتنا. هذا الحاكم الوثني رأى بام عينه المسيحيين يجتمعون نهار الاحد ويركعون كما نفعل اليوم بعد عشرين جيلاً، ويعبدون في المسيح الله الحال فينا كما نفعل الآن بعد عشرين جيلاً. فلو قام المسيحييون الاولون ليحضروا معنا قداس الاحد لوجدوا بالطبع اكثر من تغيير عما كان في ايامهم ... المذابح لم تكن مضاءة بالكهرباء، الواعظ لم يكن يلقي مواعظه من على المنبر بل كان يجلس قرب المذبح، الكنائس كانت وضيعة والطقوس اكثر بساطة، ولكنّهم تجاه امر واحدٍ وهو الاساسي، لن يحسوا بالغربة: عند دقّة الجريس، عند رفعة الاسرار، لن يطرحوا السؤال على من حولهم: ماذا يجري في هذه اللحظة، بل تراهم يسجدون معنا عابدين الله الآتي الينا. لأن باستطاعتهم جميعًا ان يؤدوا شهادة اعترافهم كما فعل القديس اثناثيوس في الجيل الرابع اذ كتب: «نحن لا نعبد المخلوقات بل سيد الخلائق الذي صار انساناً، اعني كلمة الله. لأنه وان كان جسدُه في حد ذاته جزءاً من الخليقة فقد صار مع ذلك جسد الله ... ومن هو المعتوه الذي يجرؤ على ان يقول للربّ: انزع عنك جسدك حتى اعبدك».

نعم ايّها الاخوة، ان اجدادنا في المسيحيّة عبدوا المسيح منذ البدء، وصلواتهم المتلوة في كل مكان هي شهادة لالوهيّة المسيح.

ب ـ ولكن انتشار المسيحيهة السريع ومعاركها الظافرة تشهد هي ايضاً على صحة ما نقول. في الحقيقة ان كان المسيح ليس الهاً فكيف نفهم ان تكون هذه النار التي اشعلها قد اندلعت بهذه السرعة ولم تنطفء حتى اليوم.

النفس الوثنية القديمة كانت تتأكّلها رغبة فريدة : الصعود الى السماء وانتزاع الشعلة المقدّسة، رمز الحياة، من الآلهة. لقد عبّر الكاتب الاغريقي القديم «أشيل» عن بطلان هذه الرغبة اليائسة في احد مؤلفاته الدراماتية. وهو المسيح من حقق ما استحال على الانسان نيله. لقد أتى من السماء بنار اراد اشعالها في كل النفوس.

«اذهبوا وعلموا كل الامم». **مثل** هذا الامر لم يعطه انسان قط، حتى ولا اكثر الفاتحين جرأة، حتى ولا اكثر الملوك طمعاً بالفتوحات.

ولقد حمل الرسل هذه النار المقدّسة الى كل جهات الارض. فلم تستطع قوة ان توقفهم. كم مرّة حاولوا ان يوقفوهم ! كل الوسائل جُربّت لاطفاء نار الدين المسيحي المقدسة ـ ولكن واحدة منها لم تنفع : التعذيب، الوحوش الكاسرة، الغرق والحريق... كل التعذيبات استخدمت ضد المسيحيين الاولين فكان ما كتبه **ترتليانس** بشجاعة مثلى: «نحن ابناء البارحة وقد اجتحنا كل مكان: المدن، المستعمرات، القصور، الحرس الامبراطوري، وحتى الجيش، القضاء ومجلس الشيوخ. ولسنا نترك لكم سوى هياكلكم الفارغة».

هكذا تمكّنت ديانة المسيح المصلوب كمجرم على خشبة العار ان تنتشر وتنتصر رغم الاضطهادات الرهيبة: هذه شهادة التاريخ الاولى على الوهيّة المسيح.

* *
*

لسنوات خلت ، ايها الاخوة ، اقيم احتفال مهيب في خرائب الكوليزايوم في روما سنة ١٩٢٦ . لقد رفع الصليب فوق اطلال الميدان وفي هذا المكان الذي كان يضجّ قديمًا بالجماهير التي كانت تطلق الصيحات ، تحت وابل من الازهار والرياحين وعلى ضوء المشاعل المرتعشة وعلى اصوات الات الطرب ، كان دمُ آلاف المسيحيين يصبُغ رمل الحلبة بالاحمر القاني ، في هذا المكان بالذات يرتفع اليوم صليب المسيح المضطهَد .

ويأخذنا الفكر . . . ابان هذا الاحتفال المهيب نقف وسط حلبة الكوليزايوم فتتّجه انظارنا نحو منصة الامبراطور الخاوية والمهدّمة . . . . ونرى رؤوس الاباطرة السالفين تطلّ مندهشة . . . ونستعرض وجوههم تمرّ بالتتابع كما نراها في تماثيل فلورنسا القديمة : احدهم مستدير الرأس ، قصير الشعر . . . الآخر اصلع الرأس . . . الثالث عيناه كعيني طير جارح . هم ينظرون متعجبين الجموع التي تملأ اطلال الملعب كاسراب النحل؛ الزهور في كل مكان والناس في طواف احتفالي .

فيسأل احد الاباطرة : « ما الحدث؟»

فاجيبه :« هم المسيحيون يا صاحب الجلالة» .

« المسيحيون ؟ يسأل نيرون: «الم تكفِ الاجيال العشرون لابادتهم ؟»

لا ، لم تكفِ ، ايها القيصر . لا بل انقلبت الادوار: حيث جرى الدم المسيحي كالسيلِ الطامي يرتفع الان ظافراً صليب المسيح المضطهَد . المسيح المضطهَد لا يزال حيًّا ومملكته تمتدّ الى اقاصي الارض ـ ولكن اين انتم الآن ايها الأباطرة المضطهِدون ، وما حلّ بامبراطوريتكم؟ تذكّر ايها القيصر انك صلبت قديمًا شيخًا مسنًّا اسمه بطرس والآن تحمل هذا الاسم اكبر واجمل

كنيسة في العالم ، وامام كنيسة القديس بطرس تنتصب مسلة من الغرانيت الاحمر ، يبلغ ارتفاعها خمساً وعشرين متراً تعرفها انت جيداً . عندما لم يكن بعد مسيحيون في العالم كانت امام هيكل الشمس في مصر ، فاتى بها احد اسلافك ، كاليغولا (Caligula) ، ووضعها في الملعب الذي كانت فيه الوحوش الضارية تمزق اجساد المسيحيين . . . المسلة كما ترى لا تزال مرتفعة - انما تغيّر رأسها عما كان عليه في ايامك . الآن يعلوها صليب بارتفاع ستة امتار يحوي في داخله قطعة صغيرة من صليب المسيح المبارك . . . وقد حُفرت على المسلة كلمات . . . كلمات برهنت الاجيال العشرون على صحتها . اقرأ ايها القيصر لانك تجيد اللاتينية . . . القيصر يقرأ . . . فتأخذه الرعدة . . . ويمتقعُ لون وجهه . . . وتتوارى الرؤيا - اما نحن فنبقى لنقرأ بنفس شاكرة ونتلو ساجدين كصلاة هذه الكتابة المحفورة على المسلّة كاروع شهادة في تاريخ العالم: « المسيح يغلب المسيح يملك ، المسيح يحكم» . (١)

---

(١) Chtistus Vincit, Christus Regnat, Christus imperat

المسيح اله : شهادة التاريخ

(٢)

اخوتي ،

ان الكلمات السامية التي سمعناها (انجيل احد الثالوث الاقدس) هي كلمات المسيح الوداعية قبل تركه العالم . «اذهبوا وتلمذوا كل الامم» ، هذا هو الامر الاخير الذي اعطاه سيدنا يسوع المسيح وهو يردّد كالصدى كلمات سمعان الشيخ التي حيًّا بها الطفل يسوع عند دخوله العالم . وهو ان مصير الفرد والجماعة ، ومستقبل الشعوب والبشريّة مرتبطان شديد الارتباط بالمسيح .

هل تتذكرون مشهد سمعان الشيخ المؤثّر جداً ؟

طفل صغير يحملونه الى الهيكل ليقدّم لله حسب ناموس موسى . لا شيء في الظاهر يلفت الانتباه الى هذا الطفل . امرأة فقيرة تحمله على ذراعيها ، يرافقها نجّار بمثابة اب ـ هذه كل الحاشية . يمامتان ـ الضروري اللازم للتقدمة . الاثرياء يقدمون حملاً ، ولكن ذلك ليس بمقدورهما . لو قدّر لكم ايها الاخوة ، ان تكونوا ساعتها في الهيكل ، هل كنتم تصدّقون ان هذا الطفل المغمور سينهض بالعالم ذات يوم ؟ اما كنتم تبتسمون عند سماعِكم هذا الشيخ الذي كان ينتظر من زمان المسيح الآتي ، فاذا به يرى ، بعينيه المستنيرين بالروح القدس ، حياة هذا الطفل كلّها : معجزاته ، كلماته ، موته ، وعبادته ، فيهتف بفرحٍ قائلاً: «ان هذا الطفل موضوع لسقوط وقيام كثيرين في اسرائيل وهو علامة من الله يقاومونها » (لو ٢/ ٣٤) ـ يا له من مشهد يفوق الادراك .

شيخ وقور يحمل بين يديه طفلاً مغموراً، امامه ابواه يسمعان بقلب منقبض هذه الكلمات :« ان هذا الطفل سيصبح يومًا رجلاً جبّاراً يباركه العالم ويلعنه مدى الدهر، من عينيه الصغيرتين ينبعث شعاع يجذب الناس اليه او يبعدهم عنه. هذا الطفل المغمور سيكون دائما موضوع الساعة في تاريخ العالم وعلى كل انسان ان يتخذ منه موقفاً: معه او ضده ».

هل كنتم تصدقون ذلك عن هذا الطفل الوضيع ؟ وقد تمّ كل ذلك فعلاً. ما الذي تمّ؟ ان هذا الطفل الابكم، الملفوف بالاقمطة، قد شقّ البشريّة الى معسكرين وانه صار فعلاً سبب سقوط وقيام شعوب وممالك بكاملها. من الآن وصاعداً سيكون مصير البشريّة منوطًا به.

لقد تمّ ذلك في الماضي ويتم اليوم ايضًا ـ وهذا ما اريد تبيانه في عظة اليوم. ان ابيّن كيف مرّ وجه الربّ البهي امام الملوك والشعوب والافراد ظافراً طوال اجيال. ان ابرهن هذه الحقيقة المزدوجة :

١ ـ من يُقاومَ المسيح يَهلك

٢ ـ من يُجاهد تحت رأيته ينتصر

١
لقد وُضع لسقوط كثيرين

قبل ميلاد المسيح باكثر من الف سنة وصف الملك داود بروح نبوية (المزمور الثاني) كيف أعطى الآب ابنه السيادة والملك :« انت ابني وانا اليوم ولدتك. سلني فاعطيك الامم ميراثًا لك واقاصي الارض ملكًا لك. ترعاهم بعصا من حديد وكإناء الخزاف تحطّمهم. الآن ايها الملوك افهموا ويا قضاة

الارض اتعظوا، اعبدوا الرب بخشية وابتهجوا برعدة». هكذا تكلّم داوود الملك . ويكفي ان نلقي نظرة على التاريخ :

١ ـ **تاريخ الشعوب** و٢ ـ **تاريخ الافراد**، لنتأكّد من صحة هذه الكلمات .

١ـ تاريخ الامم

أ ـ اول شعب قاوم المسيح كان الشعب اليهودي ، الربّ أُرسل اليه اولاً ولكنه لم يقبله ، بل زاد على ذلك ان اضطهده حتى الموت . فتمّت فيه لاوّل مرة كلمات سمعان الشيخ : «موضوع لسقوط كثيرين» .

بعد موت المسيح ببضع سنوات دُمّرت مملكة اليهود .

ولكن اي دمار! في الحرب العالمية الاولى شهدنا اهوال الرعب ولكن ما حدث في اورشليم المحاصرة من الرومان لم يحدث مثله لربما في التاريخ . قرأنا حوادث مرعبة جرت في الحرب العالمية الاولى ولكننا لم نسمع قط ان مدينة ما مُنيت بذات الوقت بالطاعون والمجاعة والفتنة الداخلية والعدو الخارجي .

القائد الروماني تيطس (Titus) ضرب الحصار حول اورشليم (سنة ٧٠م) الأنبياء الكذبة يزرعون البلبلة في المدينة ، الطاعون يفتك بالشعب والمجاعة تسلب لبّ الكثيرين . اخيراً اضحت المقاومة ضرباً من المستحيل ، الجنود الرومان يدخلون المدينة والمجزرة رهيبة . . . المدينة تشتعل كلها وعيال بكاملها تذهب طعم النيران .

«في العاشر من آب ، من السنة السبعين ، كتب احد المؤرّخين ، طلعت الشمس على دخان خرائب المدينة» . في شهور قليلة هلك اكثر من مليون يهودي ، يا لهول المشاهد! كانت تعيش في المدينة امرأة ثريّة اسمها مريم . افقدها الجوع صوابها فبدأت تشوي طفلها على النار ، اشتمّ الجائعون رائحة

اللحم في الشارع فاقتحموا الدار وقالوا لها : نشتمّ رائحة اللحم المشوي فان لم تعطنا قتلناك على الفور ». كان قد بقي نصف الطفل فأتتهم به . امام هذا المنظر الرهيب تراجعت تلك الوجوه الوحشيّة مشمئزة .

كان بود تيطس ان يبقي على الهيكل الفخم فلم يُفلح . كان على كلمات الرب ان تتم :« لن يبقَ هنا حجر على حجر» ، حائط الهيكل الاول أُخذَ عنوة . . . صعد احد الجنود على كتفي رفيقه ورمى بالمشعل من النافذة داخل الهيكل فشبّت النيران في خشب الارز العتيق والجاف . ووسط لعلعة النيران كان هزيج الظافرين يختلط بحشرجة المنازعين وعويل الكهنة الذين ارادوا للمرّة الاخيرة ان يقدموا الذبيحة وها هم يتلون الآن صلاة المنازعين . ستة آلاف نسمة هلكت بالنيران . الادراج تسبح بالدماء . دخل طيطس ليرى ولو في اللحظة الاخيرة قدس الاقداس الذي لم يره احد غير رئيس الكهنة ، ولكن عبثاً . الدخان يلفّ كلّ شيء وسيصبح الهيكل عما قليل تلّة رماد .

« لقد وُضع لسقوط الكثيرين» .

ب ـ ثاني شعب قاوم المسيح كان الشعب الروماني . طوال قرون ثلاثة روى اباطرة الرومان الارض بدم المسيحيين . هل تستطيعين احتمال كل هذه القساوة ايتها القبضة الصغيرة من المسيحيين؟ اتستطيعين المقاومة؟ سيمحى اسمك وستختفين .

لقد اتهموا المسيحيين بالكفر ـ مع انهم لم يرفضوا سوى عبادة الاوثان؛ وانهم يأكلون لحوم البشر ـ سرّ القربان الذي اسيء فهمه؛ وانهم يتآمرون على الدولة ـ بسبب اجتماعهم في الدياميس .

ما مصيرك ايها المسيح ؟

امر الامبراطور **ادريانس** بان يشيدوا على الجلجلة تمثالاً لفينوس الهة الدعارة، وتمثالاً آخر لجوبيتر فوق قبر المسيح . ما مصيرك أيّها المسيح؟

سيفيروس امرَ بانه لا يحلّ للانسان ان يكون مسيحيًّا .

ديوقلسيانوس، امر بعد اضطهاد رهيبٍ ان يُصكّ نقد مع هذه الكتابة : «تذكاراً لمحو الاسم المسيحي» . ما مصيرك ايها المسيح ؟

ما هو المصير ؟ المسيحيّة خرجت ظافرة من كل هذه المغاطس الدمويّة .

ونيرون انتهى بالجنون . **ديوقليسيانوس** خُلع عن عرشه الارجواني ومات عجوزاً تعيساً؛ **غاليريوس ماكسيموس** اكثر المضطهدين قساوة اكلته الديدان حيًّا؛ **ماكسيمين دايا** الذي سكر بدم المسيحيين انتحر شارباً السمّ ولكن الكميّة لم تكن كافية فكانت تفعل فعلها ببطء فكان يعاني آلاما مبرّحة، وترعبه الرؤيا : المسيح بعينين متقدّتين يطالبه حساب مؤمنيه المذبوحين . . . فيطلق عواءً كالذئب الجريح قبل ان يفارق الحياة . . .

ماكسينسيُس هلك في نهر التيبر؛ **ليشينيوس** سقط بسيف قسطنطين . . . - وعروس المسيح بقيت واقفة، مدمّمة ولكنّها **ظافرة وابدًا فتيّة** .

«وضع لسقوط كثيرين» .

لسبع سنوات خلت، في التاسع من تشرين الثاني سنة ١٩٢٤ احتفل بالذكرى المئويّة السادسة عشرة لتدشين بازيليك **لاتران** . في المكان عينه الذي كان يرتفع فيه قصر **ماكسيميانوس** الذي كان يتنقّل بين غرفه مخططاً لاشدّ الاضطهادات دمويّة، تقوم منذ الف وست مئة سنة كنيسة كبرى هي بازيليك لاتران التي كُتب على واجهتها « امٌّ ورأس كل الكنائس» . وحيث كان العرش الامبراطوري قديمًا، يقوم الآن عرش لن يُدَكّ الى الابد هو عرش البابا .

القديس لاوون صنع من تمثال جوبيتر في الكابيتول تمثالاً للقديس بطرس بَريت احدى قدميه من قبلات الحجاج التقوية التي لا تحصى .

القديسة اغنس ، سيقت قسراً الى احد مواخير الزنا ولكن نظرها المقدس حوّله الى كنيسة . في هذا المكان بالذات اشيدت احدى اجمل كنائس روما ، كنيسة القديسة اغنس في ساحة نافونا . لقد اجبروا الاسرى المسيحيين على الاشغال الشاقة لبناء الحمامات العامّة . فمن دار بخلده آنذاك انه حيث تصببت جباهُهم عرقًا تحت قيادة القديس قورياقوس وبازدراء مماثل للموت ، سترتفع ذات يوم كنيسة للإله الحقيقي على اسم القديس قورياقوس وان هذا المصلّى الصغير سينضمّ الى مجموعة نابغة الهندسة الاكبر ، ميكالانج ، عنيت بها كنيسة العذراء سيدة الملائكة . آه لو عرفوا عند حفرهم الارض انهم كانوا يبنون في الواقع هيكلا لله وليس وكراً للخطيئة!

«وضع لسقوط كثيرين» .

ج ـ ولكن هذه الشهادة ليست وقفًا على الشعبين اليهودي والروماني ، انها **شهادة تاريخ العالم باجمعه** . لنلقِ بعض نظرات على مدن آسيا الصغرى المزدهرة قديمًا: افسس ، انطاكية ، قيصرية ، نيكوميديا . . . كم عاش فيها من علماء وفنانين وقديسين . . . مار باسيليوس ، مار غريغوريوس ، مار يوحنّا فم الذهب ، ـ كيف تلاشت هذه المدن! وفي افريقيا الشمالية نجد مار اثناثيوس ، مار كيرللس ، ترتوليانوس ، اقليمنضوس ، اوريجانس ، مار قبريانس ، مار اغوسطينوس ـ ما كان اسماها حياة تلك العصور . واليوم؟ شعوب برابرة ، مستعمرات تحت النير ، وثنيون مشعوذون ، ـ لأنّهم قاوموا المسيح .

كم هي مؤثرة امثولة التاريخ هذه : كلّ امّة تنفصل عن المسيح تسقط في الهمجيّة والبؤس .

وهذا لا ينطبق على الامم فحسب بل على **الافراد** ايضاً.

وهنا لا استجدي شهادة الشعوب، لا اليهود ولا الرومان، حتى ولا شهادة ألتاريخ.

لنسأل ذواتنا.

اذا وجد بينكم ايها الاخوة انسان غير مؤمن يسمع الآن كلماتي هذه، فانني اتوجّه الى تجربته الشخصية. لقد فكّرتَ وحاولتَ أن تعرف لماذا، لهذا السبب او ذاك انت لا تؤمن بالمسيح... قل لي: هل وجدت السعادة بعيداً عن المسيح؟ ما مصدرُ هذه البلبلة المخيفة في القضايا الاكثر أهميّة؟ هل انت هكذا اكيد ان لا وجود للنفس فيك؟ هكذا اكيد ان كلّ شيء ينتهي بالموت؟ سهل ان تقول ذلك ولكن يصعب التصديق. امن المؤكّد ان لا دينونة بعد الموت؟ هل تعرف بالتأكيد ان الله الخالق والقدير لا وجود له؟ واذا كان موجوداً فهل يرضى ان يتّبع كل واحد الشريعة الادبية التي يرتأيها؟

لا أطلب شهادة غير المؤمنين فحسب، اتوجّه بالسؤال الى نفسنا، الى هذه اللحظات التي ارتكبنا فيها الخطيئة وقاومنا المسيح. **بل اتوجّه اليكم انتم بالذات، اجيبوني** ؟ ألم تكونوا على حافة الانهيار والدمار كل مرّة انفصلتم عن المسيح؟ الخطيئة اغوتكم وخدعتكم فانصعتم اليها ولما اجتاح الندم نفسكم الم تدركوا حقيقة كلمات سمعان: انه موضوع لسقوط الذين يقاومونه...؟

٢

موضوع لقيام كثيرين

ولكن كلمات سمعان الشيخ لها تتمة، - وهي لنا عزاءٌ كبير. لنضع ازاء هزيمة اعداء المسيح انتصار المؤمنين به؛ ولنرَ كيف ان اتّباع المسيح اصبح ينبوع خيرات للامم وللأفراد.

١ - رأينا كيف خربت اورشليم بعد رفضها المسيح. «ولكن هل اختفت معها النبؤات والمواعيد التي اعطيت للآباء؟». لا خوف عليها: كلها تحقّقت في الكنيسة وكل مازال نبت مكانه من جديد: ان الله الذي نبقي، حسب تدبيره، حفنة من حبوب غلة الصيف لنزرعها فتكسو الارض من جديد في الربيع، هذا الاله بالذات اختار من بين اليهود اثني عشر رجلاً، وكبذار الربيع زرعهم في كل انحاء العالم لكي يأخذ **شعب جديد مكانه بدل الشعب الذي خان العهد**. شعب جديد يختلف عن القديم: الاول حدوده فلسطين، الثاني لا يعرف حدوداً. الاول كان محصوراً بعرق، الآخر يحتوي كلّ الاعراق وكلّ الامم.

لقد انقضَّ العلماءُ والفلاسفة والاباطرة وجنود الوثنيّة على هؤلاء الاثني عشر صيّاداً. لقد استُخدمت ضدهم كلّ آلات التعذيب– فبريت الفأس وفرّ السيف من يد الجلاد التعبة وبقيت الصخرة شامخة والشجرة واصلت نموّها.

معارك جديدة ابداً - اما الكنيسة فواقفة ابداً - لقد قال المسيح: «ها انا مرسلكم كالخراف بين الذئاب» (متى ١٠/١٦) اعني ستجدون دائماً من يعاديكم. ولكنه قال ايضاً: «لا تخف ايها القطيع الصغير لقد سرَّ ابوكم ان يعطيكم الملكوت» (لو ١٢/٣٢).

عمّا قليل سيأتي الهراطقة ليمزّقوا ثوب المسيح، ليحاصروه ويهزأوا به ـ لا تخافوهم.

ستأتي وحوش كاسرة متعطّشة للدماء تريد استئصال محبّة المسيح من النفوس ـ لا تخافوا ابداً.

ايّ شيء لم تقاسهِ الكنيسة بعد ولكن من رآها ترتجف؟ لقد تحالف عليها في الجيل الثامن عشر الفلاسفة والعلماء، الشعراء والروائيون، الخطباء ورجال السياسة: «الآن سنسحقُها»، – والكنيسة لم تخف.

كم مرّة دقّوا لها ناقوس الموت! فلو كانت قابلة للموت لحدثَ ذلك من زمان بعيد.

لنفكر فقط بنابوليون: لقد بسط سلطانه من اسبانيا الى الفستول (Vestule) ومن هولندا الى اليونان وكان حلفاؤه كثيرين وهذا المعتبَر نصف اله حاصر البابا بواسطة جنوده. البابا لا يخاف ويرشقه بالحرم. تأمّلوا هذا العجوز يخطفونه من وسط رعيته ويجرّونه، رغم مرضه، من مدينة الى أخرى... هذا العجوز يجرؤ على مقاومة من يرتجف امامه الملوك والاباطرة. من سيدافع عنه الآن؟ من يحميه؟ من أقيم لسقوط وقيام كثيرين.

ولكن ليس عند المسيح جنود! كلا، لكن عنده النار ـ وموسكو تشتعل.

ليس عند المسيح مدافع! لا، ولكن عنده عواصف الثلج وهي تكنّس جيش نابوليون. البابا يعود الى كرسيه في روما والشعب في عيد وتهليل.

هكذا كانت الامور دائماً منذ ان جُعل المسيح «آيةً عظيمةً يقاومُها الاشرار». اعداء المسيح لم يبدّلوا على ممر الاجيال سوى اسمهم فقط، لا حقدهم. قديمًا كانوا يدعون نيرون وديوقلسيانس، اليوم بولشفيك وماسّون؛

قديمًا كان الشهداء يُحرَقون على نيران السيرك الروماني ، اليوم تشتعل اديرة اسبانيا على رؤوس رهبانها [1] ـ الكنيسة لا تخاف ولا يمتقع لونها ، لأنها تتذكّر نبوءة سمعان الشيخ :« المسيح موضوع لسقوط الذين ينقضّون عليه » وتعرف ايضاً كلمات انجيل اليوم الاخيرة :« ها انذا معكم كل الايام حتى انقضاء الدهر» .

٢ـ كذلك اسمعوا ايها الاخوة وانظروا كيف ان الحياة نفسها تشهد للمسيح . **حياة الجماعة المسيحية ومصير نفسي .**

أ ـ حياة الجماعة المسيحية

عندما يصدح على شفتيها قانون الايمان بالمسيح :«انت هو المسيح ابن الله الحي» ـ عندئذ فقط تسطع حقيقة الدين المسيحي السامية . . . ان ملايين الصلبان التي ترتفع على جوانب الحقول والطرقات والتي تعلو قبب الكنائس وتزيّن مقدمة المذابح وجدران غرف النوم ترسل الينا سلاماً وعزاءً وكلها تعلن امام العالم :«انت المسيح ابن الله الحي» . ليس من وجه صُوِّر بهذه الكثرة كوجه المسيح ولم تطبع حياة انسان بمقدار ما طبعت حياة المسيح في الاناجيل الاربعة ولم يترجم كتاب الى مثل هذا العدد من اللغات ككتاب الانجيل: كل الكتاب المقدس ترجم الى مئتي لغة وبعض اجزائه الى أربعمئة لغة .

المسيح لا يزال اليوم ايضاً محور العالم ونقطة انطلاق التاريخ . للتاريخ حقبتان : ما قبل المسيح وما بعد المسيح . كل من يدوّن تاريخاً يؤدّي للمسيح اكراماً صامتاً ، حتى غير المسيحيين يلتزمون هذا الاصطلاح كل مرّة يحررون رسالة؟ والصحف التي تحاربُ المسيح مجبرة هي أيضاً على

(١) — ابان الثورة الأهلية سنة ١٩٣٤ .

ذلك كل مرّةٍ تؤرّخ عدداً من أعدادها . من يفهم كل ذلك ان كان المسيح مجرد انسان ؟

من يستطيع الفهم ان المسيح الذي لم يكن قائداً ولا فاتحًا شهيراً بل عاش فقيراً ومات مهانًا ، استطاع اسمه ان يلمع بوهجٍ خارقٍ بالقرب من الذكرى الباهتة للاسكندر والقيصر وجانكيزخان وسليمان ونابوليون؟ من يفهم كيف ان المسيح الذي لم يكن شاعراً ولا فيلسوفًا وجد اعاظم الشعراء والفلاسفة انفسهم سعداء يوم استطاعوا ان يكتبوا عنه؟ من يدرك ذلك ان كان المسيح مجرّد انسان. لقد وُجد فلاسفة عظام جمعوا حولهم في حياتهم مدرسة بكاملها من التلاميذ المتحمسين ولكن اين هي مدارسهم بعد مماتهم؟ اين هم تلامذة افلاطون وسقراط وارسطو المتحمسين؟ اين توجد في العالم مدرسة صغيرة باسم اغسطس قيصر او اسكندر المكدوني ؟

واليوم أكثر من مليار انسان يدعون باسم المسيح ، مسيحيين ، مع ان اغوسطس وقيصر والاسكندر كانوا في حياتهم اسياد العالم بينما المسيح عاش في الفقر وعلّق على خشبة. من يفهم ذلك لو كان المسيح مجرّد انسان؟

ب ـ ولكن عدا واقع المسيحية العظيم فان مصير نفسي أنا ايضًا يبرهن صحة كلام سمعان الشيخ . الم تشعروا بعد أيّها الاخوة ، ايّ انتصار يوليه العيش بالاتحاد مع المسيح ، اذا استطعتم ان تجيبوا على هذا السؤال الحاسم: من هو المسيح بالنسبة لي؟

هل تعرفون قصة زكا العشار؟

من كان زكّا؟ كان عشاراً ، رجلاً غارقًا في هموم الحياة اليومية ، يكسب خبزه من الصباح الى المساء. بجمع الضرائب ـ بيدين غير نظيفتين تماماً . . .

كان له دخل وفير وحياة هنيئة . . . ولكن نفسه، اسوة بالملايين من امثاله، كانت في عمق اعماقها ترغب من حين لآخر بلقيا الله، الله المنسي منها. بلغته ذات يوم اخبار «النبي الجديد» ومعجزاته والتعليم السامي الذي كان يعلّمه . . . وذاع الخبر ان النبي سيمرّ بمدينته اريحا . . . فاجتاحته رغبة شديدة : اريد ان اراه.

ولكن ما السبيل الى ذلك؟ ان قصر قامته يمنعه من رؤية اي شيء بين الجمع . خطرت بباله فكرة ناجحة : تسلّق شجرة تين استطاع منها ان يشاهد الموكب. ولكن الربّ الذي يرى اعمق خبايا النفس سريّة، السيد الذي لا يفوته بصيص الارادة الحسنة التي تحتضر تحت القشرة اليابسة، السيد الذي حسب تعبير احد القديسين، يخطو نحونا بقدر ما نخطو نحوه، سيدنا يسوع المسيح ادرك الرغبة الحارة في اعماق زكّا فتوقف تحت الشجرة وامام الجمع المندهش قال له: «زكّا انزل عاجلاً لانني سأنزل اليوم في بيتك». (لو١٩/٥).

كنت قد سألت: من هو المسيح بالنسبة اليك. لان بيننا اليوم من امثال زكّا. اناس مسبوقون مثله بالحياة. اناس يهدد غلافهم القاسي بخنق اي انطلاقة ولو قصيرة نحوالدين، نحو الله والحياة الأبدية . . . اناس لم يمت فيهم تماماً الشوق الى المسيح - طوبى لهم ان هم التقوا ذات يوم المسيح «الموضوع لقيام كثيرين»!

تراودني فكرة عما تراه يحدث لو تجوّل ربنا ذات يوم في شوارع المدينة الاشد ازدحاماً بالناس. ابناؤه البررة، تلاميذه الابطال يتبعونه حالاً بفرح لا يوصف كما يفعلون ذلك في شهادة ايمانهم العلنية في تطوافات عيد الجسد او غيرها من زياحات القربان الاقدس. ولكن يا للأسف، كم من المترددين، ضحايا الحياء البشري الذين يسرعون الى استئجار نافذة في الطابق الثاني الذي

يطلون منه على الموكب ، ومن نافذة عليا ـ بعيداً عن أنظار عارفيهم ! ـ يحيّون بصمت المسيحِ المار امامهم . هم اولئك الذين لا نراهم في الكنيسة بتاتاً ، الذين يُظن بهم في محيطهم انهم لا يؤمنون؛ اولئك الذين تلهث نفوسهم ، اذا جاز القول ، من جري الحياة الصاخبة ولكن وسط جميع نجاحاتهم يُسمع في نفوسهم الشوق الى المسيح . . . لأنه **لا يستطيع ان يعيش بدون المسيح من نظر ولو مرّة واحدة الى عينيه المباركتين** .

لو كنتم تدركون ، ايها الاخوة ، ان المسيح يكلمكم انتم ايضاً (الذين في الطابق الثاني ، الغارقين في درس العلوم الفلسفية ومشاكل النفس العويصة ، كما والقابعين في بيوت الملذات والمراقص . . .) لكم يقول : انزلوا بسرعة يجب ان اقيم عندكم . . .

فقط لا تقولوا ان المسيح لا يكلمكم لانكم بعيدون عنه جداً . لا تقولوا ان خطاياكم اغرقتكم ، دونما رجعة ، الى الابد .

لا ، لا تقولوا ذلك . اسمعوا فقط ما قال زكا للمسيح . نزل زكا من الشجرة مسرعاً وقبل ان يستعيد انفاسه قال: «ها أنذا يا رب اعطي المساكين نصف اموالي واذا كنت قد ظلمت احداً في شيء فإنني اردّه له اربعة اضعاف» فقال له يسوع: «اليوم حصل الخلاص لهذا البيت لأنه هو ايضاً ابن ابراهيم ، لأن ابن البشر جاء ليخلّص ما قد هلك » (لو ١٩/ ٨ ـ ١٠) . انتم ايضاً اصلحوا الخلل ، انتم ايضاً رتبوا بيت نفسكم ، فيأتي المسيح لزيارتكم .

«ها إني واقف على الباب اقرع» يقول الربّ في سفر الرؤيا (٣ / ٢٠) الا تسمعونه يقرع ؟ الا تسمعون دقّات قلوبكم؟ تقولون انها نبضات مردّها الدورة الدموية . صحيح ، ولكن قلبكم تسرع دقاته عندما تتذكرون

خطاياكم القديمة وهي كثيرة. ولكنها تدقّ يضاً شوقاً الى المسيح الذين نسيتموه من زمن بعيد.

آه، اسمعوا وافتحوا قلوبكم وليكن سلامُ نفوسكم المضطربة، المشعُّ سعادةً، اسطعَ برهان على صدق سمعان الشيخ ان المسيح موضوع لفرح وقيامة كلّ الواقفين معه ويخدمونه بامانة.

* *

*

اخوتي، تعرفون ميتة يوليانس الجاحد المرعبة. لقد اضطهد الدين المسيحي بالحديد والنار، واراد ان تنسَ البشرية حتى اسم يسوع. فبعد ان نجح في اغراق الجماعات المسيحية بالدماء، سأل ساخراً احد المسيحيين: والآن ماذا يفعل الجليلي النجّار؟ فاجاب المسيحي بهذه الكلمات الطافحة بإيمان لا يتزعزع: «انه ينجّر نعشك». في الواقع كان تابوت يوليانس جاهزاً وعندما كان دمه ينزف في ساحة القتال وهو ينازع، ملأ قعر كفّه من دمه ورشق به السماء صارخاً من شدّة اليأس: لقد انتصرت ايها الجليلي!

نعم، تاريخ العالم يشهد ان مسيح الجليل كان دائماً منتصراً.

ولكننا لا نريد ان نؤدي له الاكرام على مثال يوليانس الجاحد، الذي حطّمه اليأس ولا شاه ـ ولكننا **نكرّمه بهذه الصلاة الصادرة عن قلب مفعم بالتقوى والفرح: لقد انتصرت ايها الرب يسوع، فكن ملك نفسنا المطواعة**. آمين

المسيح إله: شهادة التاريخ

(٣)

اخوتي،

هذا سادس احدٍ نعالج فيه السؤال اياه: ما رأيكم بالمسيح؟ ابن من هو؟

قد يوجدُ بينكم من فقدَ صبره متأففًا: اهذا هو السؤال الأكثر الحاحًا؟ اليس لديك موضوعٌ اكثر أهمية؟ عليك، بالأحرى، ان تعالج مواضيع كهذه: اين اجدُ ما يؤمّن دفع فائدة ديوني؟ ماذا أُلبسُ اطفالي؟ ماذا نأكلُ؟ كيف اجدُ عملاً؟ كيف احتلُّ مقامًا ارفعَ؟ اما من كان المسيحُ وما رأيُ الناس فيه فهذا لا يشبع جوعنا.

لا يشكّكم استخدامي مثل هذه التعابير الفظّة لأبداء فكرتي. فهي ليست، للأسف، من اختراعي، ولا من نسج الخيال لكنّها واقعٌ مؤلم. يوجد في ايامنا الوفٌ مؤلفة من الناس يظنّون ان الانسانَ يحيا بالخبزِ فقط وليس بكلام الله ايضًا. نجد اليوم نفوسًا كثيرة استقرَّت في اجواء القطب الشمالي الباردة حيث لا صلاة ولا قداس احد، لا اقتبال اسرار ولا حياةَ ابدية. . . لا شيءِ سوى جباهٍ معفّرة منحنية نحو الارض وظهور يقسمها التعبُ وسعي لا هوادةَ فيه وراءَ الخبزِ اليومي.

مع ذلك ايها الاخوة. . . مع ذلك اقول ان اهمَّ سؤال بالنسبة لنا هو ان نعرف من هو المسيح. مشكلة الخبزِ مهمّة، هموم الحياة، على كثرتها، مهمَّةٌ، موضوع العمل والسكن مهمٌّ. ولكن اليس اهم من كل كفاحات الارض بمئات المرات، ان نؤمنَ ايمانًا وطيدًا بيسوع المسيح الذي يشعّ من

وجهه على ممرّ الاجيال ، شعاع الثقة والقوة والعون الضروري للانتصار في معارك الحياة؟ ما دام هناك بشر على الارض فستبقى الحياة كفاحاً مستمراً ولكن ما تراه يحلّ بنا لو فقدنا ينبوع القوة الوحيد الذي يخوّلنا الانتصار؟

اذن اطرح اليوم ايضاً السؤال اياه: من هو المسيح بنظر التاريخ؟ أما ان يكون المسيح اكثر من مجردِ انسانٍ، فهذا ما تدلُّ عليه - عدا براهين المواعظ السابقة - ظاهرة بينةٌ. لا ادري اذا كان لهذه الفكرةِ تأثيرها على الآخرين مثله عليَّ، اما انا فيلزمني القول انها رسَّخت ايماني بالمسيح بنوع خارقٍ.

ما هذه الظاهرة؟ هي هذا الشيء الفريد الذي لا يمكن شرحُه: **بعد الفي سنة لا نستطيعُ ان ننسى المسيحَ يسوع**. لا يستطيع ذلك محبوه، لا يستطيع ذلك مبغضوه ايضاً. فلو كان انساناً كباقي الناس الذين عاشوا على وجه الأرض، عندها يستحيل علي فهمُ هذا الواقع العجيب والمدهش.

أُؤكد ان هذه الفكرة هي هكذا مهمة، بالنسبة لي، حتى لتستحق ان اكرس لها عظة اليوم كلَّها في نقاط ثلاث: (١) **ننسى كلَّ شيء، فقط** (٢):**لا ننسى المسيحَ، اذن** (٣):**المسيح ملك الأبدية الذي لا يموت**.

١

ننسى كل شيء.

اخوتي، اذا رميت حجراً في الماء اسمع دوياً وارى حيث سقط الحجر مستديرات تكبُر متعاقبة في تموجاتها. فاذا كان الحجر صغيراً فهو يُحدث بالكاد بعض التجعيدات اما اذا كان كبيراً فالتموّجات تنتشر على مدى اوسع وتدوم مدة اطول؛ ولكن بعد مرور الوقت - اكان الحجرُ كبيراً ام

صغيراً ـ فان التموّجات تنتهي وتعود المياه الى ركودها ويستقر الحجر، كبيراً ام صغيراً، في قعر الماء.

كل انسانٍ يشبه حجراً القي في بحر تاريخ العالم الواسع جداً. اينما كنا، مهما كان مقامنا ومعرفتنا، غنانا واسلوب عيشنا فاننا نحدث بعض التموجات السطحية. مهما كان المركز الذي احتله بسيطًا فانني أُألفُ جزءاً من مجموعة الناس وبدوني لا يكون التاريخ ما كا نه معي. لا شك انْ اكثر الناس ليسوا سوى حجارة صغيرة في بحر واسع: بالكاد تحدث بعض التجاعيد على سطح الماء، انما هناك رجال عظام اشتهروا في التاريخ، ابطالٌ وفاتحون، مخترعون وعلماء وفنانون رفعوا حولهم امواجًا عاليةً جداً واحدثت نشاطاتهم حلقات واسعة جداً. . . ولكنهم كباراً كانوا ام صغاراً. . . نهايتهم هي هي، شأن كل الناس: عندما ننزل الى أعماق البحر، الى اعماق القبر، تأخذ الأمواج تهدأ. . . «عما قليل وتنسون كل شيء، عما قليل وينساكم الجميع».

هذا هو المصير المشترك لكل الناس: انه مصير الابرار والأشرار. وُجد ملوك عظام كانت تنحني اجلالاً لهم شعوبٌ بكاملها واليوم لا يعرفهم احد. كذلك وُجد اناسٌ ذوو قلوب كبيرة، كلُّها شفقةً وحنانًا، قيل يومَ دفنهم: «ان ذكرَ احسناتِهم سيدومُ الى الأبد، ـ واليوم لا احدَ يعرفُ من هم. وُجدَ طغاة دمويون ارسلوا الى الموت مئاتِ والوفَ الضحايا، كان الآباء طوال خمسينَ سنةٍ، ولربما مئة، يتملَّكُهم الرعب عندما يقُصّون على اولادهم فظاعات إجرامِهم؛ ولكن ماذا بعد ذلك؟ لا شيء. لقد اختفوا تحت الماءِ، لقد ابتلعهم القبرُ واصبحوا نسياً منسياً.

لماذا تراني اعطي امثلةً من الماضي؟ في كثيرٍ من العيال نرى صورَ الآباءِ معلَّقةً على الجدران، الأبناءُ ينظرون اليها باحترامٍ. ـ صور الأجدادِ الأقدمين

اصفرَّ لونُها كثيراً فينقلونها الى «المتخّت» او «القبو» . . نعم ننسى كل شيء ، كل شيء .

والآن ايها الأخوة اصل الى المعضلة الكبرى: شريعة النسيان التي لا تعرف شواذاً ، وحدَه شذّ عنها سيدُنا يسوع المسيح . **نحن لا ننسى المسيح .** المسيحُ لا يزالُ اليومَ ايضاً محبوباً هكذا ، ومكروهاً هكذا كرهاً جهنمياً حتى ليستحيل ان يكون انساناً لا غير ، واحداً من صانعي التاريخ .

٢

لا يمكن ان ننسى المسيح

أ) اليوم ايضاً نحبُّ المسيحَ .

١ ـ اجيبوا على هذا السؤال فقط:

ما هي قصة المِيلاد؟ هي حكاية ميلاد المسيح . ولكن اليس من المدهشِ ان لا ميلاد قبله ولا ميلادَ بعدَه احدث مثل هذا التأثير؟ مع ان مليارات الأطفال ولدوا في هذا العالم ، اولاد امراءٍ وملوكٍ واباطرةٍ . ولكن من همَّهُ امرُهم . حتى ولو كان ابن اعظمِ الملوكِ فماذا يعني ذلك بالنسبة لمعاصريه ولابناءِ الأجيالِ اللاحقةِ ؟ **وحدَه ميلادُ المسيحِ لا نزال نحتفلُ به حتى اليوم .**

ونحتفلُ به من بعد موته ايضاً. طبعاً نحتفلُ كلَّ سنةٍ ، بمولد اصدقائنا واهلنا ـ ما داموا احياءً فقط . من يعيّدُ ميلادَ ميتٍ؟ ولكنه جاءَ ارضنا ذات يومٍ طفلٌ صغيرٌ في بلدٍ بعيدٍ مجهول ، في اصطبلٍ مهجور ، لم يعشْ طويلاً على هذه الأرض ، ثلاثاً وثلاثين سنةٍ فقط . مع ذلك فقد خطَّ في التاريخِ اثلاماً هكذا واسعةً حتى ان ميلادَه يَحتفِلُ به ليس المسيحيون فحسب بل غيرُ المسيحيين ايضاً بابهةٍ مشرقةٍ بالسعادةِ والتقوى والهناءِ والفرح .

من كان هذا الطفل؟ هل هو في الواقع انسانٌ؟ طبعًا، بدون شك. ولكن يجبُ ان يكونَ اكثرَ من ذلك بكثير.

٢ ـ لا نعيّدُ لذكرى المسيح فحسبُ ـ **المسيحُ يعيشُ بيننا اليومَ ايضًا**. نحن لم ننسَ المسيح: انه حي فينا واسمه مسموعٌ كل يوم على شفاهِ ملايينِ المصلّين. لم ننسَ كلماته؛ ابسطُ كلماته ترنُّ في آذاننا كما لو قيلت امسُ. لست اعلمُ اين وُلِدَ جَدّي وماذا صنعَ في عمرِ الثانية عشرةَ؛ لا اعرفُ ما قالت جدتي قبلَ وفاتها، اجهلُ كل ذلك... مع انه حدث منذ اربعين او ستين سنةٍ، اما اين ولدَ المسيحُ من الفي سنة وماذا فعلَ بسنِ الثانية عشرة في هيكل اورشليمَ وما كانت كلماتُه الأخيرة على الصليب، فكلٌّ ولدٍ في التعليم المسيحي يعرفُ ذلك. ان ملايين القلوب تختلجُ بسرعةٍ عند لفظ اسمه واوجاعُ الملايين من البشر تخِفُّ عندَ النظرِ الى صليبه، مئاتُ الملايين يستمدُّون منه القوةَ لإتمام واجباتِ حالتِهم دونما تذمر وبصمت. وُجدَ في الماضي ويوجدُ اليوم وغداً من هم مستعدون للأستشهادِ في سبيله. وُجد ويوجد من هم على اتمِّ الاستعدادِ للتضحيةِ باعلى المناصبِ لخدمته.

قال احد الملحدين يومًا لراهبةٍ، مولجةٍ بالمرضى، عندما رآها تعتني بصبرٍ ملائكي برجل ذي مرضٍ كريه: «اسمعيني ايتها الأخت العزيزةُ، انا لا اعتني بهذا المريضِ ولو اعطوني مائة فرنكٍ في النهار».

«انا ايضًا لا افعلُ ذلك مُقابلَ مئتي فرنكٍ، اجابته الراهبة، ثم اردفت بهدوء:... «ولكنني اعتني به حبًا بيسوع المسيح».

هذا بالضبط ما لا أستطيعُ فهمه. لا افهمُ كيف ان المسيحَ لا يزالُ بعد الفي سنة حقيقةً حيةً في قلوبِ مئاتِ ملايينِ الناسِ، لا احدَ يستطيعُ فهمَ ذلك

او تفسير ذلك الا من عرف ان **المسيح مات حقًا ولكنه الهٌ ايضًا وهو بالتالي حيٌّ فينا**.

اثّرت هذه الفكرةُ في نفسِ **نابوليون** تأثيراً كبيراً عندما كان منفيًا في جزيرة القديسة هيلانة، فقال يومًا لمرافقه الجنرال برتران: «. . . وهذا ما يدهشني بالاكثر ويبرهن لي بالتأكيد ان المسيح الهٌ. انا ايضًا استطعتُ اثارةَ الجماهيرِ فذهبتْ الى الموتِ من اجلي ولكن حضوري هو الذي أَجَّج في قلوبهم النارَ المقدسةَ، كذلك الشرارة الكهربائية في عيني، في صوتي، في كلماتي. ان فيَّ قوةً سحرية خفيةً تحرّكُ الناسَ، لا اتمكّنُ من نقلِها الى الآخرينَ، لا استطيعُ اعطاءَها لقوّادي، لا اعرفُ كيف اخلّدُ اسمي ومحبتي في قلوبِ الناس. لا استطيعُ ان اصنع معجزةً بدونِ المادة. وهكذا كانت الحالُ بالنسبةِ لقيصرَ والإسكندر. سينسانا الناس. ان اسماءَ الفاتحين تصلُح فقط مواضيع انشاءٍ للفروضِ المدرسية. اي هوةٍ سحيقةٍ بين حقارتي ومملكةِ يسوعَ الأزليةِ، هذا المسيح الذي يُحبّ ويُعبد ويُبشّر به في كل انحاء العالم! فهل مات المسيح؟ اليس ذلك بالأحرى حياة خالدة؟ نعم، المسيحُ مات ولكن هذه ليست ميتة انسانٍ بل ميتةَ اله».

عندما توفي لينين حنّطوا جسدَه ووضعوه في مدفنٍ في موسكو كلَّف مبالغَ طائلة ليكون بحوذةِ الفكرةِ السوڤياتية ذخيرةٌ يحجُّ اليها الناس. ولكن جسدَ لينين دبَّ فيه الفساد رغم ذلك فاضطروا ان يُحرقوه ويقفلوا المدفن؛ مع انه لم يمضِ على موت لينين سوى بضع سنوات فقط. (١)

---

(١) الآن يفكرون بنقل رفاته من الكرملين الى مكان مغمور. (المترجم)

سيدُنا يسوع المسيح مات من الفي سنةٍ . . . ويكفي ان تذهبوا الى قرية صغيرة او كنيسةٍ في احدى العواصم ، فتجدوا امامَ قبرِ المسيحِ او امامَ القربان الأقدس ، في اي ساعةٍ من النهار اناساً يصلّون بصمتٍ ويعبدون بالإيمانِ ليس مسيحاً محنَّطًا بل مسيحًا حيًا ساكنًا بيننا مدى الدهرِ . . . ان كان المسيحُ مجردَ انسانٍ فهل يمكنُ فهمُ مثلَ هذا الحبِّ نحوه؟ وخاصة . . . **هذا البغضَ تجاهه.**

ب) للمسيح مبغضون اليوم ايضًا.

كان له مبغضون طوال الفي سنةٍ ، وله اليوم ايضاً مبغضون يريدون بكرهٍ شيطاني محوَ اسمِه من ذاكرةِ الناسِ ويهاجمونه بمكرٍ ووحشية جهنميين . هذا ايضاً لا افهمه ان كان المسيحُ انسانًا لا غير .

١ ـ افهم ان يكون هذا البغضُ موجهاً ضدَ طاغيةٍ من طغاةِ التاريخ كان جلاَّد معاصريه . لا ، ليس فراعنة الأهرام ولا نيرون الملطخ بالدماء ، ليس هؤلاء من يكرهُهم الناس ـ انه يسوع الناصري من يبغضون ـ وهذا ما لا استطيعُ فهمَه . لو كان المسيحُ مجردَ انسانٍ لكان شخصُه محاطًا بهالةٍ من الاكرامِ في تاريخِ البشرية جمعاءَ . هل تسببَ بضررٍ لأحد؟ هل علَّم الناسَ اموراً مشينة؟الم يعلن شريعةَ المحبة العظمى؟ الم نسمعْ منه مثلَ السامري الرحيم؟ هل يمكن ان نبغض مثل هذا المسيح؟ هل يمكن محاربتُه باسلحة التشيكا السوفياتية الجهنمية؟ واليوم ألا يغلي ضده مزبداً حقد الثوار في اسبانيا؟(١)

المسيحُ لم يكن مجردَ انسان . كان اكثر من ذلك بكثير وهذا ما يدلُّ عليه هذا الواقع الغريب في التاريخ . المسيح أُعدمَ منذ عشرين جيلاً ولكن ذكراه

(١) جرى ذلك في الحرب الاهلية في اسبانيا سنة ١٩٣٤ . (المترجم)

المباركة وقوتَه ومحياه القدوس ، كل ذلك لا يزال حياً في قلوب مئات الملايين الذين يحبونه حتى اليوم . لقد مات المسيحُ من الفي سنةٍ واعداؤه لا يزالوا يرهبونه ايضاً وابداً ويسعون اليومَ أيضاً لإماتتِه من جديد .

٢ . لننظرْ الى الأمور من الوجهة البشرية المحضة: هل يمكن تفسيرُ هذا البغضِ ، وهذه الأجيال العشرين للمسيحية مع كل معارِكِها وديمومتِها وانتصاراتِها ، هل يمكن تفسيرُ ذلك ان كان المسيحُ مجرَد انسانٍ مات على الصليب؟

«**لقد تمَّ كلُّ شيء**». كانت هذه آخر كلمات المسيح المنازع على الصليب . فلو كان مجرد انسان لجاءت عندئذ كلماته هذه اعلاناً لخيبةٍ وفشلٍ نهائيين وليس بمعنى ان عمل الخلاص الأعظم قد تم بل «ان كل شيء انتهى» .

«**تم كل شيء**» ـ «**انتهى كل شيء**» قال الجمعُ عند عودته من الجلجلة مستعيداً انفاسَه بعد زلزال الأرض وخسوف الشمس . لا داعي للخوف بعدَ الآن ، انتهى كل شيء .

«**تم كل شيء**» ـ « **انتهينا أخيراً**» قال بالتأكيد بيلاطس الذي لم يعرف الراحةَ والهدوء بعد اصدار حكمه ، كذلك هيرودس الذي خاف من اندلاعِ ثورةٍ بسبب اعمال يسوع .

«**تم كل شيء**» ـ «**أخيراً انتهينا**» هتفَ بارتياحٍ كلي اعداءُ المسيح ، لقد سبّب لنا مشاكلَ كثيرة وحرمنا لذة النوم ليالٍ طويلةٍ ـ الآن نستطيع ان ننام ملء جفوننا .

«تم كل شيء» - **«هل هي النهاية اذن؟»** فكَّرَ الرسلُ وسطَ النحيبِ وخيبةِ الأمل.

وبعد ان ختمَ المسيحُ حياتَه بهذا الفشلِ الذريعِ، اشرحوا لي كيف يمكن، بعد عشرين جيلاً من التحولِ في الأفكار والمؤسساتِ والإصطلاحات البشرية، لم ينسَ الناسُ يسوعَ المسيحِ - بل اكثر من ذلك، انه يحتلُّ اليوم ايضًا مقامًا هكذا ساميًا في تاريخ العالم، مقامًا هكذا رفيعًا حتى انهم اليوم ايضًا ينقضّون عليه ببغض لا يمكن ثبر غوره ليميتوه يومًا من جديد لو قدروا... ولكن ما الجدوى من اعدامِ من قد صلبَ يومَ الجمعةِ العظيمة؟ عادةً لا يعدمون من قد مات...

٣

المسيح هو ملك الأبدية الذي لا يموت.

عندما نتأملُ هذه المعطيات يتبادرُ الى ذهنِنا هذا المقطعُ الرائعُ من الكتاب المقدس فنهتف مع القديس بولس بقوةٍ لا تقهر: «الى ملك الدهور الذي لا يموت ولا يرى، الإله الواحد، الإكرام والمجد الى ابد الدهور» (١تيمو١/١٧) المسيح هو اله حقًا لأن اجيالَ التاريخِ تعلنُه ملكَ الدهورِ الذي لا يموت.

١. نعرفُ هذا البغضَ الذي لا حدّ له الذي به لاحق الفريسيون المسيحَ لعشرينَ جيلا خلت، - وها هو **البغضُ نفسه** يتأججُ اليومَ ايضًا ضدَّ صليب المسيحِ والكنيسةِ. نعرفُ هذه المحبة الحارّةَ والسخيةَ التي اظهرها تلاميذُ المسيح نحو معلمِهم منذ عشرين جيلاً - **وها هي شعلةُ المحبة نفسها** تُضرِمُ اليومَ ايضًا ملايين القلوب السخيةِ. اي شخصٍ اعطاه التاريخُ كان هكذا مكروهًا

وهكذا محبوباً طوالَ الفي سنة، رغم سنّةِ الزمنِ الكبرى، الزمن الذي يدفنُ الاشياء شيئاً فشيئاً وينسى كلَّ شيء.

صحيحٌ ان المسيحَ قد ماتَ ميتة الأبطالِ لأجل فكرةٍ عظيمة. الم يمت كذلك ببطولة مئات الألوف والملايين من الناس لخمسِ عشرة سنة خلت (١) في سبيل فكرة كبرى واسماؤهم يعلوها الغبار وغالباً ما نجهل مكان مثواهم؟ فلو كان المسيح مجردَ انسانٍ للقي حتماً نفس المصير.

كم من رجالٍ اشتهروا في التاريخ باراقتهم دماءَ الناس انهاراً، في سبيل مخططاتِهم التعسفية، فلاحقتهم لعناتُ البشر بالألوف حتى مثواهم ـ ولكن من يحقدُ عليهم اليوم؟ كم من دموع ذرفت يوم مات اصحاب القلوب الكبيرة ـ اما اليوم فمن يذرف عليهم دمعةً واحدة؟

يكفي لربما ان نرجعَ الى **نابوليون** مرةً أخرى. في البلدانِ التي قهرها وتسلط عليها اقترن اسمه بالرعب الدموي لمدةٍ من الزمن. والآن؟ بعد وفاته باكثر من مائةَ سنة؟ الجيل الثالث والرابع لمن قاسَوا نيرَه يُعجبون به كبطلٍ ويحجّون الى قبره تحت قبة الا نفليد (Invalides). كيف استطاع هذا الرجل ان يوحيَ لجنوده بمثلِ هذا الأزدراءِ بالموت لمّا كان في السلطة. والآن؟ اكثر من مائة سنة بعد وفاته، هل نجد انساناً واحداً يدفعُه اسمُ نابوليون للقيام بتضحيةٍ واحدة؟ نعم، الوقتُ يهدّئ بلا رحمة كلَّ الأمواجِ التي رفعها انسانٌ ـ ولو الأعظم ـ في بحرِ تاريخِ العالم. فان كان المسيحُ رفعَ امواجاً لم تهدأ بعدُ، لم تنقص ولم تسكن ابداً فهل نحتاجُ الى علامةٍ اوضحَ لنرى انه كان اكثرَ من انسان ـ أنه الهٌ ـ انسان وملكُ الدهورِ الذى لا يموت؟

---

(١) إبان الحرب الكونية الاولى. (المترجم)

علينا ان نتابع . . . المسيح ملكُ الابدية ولكن ليس بمعنى تذكارِ انسانٍ مات بل بمعنى انه **يتفجّر اليوم ايضًا من شخصه ينبوعُ قوىً لا ينضبُ ابدًا**.

ان كان المسيحُ انسانًا فقط **من يمكنه اذ ذاك فهمَ هذا الخضمّ الواسعَ من القوى الأدبية والحضارية وهذه الجاذبية التي لا حد لها** التي تشع دائمًا من ذكر هذا الأنسان الذي أُعدِمَ كمجرمٍ من عشرين جيلاً. هل يستطيعون حلَّ هذا اللغزِ من لا يرون في المسيح الا انسانًا فقط؟

في عظةٍ سابقةٍ اوردتُ هذه الكلماتِ لنيتشه(Nietzche) التعيس: «عندما نسمعُ صوتَ الأجراسِ ايام الآحاد نتساءَل: هل هذا ممكن؟ وكل ذلك لأجل يهودي صلب منذ الفي سنةٍ وقد ادّعى انه ابنُ اللهِ؟» في الحقيقة ان كان المسيح مجرّد يهودي مجرمٍ عُلقَ على خشبةِ العار، لوجدنا ذاتنا امام لغزٍ هكذا صعب حتى لنفقدنَّ عقلنا. نيتشه فقد لهذا السبب عقله. لقد جرَّدَ حرب ابادةٍ ضدَ المسيح، ضد اليهودي المصلوب وضدَّ ديانته ـ ولكنه سقطَ في هذه الحرب. في آخر رسالة حررها قبلَ ان يدركَه ليلُ الجنون، نجدُ هذه الكلمةَ الرهيبة: «المصلوب». المصلوب الذي تدورُ حوله حربٌ طاحنةٌ منذُ عشرين جيلاً والذي قامَ ضده ما لا يُحصى من الثائرين، بقي ملك الدهور المبارك حتى النهاية.

صحيحٌ ان ربنا تحيطُ به اشياءٌ لا يمكنُ فهمُها وتبقى هناك معضلات كثيرة بسبب عقلنا الضعيف الذي يعجزُ عن ادراكِ سرٍّ تجسدِ الله ادراكا كاملاً.

ولكن من يقرأُ حياتَه في الأنجيلِ بنيةٍ صافيةٍ ويتأمل كلماتِه التي تدلُّ على وعيه لاهوته، من يرى آياتِه وشخصيته التي تخرج عن اطارِ البشر، من يعرفُ ضعفَه الذاتي وكلَّ العجزِ البشري، من يشعُر في ذاته الأسى والوحشةَ

اللذين يعتريان طريقَنا اليومية على الأرض؛ من يضطرُ الى طلب الرحمةِ وسطَ فخاخِ الخطيئة ـ مثل هذا الانسانِ لديه كلٌّ الاسباب ليؤدي شهادة الايمان بنشوة المنتصر: «انت هو المسيح ابنُ اللهِ الحي».

* *

*

في الإنجيل ايها الأخوة، كلام مثير عن الحوار بين الشيطان المجرّب والمسيح الصائم في البرّية. الملاكُ الساقطُ يقتربُ من المسيحِ ليقومَ بمحاولةٍ وقحة لم يُسمع بمثلها: ان يحملَ الربَّ على الخطيئة. كفحيحِ الأفعى تخرجُ من فمهِ كلمةُ الأغراء: «اعطيكِ هذا كله ان خررت ساجداً أمامي» (متى ٩/٤). الجوابُ الساحقُ يخرجُ من فم المسيح كالبرق، بغضبٍ مقدسٍ: «اغربْ عني يا شيطان». ثم اتت الملائكة وبدأت تخدمه.

الشيطان ابتعد عن المسيح، ولكن كلماته: «اعطيك ذلك ان خررت ساجداً امامي» لا تزال تتكرر خلال تاريخ الكنيسة منذ الفي سنة. اليس ان تاريخ الكنيسةِ هو معركةٌ هائلةٌ حول هذا السؤال: «ما رأيكم بالمسيح ايها الناس؟ من تعبدون؟»؛ لأن كل انسانٍ يعبدُ شيئًا او شخصاً.

التاريخُ، ايها الإخوة، يطرحُ علينا هذا السؤال: **من تعبدون؟ المسيح ام الشيطان؟**

ولكن جوابنا هو هذه الكلماتِ للقديسِ بولسَ: «ان كان هناك ما يسمى الهة... اما نحن فليس عندنا سوى اله واحدٍ هو الآب الذي منه كل شيء واليه نعودُ، وربٌّ واحد هو يسوع المسيح الذي به كان كلُّ شيء وبه نحن قائمون» (١ كور ٨/٥).

وانني اجثو امام المسيح ، اسوةً بمن فعلوا من اعلام البشرية طوال عشرين جيلاً واقول معهم: انني ايها السيدُ مضطرٌ الى الإيمان ، مجبرٌ على الاعترافِ بانك لست كواحدٍ من الناس ، انساناً مائتاً وزائلاً . يجبُ ان تكون ارفع منا ، يجب ان تكون الهاً . تعاليمُك لم ينطق بمثلها بشرٌ ، مذاهبُ الفلاسفةِ لم تقاربْ حمكتَك . عواصفُ التاريخِ لم تُذبلْ ذكرَ اسمِك . ذكراك لم تدفنْ في رفوفِ المكاتبِ كذكرى نوابغ العظماء ـ ولكنها حيَّةٌ في نفوس ملايين الناس . صورتُك لم تخلَّدْ في تماثيل الرخامِ النصفيةِ الباردةِ ـ كتماثيل اعاظم العلماء ـ بل في قلوب ملايين الناسِ الخاشعةِ والمُحبّة .

ايها المسيحُ المصلوبُ ، المذبوحُ، المطرودُ بعيداً عنا ومع ذلك انت حيٌّ فينا ، لا يمكنِ ان تكونَ انساناً لا غير أؤمن بك إلهاً وابناً لله الحي . آمين .

وجه المسيح

إخوتي،

اودُّ اليومَ ان اكلمكم عن وجه المسيح.

وجه المسيح؟ تسألون متعجبين لربما. كيف كانت نظرته، عيناه، شعرُه وملامحهُ؟ هذا مثير حقًا. لقد رسموه بوجوه مختلفة. عددٌ لا يحصى من الرسامين والنحاتين ابرزوا صورته ولكن هذه الصور تختلفُ من فنانٍ لآخر. الآن سنعرف بشكل اكيد كيف كان محيا سيدنا يسوعَ المسيح.

لا، اليها الإخوة، لا استطيع ان اعدَكم بذلك.

كيف كان منظر المسيح، هذا ما لن اقلْه لكم لأن لا أحدَ يعرفُ بنوع اكيد كيف كان.

يفيدُنا انْ نتأمل بهذا الواقع الغريب: لا نعرفُ كيف كان مظهرُ المسيحِ: قامتُه، وجهُه. الإنجيليون لم يروا منْ المهمِ ان ينقلوا الى الأجيال مظهرَ المخلصِ الخارجي. اذن لا نملكُ عنه رسمًا اصيلاً. ربّنا نفسُه لم يعلق اهميةً على معرفتنا له بالشكل الخارجي على هذه الأرض: ابيض اللون او اسمره، طويل القامة او قصيرها. لماذا اراد الربُّ ذلك؟ ليس من جوابٍ غيرُ هذا: سيدُنا يسوعُ المسيحُ لا يعلّقُ اهميةً على المظاهرِ، لا على القامة والوجه ولا على لون الشعر ونظرة العينين بل على الروح والروح وحدَها.

مع اننا لا نملكُ عنِ المسيح صورةً نستطيعُ مع ذلك رسمَ وجهِ المسيح. ان الشعورَ الذي يحرِّكُ النفسَ يتركُ على الوجهِ انعكاساته ومن يعرفُ الربَّ يستطيعُ ان يضعَ الخطوطَ الكبرى لوجهِ المسيح.

اودُ في عظة اليوم ان ابدأ انا ايضاً برسمِ وجهِ المسيح . بسبب الوقتِ المعطى لي لا استطيعُ طبعًا ان اعطي صورةً مفصلةً عنه. بالنسبة للكثير من ملامحِ المسيح لا استطيعُ ان أَخُطَّ سوى بعضِ اللمساتِ ، ولكنني أريدُ ان أُبرزَ بنوعٍ خاص ميزيتن تؤثران جداً في نفس البشر.

١

ملامح وجهِ المسيح

وجهُ المسيح! كم من ملامح في وجه الرب!

كان وجهه **عامرًا بالنبل** . ايُّ جلالٍ كان يشعُّ من وجهه عندما اراد مواطنوه المعميون بالبغض ان يطرحوه عن الصخر المبنية عليه مدينتهم ، فاجتاز ما بينهم ومضى دون ان يجرؤ احد ان يرفع عليه يداً . ايّ بهاءٍ كان ينبعث من وجهه على جبلِ طابور! على البحر الهائج! قربَ فراشِ الفتاةِ الميتة ! على قبرِ لعازر! وعندما سقطَ الجنودَ امامَه ارضاً في جبل الزيتون!

وجهُ المسيح **كان يوحي الخوف** ، عندما استحوذَ عليه غضبٌ مقدسٌ بسببِ تدنيسِ الهيكلِ فطردَ التجارَ بسياطٍ لاسعٍ ، ثم عندما كانت كلماته تدوّي كالرعدِ بسببِ اثم الفريسيين: الويل لكم ايها الفريسيون ! الويلُ لكم ايها المراؤون! . . .

كان وجهُه **يطفحُ بالوداعةِ** عندما كان يداعب جباهَ الأطفال وعندما فاهَ بهذه الكلمات الخالدة: «تعالوا الي يا جميع التعبين والثقيلي الأحمال وانا اريحكم» . انعكستْ على وجهه كآبةٌ موجعةٌ ، عندما تركَه الشابُ الثري الذي وجد مشورته صعبة جداً؛ وايضاً عندما تركه تلاميذُه الجبناءُ ساعةَ نزاعهِ؛ وعندما اقسمَ بطرسُ بانه لا يعرفُه. . . يا لكآبة وجه المسيح!

ولكنني لن ادخلَ في كل هذه التفاصيل كي يكونَ عنديَ الوقتُ الكافي لإبرازِ ميزتين تؤثران عميقًا في نفسِ الانسان الذي يكافحُ ويتعثر . ان نفسَنا تستوحي منِ **ملامحِ وجهِ المسيحِ المشجعة** اكبرَ قوةٍ في معارِكِها فيما نفسُنا الخاطئةُ تجدُ تعزيتها الوحيدةَ في وجهِ المسيح!

٢

وجهُ المسيح المشجّع

وَجَبَ على المخلص ان يكون الهًا كيما تأتي قيمةُ تضحيته الغير المتناهية كافيةً للتكفير عن خطايا العالم؛ ولكنه كان انسانًا ايضًا كي تأتيَ حياتُه مثالاً لكل انسانٍ يكافحُ ويصارعُ ويتعثرُ . آه ، مَن يستطيعُ ان يقيسَ هذا البحرَ الخضمَّ من القوى والأمثلةِ والمؤآساةِ والتشجيعِ الذي ينبعُ من وجهِ المسيحِ منذُ عشرين جيلاً على البشرية التي تكافحُ وسطَ الشكِ وتتصارعُ مع القنوطِ وتقتتلُ ضدَّ التجربةِ والخطيئة .

ما السببُ في اتخاذِ الله جسدًا بشريًا وطبيعةً انسانية؟ كي **يشرّفَها ويرفعها ويجعلَها تصبو الى الأبديات.**

القطاراتُ العاملةُ على الخطِ الدولي بين بوادبست وفيينا وامستردام تتوقفُ حوالي ساعة كلَّ صباحٍ في مدينةِ كولونيا فينتهزُ المسافرون هذه الفرصةَ ليزوروا الكاتدرائيةَ الفخمة التي بقربِ المحطةِ . الوقتُ باكرٌ جدًا . . . المدينةُ لا تزالُ غارقةً في سُباتها . . . ولكن العصافيرَ المختبئة في الحديقةِ التي تحيطُ بالكاتدرائيةِ تبدأُ زقزقتَها . وتزدادُ هذه الزقزقةُ بازدياد الصبحِ انبلاجًا . من وقتٍ لآخر تتوقفُ ثم ترتفعُ . . . ثم تبدأُ بعد لحظة نشيدَها من جديد حيث تتناوبُ النبرات الكئيبة مع النبرات الفرحة؛ وعندما يُسمع فجأة جرسُ الصباح

يرسل من علوِ البرجِ الشاهقِ دقاته الخيّرةَ كغيثٍ من التعزيات، عندها ينتهي التردد والقنوطُ والتعثرُ الأليم. من اعلى البرجِ حيث ترتفع اصواتُ الأجراسِ المطمئنة، تسطعُ انوارُ الشمسِ بكل وهجها وكلُّ شيء يسبحُ في النور. وعندما يختلطُ صوتُ الأجراسِ بزقزقةِ العصافيرِ الخجولةِ نسمعُ النغمَ الجميل: القدرةُ الفائقةُ الطبيعةِ ترفعُ اليها الطبيعة. كذلك جاءَ المسيحُ بيننا متكلماً لغتَنا، وسائراً على دروبِنا الوعرةِ كي يرفعنا الى الله في نهاية المطاف. لأنه لولا مجيءِ المسيحِ لكنّا ـ حسبَ تعبيرِ اكليمنضوس الاسكندري ـ دواجنَ مسمنةً في كهفٍ مظلم معدةً للذبح يوماً: لا نهارَ يشرق عليها ولا نورَ، وهي تنتظرُ نهايتها بكثيرٍ من الغباء.

يا لوجه المسيح المقوي!

لقد عاش المسيحُ كلَّ مراحلِ حياةِ البشر ليكونَ لنا مثالاً في كل شيء. لقد صار انساناً وعاش حياةَ البشر واختبر آلامَ الناسِ ولكنه لم يسقطْ تحت وطأةِ اليأسِ والقنوط، لقد تجرّأ المجرّبُ على التصدّي له واعداؤه حاربوه بدون شفقة ـ فعلّمنا كيف ننتصرُ على التجربةِ والعذابِ والعداوةِ. لقد امتُحنَ عندما اقترب منه ابليسُ بتجاربه التقليدية: الجوعُ والكبرياءُ والتعطشُ الى السلطةِ والمسيحُ علّمنا كيف ننتصرُ على التجربة. في جبلِ الزيتونِ خيّمَ على نفسهِ ليلٌ بلا نجومٍ وخرجَ من جسمه المصببِ عرقاً دموياً هذا التوسلُ: «يا ابتاه! ان كان مستطاعٌ فلتعبرْ عني هذه الكأسُ ولكن لا تكن مشيئتي بل مشيئتُك» (متى ٢٦/ ٢٩) - وبهذا علّمنا كيف ننتصرُ على الألم. كان اعداؤه يطوّلون عليه السنتهم ويُصرُّون ضده قبضاتِهم وهو على الصليب: «اغفر لهم ياابتاه لأنهم لا يدرون ماذا يعملون» (لوقا ٢٣/٣٤) ـ وبذلك علمنا كيف نغلبُ اعداءَنا.

هذا هو وجه المسيح المشجع.

٣

وجه المسيح الشفوق

ولكن في وجه المسيح سيمةً اخرى تجعلُه اقربَ الينا من سابقتها. صحيحٌ اننا من اي زاويةٍ نظرنا الى وجهِ الربِّ نجدُه جذّاباً. بعضُ ميزاته تلقي في نفسنا الخوفَ واخرى التشجيعَ. بعضُها يهزُّ مشاعرنا ويجعلُنا نجثو على ركبنا واخرى تجذبُنا بثقةٍ الى قلبه المحب... ولكن هل تدرون ما يؤثر فينا بالأكثر؟ **هو وجهُ الربِّ الرحيمِ وهذه المحبة التي لاحقَ بها الخطأةَ**. التي بها نظر الى الخاطئ التائب... التي بها قال للمرأة الزانية: اذهبي ولا تخطأي من بعدُ... وللصِ اليمين: اليومَ تكونُ معي في الفردوس...

يا لوجه المسيح الشفوق!

لندركْ جيداً هذا الأمر، المسيحُ لم يكرهْ شيئًا في هذا العالم كرهه الخطيئة. الخطيئةُ في نظره شيءٌ رهيبٌ ولكن اعظَمَ من ذلك كانت محبتُه الفائقةُ التي بها قبلَ الخاطئَ التائبَ، حتى ان الفريسيين تشككوا متذمرين: «ان هذا الرجلَ يعاشرُ الخطأةَ ويوآكلُهم» (لو ١٥ /٢).

كان الفريسييون يتشككون من هذه السمةِ في وجهِ المسيح، اما نحن فان رجاءَنا الوحيدَ هو في هذا الصفحِ الذي به استقبلَ الخطأةَ، رجاؤنا الأعظمُ هي هذه الرحمةُ التي لا تقاسُ التي تنبعُ من كلامِه واعمالِه على السواء.

١) ظهرت في كلامه: «ليس الأصحاءُ من يحتاجون الى طبيبٍ، قال ذاتَ يوم، بل المرضى» (لو٩/١٢) وأيضاً: «ان ابن البشر لم يأتِ ليهلك الناس بل لينجّيهم» (لو ٩/٦٥) و«ابن الانسانِ جاءَ ليطلبَ ويخلصَ ما قد هلِكَ» (لو١٩/١٠).

لقد طبَّقَ المسيحُ على نفسه كلمات آشعيا النبي التي بها يصف المسيحَ المنتظرَ: «قصبةً مرضوضة لا يكسرُ وسراجًا مدخنًا لا يطفئُ (أشعيا ٤٢/٣) .

هل اروي قصة الابنِ الشاطرِ الرائعةِ؟ او مثلَ الراعي الصالح والنعجة الضالة التي يرويها انجيلُ اليوم (الاحد الثالث بعد العنصرة)؟ الراعي لا يعرفُ كيف يبدي فرحَه باسترجاعه الخروفَ الضال . . . «هكذا يكون فرحٌ في السماء بخاطيء واحدٍ يتوبُ أكثرَ من تسعةٍ وتسعين بارًا لا يحتاجون التوبة» . (لو ١٥/٧) .

هكذا يعكسُ وجهُ المسيحِ عظمَ المحبةِ الغافرةِ.

٢) ولكن المسيحَ لم يعلن عن رحمته بالكلامِ فقط ، لقد وضعها في العمل . لو اردتُ ان اعددَ كلَّ الأمثلةِ على شفقته في اعطاءِ المغفرة لأضطررتُ ان اقرأ الإنجيلَ بكامله .

ولكنني سأتكلمُ عن بعضها على الأقل .

أ) **امرأةُ زانية** يجرُّونها امامَ الربِ بضجيجٍ صاخب . كم هم فرحين بجرٍّ هذه الخاطئة المرعوبة: الآن سنرجمُها . نفسُ المسيحِ في حال اشمئزاز بسبب هذه الخطيئة الشنيعة ولكن الشفقة تستحوذُ عليه ايضًا تجاهَ هذه المرأة التي يتآكلُها الندمُ . لا يستطيعُ ان يبررَ الخطيئةَ ولكنه لا يريد ان يسحقَ الخاطئةَ المنكسرةَ القلب . بأي حكمةٍ يقولُ للفريسيين: « من منكم بلا خطيئة فليرمِها بحجرٍ» (يو ٨/٧) وعندما توارى هؤلاءِ مسربلين بخزيهم الواحد تلو الآخر ، خاطبَ المسيح المرأةَ بكلماتٍ لا تحاكى بدفئها ، من شأنها ان تحيي وتُنهضَ: «انا ايضًا لا ادينك . اذهبي ولا تخطأي من بعد» (يو٨/١١) .

يا للمحبةِ الشفوقِ نحو الخطأة! يا لوَجهِ يسوعَ الرحيم!

ب) اعظمُ من ذلك تلك الشفقةُ التي اظهرها الربُّ نحو **مريمَ المجدلية**.

سمعان الفريسي دعى يسوعَ الى الغداءِ عنده. الظاهرُ انه فعل ذلك بدافعِ المباهاة لا التكريمِ وإلا لما كان اهمل ابسطَ قواعدِ اللياقةِ اليهودية تجاهَ الربّ.

اثناء الغداءِ، يقولُ الإنجيلي، «دخلت امرأةٌ خاطئةٌ» (لو ٣٧/٧) كان المدعوون جميعهم يعرفون انها من بنات السؤ ولكن الأكيدَ ايضًا ان المجدلية لم تكن ترى المسيحَ للمرةِ الأولى. لربما اختلطت غالبًا بالجموعِ المحيطةِ بيسوع، فكانت نفسها الجافّة من الخطيئة تستقبلُ كلمات المخلصِ كاستقبالِ يَبَس الأرضِ للندى: «تعالوا الي يا جميع التعبين والثقيلي الأحمال» . . . «لم آتِ لأدعوَ الصديقين بل الخطأةَ» . . . «ليس الأصحاءُ من يحتاجون الى طبيب بل المرضى» . . . من المؤكدِ انها سمعتْ من فم الربّ مثلَ هذه الكلمات مرارًا وقلبها تأثّر، اما الآن فلم يعدْ باستطاعتِها الانتظار: يجبُ ان تطلب المغفرةَ مهما كلَّفَ الأمر. كم ازداد خفقان قلبها وهي تعبرُ عتبةَ البابِ.

ما سيكون الآن من امري؟ ما سيقوله لي السيدُ الذي يعرفُ كلَّ شيء؟ هل سيرشقُني بكلامٍ قاس؟ هل سيبعدُني عنه ؟ هل سيطردُني؟ هل سيعاملُني بدون شفقة؟

آه، ايتها النفسُ البائسةُ والشقيةُ ! ليس المسيحُ من يخلو من الشفقةِ بل الناسُ، بل الفريسيون الذين قالوا غاضبين «لو كان هذا نبيًا لعلمَ من هي المرأةُ التي لمسته وانها خاطئةٌ» (لو ٣٩/٧).

ولكن يسوعَ - امامَ دهشةِ الجميع - يأخذُ المرأةَ الخاطئةَ تحت حمايته: «ثم قال لسمعان: أترى هذه المرأة؟ . . . ان خطاياها الكثيرة مغفورةٌ لها لانها احبَّت كثيرًا . . . ثم قال للمرأة: «مغفورةٌ لكِ خطاياك» (لو ٤٤/٧).

يصعبُ علينا ايها الأخوةُ، ان نتصورَ حلاوةَ هذه الكلماتِ التي فاضت كالبلسمِ على نفسِ تلكَ المرأة الباكيةِ خطاياها. كيف؟ هل هذا ممكنٌ؟ لست اذن بعدَ اليوم نفايةَ القوم؟ لن تكونَ نفسي بعد اليوم خِرقةً رثّة؟ لن اضطرً بعد اليوم ان اختبئَ امامَ الناس الفُضلاء؟ لا، لأن من هو القداسةُ بالذات والطهارةُ المجسّدةُ قد احتملني عند قدميه...

يصعبُ علينا ان نتصوّرَ مشاعر المجدلية... ولكن ليس من الصعبِ كثيراً، لأننا نحن ايضاً مررنا بمثل هذه اللحظات. بعد الدقائقِ المحمومةِ من الاستعداد للأعترافِ والإقرارِ بخطايانا تأتي لحظات فرحٍ سماوي: كيف؟ لقد غُفرت كلٌّ خطاياي وعدتُ الى الحظيرة؟!

يا لوجه يسوعَ الرحيم!

ج) اليكم الآن لوحة جديدة: المسيحُ خارج، ليلة خميس الأسرار، من دارِ رئيس الكهنة الذي حكمَ عليه، **ويلتقي بطرس الذي انكره منذ لحظات**. «لا اعرفُ هذا الرجل»، قال بطرس منذ هنيهة، حالفًا اليمين. وها هوالآن امام المسيح. ما الذي سيحدث؟ لساعات خلت صنعَ بطرس مناولتَه الأولى، لساعاتٍ خلت قبلَ سرِّ الكهنوتِ؟ هل تراه سيَطردُ من مصافِ الرسلِ هذا الناكرَ الجميلِ، هذا الساقطَ؟ من المؤكد اننا نحن البشر كنا فعلنا ذلك... اما الربُّ؟ لقد نظر الى بطرسَ لا غير. كم في هذه النظرة من الشفقة، من المحبةِ، من الصفحِ! الكتابُ المقدسُ لا يذكرُ ذلك، فقط يذكر ان نفسَ بطرسَ استحوذَ عليها تأثرٌ عظيم. «والتفت الربُّ ونظرَ الى بطرسَ... فخرج بطرسُ وبكى بكاءً مراً» (لو ٢/٦١-٦٢).

يا لوجه المسيح الشفوق!

واخيراً ننتهي بهذا المثلِ: **المسيحُ على الصليب** . تحتَ الصليبِ تقفُ العذراءُ القديسة، ونحن نتوقعُ ان يوجّهَ آخرَ كلماتِه لأمه. لا : «اغفر لهم يا ابتاه»، على الآبِ ان يغفرَ لأعدائه المجرمين الذين بصقوا بوجهه وعلّقوه على الصليب، وهم الى الآن لا يزالون يشتمونه. . . على الآب ان يغفر لهؤلاءِ.

لصُ اليمين نادى صارخًا: «اذكرني يا ربُّ اذا ما اتيتَ في ملكوتك» (لو٢٣/٤٢) والمسيحُ يدير نحوه وجهه المغطّى بالدماءِ والدموعِ ويقول له بصوت مليءٍ بالرحمةِ والغفران: «اليومَ تكونُ معي في الفردوس» (لو٢٣/٤٣).

وبعد ان صلّى لأجل اعدائه وغفرَ للخاطيء التائبِ، عندئذ فقط خاطبَ أُمَّه مودّعًا.

يا لوجه المسيح الرحيم!

والآن اجيبوا بمثابة وداع، على هذا السؤال الخطير جداً: **كيف ترون الان وجه المسيح**.

كيف يبدو وجهُ المسيحِ الحيِ فيكم؟ في الواقع وجهُ المسيح يعيش في كلٍّ منا حسبَ نوعيةِ علاقتنا بالرب. اذا كانت الخطيئة تعشّشُ في نفوسكم فان وجهَ المسيح يرسلُ بروقًا. اذا كانت حياتكم حافلةً بنكرانِ الجميل وغير اهلٍ بالاسم المسيحي فوجهُ المسيحِ يبدو حزينًا كئيبًا. اما اذا كنتم تحيَون بالمسيح، اذا كان المسيح كلَّ شيء بالنسبة لكم، اذا كنتم تنامون وتستيقظون معه، اذا كنتم معه تتألمون وتموتون، فان وجه المسيح يشدّدكم ويشجعكم وفي حال القنوط من الحياة الارضية المليئة بالكفاحات، وجهُ المسيحِ الشفوقِ يُشرقُ عليكم.

«أَرِنا ايها الربُّ وجهَكَ فنخلص» .

عندما يطنّ في اذنيَّ صوتُ المجرّب ، القِ عليّ نظرةً مشجعة . عندما تئنُّ نفسي تحت وطأةِ العذابِ والألمِ ادرْ نحوي وجهَك المقوّي ، عندما اقعُ ضحيةَ الإحباطِ والقنوطِ من الحياة التفتْ الي بوجهِك المشجعِ والمحيي .

واذا زللتُ احيانًا في هذه المعركة الدائمة وسقطتُ في الخطيئة لسوءِ حظي ، فانظر دموعَ ندامتي والقِ على نفسي التائبةِ نظرةَ وجهك الرحيمِ والغافر . . .

اطبعْ في نفسي ايها الربُّ ملامحَ وجهكِ المقدس كيلا اخونَك ابدًا في حياتي . لن اخونك ايها الربّ ابدًا . آمين .

ماذا حمل الينا المسيح؟

(١)

الله

اخوتي ،

في صيف ١٩٠٧ قام الأمير «بورغيز» برحلةٍ شهيرة في سيارة من بكين الى باريس . فقطع هذه المسافة الشاسعة طوال شهرين وسط مصاعب كثيرة ، منها اجتيازه صحراء «غوبي» الكئيبة والخاوية .

عندما كان يجتازُ الصحراء بعناءٍ بانت له فجأةً في البعيد نقطةٌ ما برحت تتسعُ حتى تكشّفت عن منزلٍ صغير منعزل هو مركز البريدِ والبرق «بانغ - كيانغ» الذي يبعدُ عن اقربِ منطقةٍ مأهولةٍ ، مسيرةَ ثمانيةِ ايام مشياً على الاقدام . فانتهزَ مرافقُ الأميرِ هذه الفرصةَ ليُبرقَ الى لندن .

تفرَّسَ الموظفُ الصينيُّ بالمسافرِ متعجباً ثم نظر الى جداوله . . . وقلّب اوراقَه وصنعَ حساباتِه ، اخيراً اخذ نصّ البرقية ووضع عليها الرقم ١ ، فسأله الإنكليزي - هل هي اول برقية اليوم؟

- كلا ، بل هي البرقية الأولى منذ انشاء هذا المركز لست سنوات خلت .

- لم يرسل احد برقية منذ ست سنوات؟

- لا ، ولا واحد .

لقد مرت قوافل كثيرة ايها الإخوة ، امامَ مركزِ البريد هذا ، يعذبُها العطشُ والتعبُ فلم يخطر ببالِ احدٍ ان يغتنمَ فرصة الإتصال بالعالم المتمدن .

اليس بيننا اليوم ايضاً عددٌ كبيرٌ من الناس يجتازون صحراءَ هذه الحياةِ اللاهبة، اناسٌ تعبون لم يخطرْ ببالهم الإتصالُ بالمسيح والعالم السماوي؟ هم يجرّون اذيالهم في صحراءِ الحياة هذه بجباهٍ منحنيةٍ نحو الأرض ورُكبٍ مرتجفةٍ دون ان يعلموا ان عندهم بالقرب منهم يدٌ مسعفةٌ تساعدُ الجميع: يدُ سيدِنا يسوعَ المسيحِ القديرةُ.

ماذا نجد في هذه اليدِ المباركة؟ هذا هو السؤال الذي سنعالجُه في المواعظِ التالية. في الواقع، تكلمت حتى الآن **عمّن كان المسيح**؛ ولكن ماذا اراد، ولماذا اتى ارضنا، ما هي الفكرةُ الجديدةُ التي جاءَ بها العالم والتي لم يسمع بمثلها من قبل؟ لماذا انقسمت البشرية الى معسكرين ولماذا تستمرُ الحربُ منذ الفي سنة؟ هذه هي الأسئلةُ التي اودُّ الإجابةَ عنها في مواعظي الآتية.

ماذا حملَ الينا المسيح؟ - هكذا اطرح السؤال، والجواب الأول استمده من انجيلِ اليومِ (الاحد السادس عشر بعد العنصرة): **المسيح اعطانا الله.**

المسيح عرّفنا الله

أ) الله! كم مرةٍ سُمعت هذه الكلمةُ وكم مرةٍ لفظتها شفاهُ البَشَر! انه محورُ كلِّ شيء وموضوعُ صلاتِنا وينبوعُ كلِّ رجائنا. اليومَ يصعبُ علينا تصورُ الأمورَ على خلاف ذلك وان سيدنا يسوع المسيح وحدَه وضعَ اللّه حقاً في صميم حياةِ الناسِ.

كان الانسانُ قبلَ يسوعَ المسيح تحت رحمةِ الطبيعةِ ونيرِها. لندرسْ حياةَ الفرسِ والمصريين والكلدانَ والإغريق والرومان، فنراها كلها محصورةً في اطار قوى الطبيعة. كثيرون حاولوا قبل المسيح ان يوسّعوا هذا الاطار.

المتصوفون البوذيون، فلاسفةُ اليونان ومفكرو الرومان، ولكنهم فشلوا. بقيت محاولاتُهم تدورُ حولَ هذه الفكرة: الإنسان هو إلهُ الإنسان، الإنسان هو الكائنُ الأسمى للأنسان، اذن أُعبدُوا الآلهة المخلوقة على صورةِ الإنسان، كرّموا ارواح الأجدادِ، كرّموا الأمبراطورَ الروماني... وهكذا دواليك.

يكفي ان نتصفحَ برهةً تاريخَ حضارة الأجيال السابقة للمسيح. يا لها من صورةٍ مشوَّهةٍ جداً لجلالِ اللّه وقداستهِ! كم كانت تلبس اشكالاً عبثية امام الوثنيين المساكين آلافُ تماثيل الأصنامِ من شياطين وارواحِ خبيثةٍ، من آلهة وآلهات!

لنتفحّصْ ايَّ دينٍ من اديانِ الوثنية الأكثر تقدماً فنرى فكرة اللّه عندهم واقعة في دائرة منحطّة: نقدمُ لك الذبائحَ كي تُجزلَ مكافأتنا فقط. في اعتقادهم ان الله وُجد لأجل الإنسان وليس الله من اوجد الإنسان كما نعتقد نحن. لقد وضعوا في خدمة الأنانية البشرية فكرةً عن الألوهةِ يستطيعُ الانسانُ بواسطتُها ان يصنع اتفاقيات تجارية مع الآلهة فبدلَ كلِّ ذبيحةٍ او فعلِ عبادةٍ يقومُ بها الإنسانُ تدفعُ الآلهة الثمنَ نقداً وعداً زمنيين.

ب) لقد جاءَ سيدُنا يسوعُ المسيحُ وغيَّر هذه اللوحَة المشوَّهة والغيرَ اللائقة بالله واعطى بدلها فكرةً لم يخطرْ جمالها ببالِ انسان حتى ذلك الحين ولن يُستطاع استنفاذُ عمقِها: لقد بشّر **بالأله الواحد، المثلث الأقانيم**.

منذ ان وُجد الأنسانُ على الأرضِ نراه يفتّشُ دائماً عن اللهِ ومعرفتهِ ولكنه اتبّع في تفتيشه هذا سُبُلاً مظلمةً فجاءت معرفتُه ناقصةً دائماً. فتّش الإنسان دوماً عن اللّه ولكن اعظمَ النوابغ لم يكونوا سوى باحثين فقط، ـ وحدَه سيدُنا يسوع المسيح اوصلنا الى الله.

اعظم ما توصل اليه مشاهيرُ الفلاسفةِ قولُهم: «لقد وجدنا الطريق الموصل الى اللّه» ـ ولكن المسيحَ وحدَه قال، وحدَه استطاعَ ان يقول: «انا هو الطريق». اكثر ما تمكن مشاهيرِ الحكماءِ ان يجدوه بعض اجزاءِ الحقيقة والحكمَة ولكن من منهم استطاع ان يقولَ عن نفسه: «انا هو الحق».

ماذا علمنا المسيحُ عن اللهِ اذن؟

أ) علّمنا أن الإله الحقيقي يحيا منذ الأزل حياةَ الكمالِ وانه الخالقُ وحافظُ الخليقة. هو العنايةُ ومحورُ الكون، منه يصدر كلُّ شيءٍ واليه يعودُ كلُّ شيء، لا يحتاجُ احداً وكل الناسِ بحاجة اليه.

الله لم يوجد بسبب الإنسان. بل هو الذي اوجد الإنسان، ان كان الله سبب وجودي فان هدف حياتي هو أُتمامُ مشيئته ـ هذا هو تعليمُ المسيحِ الجديد الذي لا مثيلَ له. لنسمعْ فقط بعض كلماته: «لقد انحدرتُ من السماءِ لا لأعملَ مشيئتي بل مشيئةَ من ارسلني» (يو ٦/٣٨)، «ليس من يقول لي: يا ربُّ، يا ربُّ. يدخلُ ملكوتَ السماءِ، بل من يعمل ارادةَ ابي الذي في السماء» (متى ٧/٢١). «لأن من يعمل ارادة ابي الذي في السماء فهذا هو أخي واختي وامي» (متى ١٢/٥٠)، من بعده علّم القديسُ يوحنا: «العالمُ يزول وشهواته معه؛ اما من يعملُ ارادةَ اللّهِ فانه يبقى الى الأبد» (١يو٢/٣).

عندما طلب اليه تلاميذُه ان يعلّمهم الصلاةَ اختصرَ المسيحُ في صلاة «الأبانا» كلَّ ما علقَ عليه اهميةً. ماذا علمهم ان يطلبوا اولاً؟ «ليتقدسَ اسمُك، ليأتي ملكوتُك لتكن مسيئتُك كما في السماءِ كذلك على الأرضِ» (متى ٦/٩ ـ ١٠).

اللّه لم يوجدْ بسبب الإنسان بل الإنسان بسبب الله ، ـ هو التعليم الجديد الذي جاء به المسيحُ وهو يرى الوجودَ من جهة كونه يدورُ حولَ اللّه اعني يجعل من اللّه الهدفَ الأخير لكل رغبةٍ ومخططٍ ومجهودٍ بشري .

الايمانُ بالله هو جوهرُ الدينِ المسيحي. على هذه الفكرةِ الرئيسيةِ يرتكز ايمانُنا المسيحي ، منها تنبعُ القوةُ التي تجعلنا نحب المسيحَ حتى التضحية؛ انها غلبتُنا على العالم التي بها ننتصرُ على كلٍّ صعوباتِ الحياةِ الأدبية ، بها يغوصُ الإنسانُ المسيحي انظارَه في الحياة الأبدية ، وهي التي تجعلُ مشاعرَ النفسِ المسيحيةِ تهتزُّ امامَ نفحةِ الأبد .

هذه الحياةُ الروحيةُ الرهيفةُ الإحساسِ والقادرةُ مع ذلك على التضحيةِ حتى البطولةِ ، التي يعطيها الدين المسيحي لا يمكن شرحها الا بهذه الفكرةِ عن اللّهِ وبمعرفةِ هذا الإلهِ الذي يجذبُ اليه ويحوي فيه كلَّ رغبات النفس البشرية .

مختصرُ القولِ ان عظمة تعليم المسيحِ كامنة في كونه رفع الدين من الأرض الى السَماءِ اعني حرَّره من الإسفاف الأرضي والطبيعة المحضة ورفعه الى اجواءِ ما فوق الطبيعة .

ليس الإنسانُ من اوجد اللّه بل اللّهُ من أوجدَ الإنسانَ .

ب) منذ مجيءِ سيدنا يسوعَ المسيحِ نعرف ايضاً **ان ليس الله في العالم بل العالم في الله**.

اللّهُ يملأُ كلَّ شيء . انا في اللّه ، اللّهُ يحيطُ بي ولو لم اشعر بذلك . لا اشعر به . . . لا أُحسُّ به! هل تحسُّون بموجاتِ الأثير؟ لا ، مع ذلك فهي تملأكم . امسكوا «انتين» الراديو فتسمعوا الصوتَ يرتفعُ بقوةٍ عند الإمساك بها ويضعف عند تركها! موجاتُ الإذاعةِ الكهربائية تملأُكم ولا تُحسُّون .

منذ مجيئ المسيح نعرفُ ما معنى العيش بدونِ اللّه. بدونِ اللّه؟ - لا امل بشيء. بدون اللّه؟ لا وصايا ولا استقامة، لا نقاوة يدين ولا طهارة قلبٍ، لا احتراماً للوالدين ولا اكراما، لا سلطة ولا طاعة. بدون اللّه ؟ - لا عائلة ولا محبة، لا احتراماً متبادلاً بل بعكس ذلك... نجمة هوت من الشمس... فوهة كهفٍ نتنٍ ومطعون...! طريق بين الغيوم تخطّه البروق... مستنقع... ليل بارد وقساوة وحشية.

ج) عندما وضعَ المسيحُ اللّهَ في قلبِ العالمِ جاعلاً اياه الغايةَ القصوى لكلٍّ شيء، فقد اعلن جليًا هدف الحياةِ البشرية: **ليس الإنسانُ لأجل الأرض بل الأرضُ لأجل الانسان.**

ان كان اللّهُ حقيقةً نقطةَ ارتكازِ الأشياءِ كلها وهدفَها الأخير فمن الطبيعي الا يعيش الإنسان لهذه الأرض فقط وان تكون غايتُه القصوى اللائقةُ به الوصول الى اللّهِ وان يدركَ هذا الهدفَ بواسطة خدمة اللّه، هكذا يجبُ ان يكونَ مفهومُ حياة الأرض. المسيحُ لم يعلّمني فقط ان اللّه يحبُني ويحثُ عني وينتظرُني بل علّمني ايضاً ان اعمل للوصولِ الى اللّه.

لاحظوا جيداً، ايها الإخوة، انه وُجدَ ايضاً بين تلاميذِ المسيحِ رسولٌ اسمه يوضاس رأى وسمعَ وتعلّم من يسوعَ كباقي الآخرين ولكن الآخرين صاروا رسلاً وهو صار يوضاساً.

لقد رفعوا الربَّ على الجلجلة بين لصين. الإثنان كانا بقربه على السَّواء، الاثنان شاهدا المخلصَ وسمعاه. احدهما اهتدى والآخرُ بقي متحجّراً. يا لها من عبرةٍ تأخذُ بالجوارح! يمكنُ لأحدهم ان يعيشَ سنواتٍ بقرب الربٍّ ومع ذلك يهلك لأنه لم يعمل مع النعمةِ. ان اللّهَ يُريدُ ان يخلصنا جميعاً ولكنه

يريدنا ان نعاون النعمةَ التي يعطينا. لقد قال احدُ الكتّابِ الأتقياء «ان الذي خلقك بدونكِ لا يستطيعُ ان يُخلّصَك بدونك».

٢
المسيح علَّمنا الله ابًا

لقد صحَّح سيدنا يسوعُ المسيحُ المفهومَ القديمَ والأرضي لله وذلك بإعطائنا عنه فكرةً كانت مجهولةً حتى ذلك الوقت وهي ان **اللهَ ابونا السماوي**.

فكرةٌ مشابهةٌ انما يختلطُها شكٌّ مريبٌ وُجدتْ عندَ الشعوب الوثنيةِ القديمة ولكن قوتّها كانت كأولِ خيوطِ الشمسِ التي تحاولُ دحرَ الظلام؛ الشمسُ سطعت بكاملِ وهجها في كلماتِ المسيح ومن بعدِها ندركُ تمامَ الإدراكِ معنى مناداتنا لله: «ابانا الذي في السموات».

عندما كشف لنا في الله ابًا، فقد فتحَ امامَنا في ذاتِ الوقت **ينبوعَ الرجاءِ والثقة**. يمكننا ان نشكرَ المسيح على اعطائه إيّانا ايمانًا بالله لا يتزعزع.

عندما هدّأ البحرَ الهائجَ وجّهَ لتلاميذه هذا اللومَ: «لمَ تخافون يا قليلي الإيمان؟» (مر ٤/٤٠) اليس عندكم اذن بالله ثقةٌ كاملة؟ وفي مناسبة أُخرى يقول: «ان كنت تؤمنُ، فكلُّ شيءٍ ممكنٌ للمؤمن» (مر٩/٢٢) كما هذا التشجيع ايضًا: «آمنوا بالله» (مر ٢١/٢٢).

ومنذ ان فاهَ المسيحُ بهذا الكلامِ أ) **فان صلاتَنا لله تغيرتْ** وبـ) **محبتنا لله ايضًا تغيّرت**.

أ) ألم تتغيرْ نوعيةُ صلاتنا منذ ان عاشَ المسيحُ بيننا ؟

كلما توغلنا في التاريخ وجدنا الإنسانَ يجهدُ بفُطرتِه الى التفتيش عن اشياءَ محسوسةٍ يعبّر بها عن حياته الدينية. من هنا ضلالاتُ عبادةِ الاصنام المؤسفة: لقد ارادوا ان يُظهروا بشكلٍ منظورِ الإله الغيرِ المنظور، ليستطيعوا رؤيتَه بشكلٍ افضلَ واسهلَ، وقد اتى المسيح ليُلبّيَ هذه الرغبةَ القديمةَ عند البشر بشكلٍ يفوقُ التصوَّرَ. لسنا الآن بحاجة ان نوجّه صلاتنا الى البعيد المجهول، نحو إله غير منظور بل نستطيع توجيهها الى كائن ليس الهاً فقط بل انساناً ايضاً خضع مثلنا لنواميس البشر، وكان له قلب انسان ويعرف كل خبايا القلب البشري. نستطيع ان نخاطب المسيح كواحد منا ونحن نعرف ان «كل سلطان في السماء والأرض اعطي له» كم يسهل علينا بالمسيح المنظور ان نرفع صلاتنا للإله الغير المنظور!

ب) كذلك بعد ان كلمنا عن الآب السماوي اصبحنا نحب الله حقاً بنفسٍ فرحة.

لا نشوّهْ ايها الإخوةَ الصورةَ الإلهيةَ والاَّ اتُّهمتْ المسيحيةُ بجعل الأنسانَ قلقاً، حائراً وحزيناً. هل هناك مفهومٌ للوجودِ اكثر غبطةً واشراقاً كالذي عندنا؟ الكتاب المقدس لا يملُّ من تكراره: «أُعبُدوا الله بالفرح» (مز ٢/٩٩) اذن ليس بالخوفِ والجمودِ. «أَدخلُ الى مذبحِ الله، الى الله الذي يفرّحُ شبابي» (مز ٤/٤٢) و «تفرحون امام الربِّ الهكم» (لاويين ٤٠/٢٣) اذن لا تخافوا.

ان كان اللهُ اباً فلا داعي لهذا الخوفِ الذي كان يستحوذُ على الشعوبِ الوثنيةِ امام أصنامِها. ان كان الله اباً فهو ليس اذن شرطياً يحلو له معاقبة ادنى

زلةٍ ولكنه بالعكس ينشّطني للمحافظةِ على وصاياه، وصايا تؤمّنُ سعادتي الشخصية. ان كان لي ابًا فهو لا يعاقبني قبل ان يتألَم هو اولاً. ان كان ابي فهو لا يطردُني بعيداً عنه ما دامَ فيَّ بصيصُ ارادةٍ صالحةٍ ولو ضعيفة. ان كان اللّه ابي فهو اذن جودةٌ غيرُ متناهية، لأن «اللّه محبة» (يو ٤/١٥). ان كان اللّه ابي فحاخامو العهد القديم غيرُ محقّين باعطائهم ٦١٣ وصية ليس بينها سوى واحدة تقول: «أحبَّ الربَّ الهكَ من كل قلبك...» كلا. يسوع وحده على حق، هو الذي يُشعلُ في انجيل اليومَ هذا الولَع الجديدَ، ولعَ محبةِ اللّهِ ويعلنُ كوصيةٍ عظمى، كوصية وحيدة: «ان تحبَّ الربَّ إلهكَ من كلِّ قلبكَ ومن كل نفسكِ» (متى ٢٢/٣٧).

أُحبُّ اللّه بعقلي عندما اؤمنُ به.

أحبُّ اللّه من كلِّ نفسي عندما أُسبغُ محبةَ اللّهِ على دموعي واعراقي، على مخططاتي ورغباتي، على افراحي وآلامي وعلى مجملِ حياتي.

هذه هديةُ سيدَنا يسوعَ المسيحِ الأولى: **لقد اعطانا في اللّه ابًا سماويًا.**

* *
*

لقد اراد الرب ان يشابهَنا في حياتهِ الأرضيةِ في كل شيء ـ ما عدا الخطيئة. شابهنا في التعبِ والحرمانِ والأوجاعِ.

لقد جلس ذاتَ يومٍ تعبًا قرب بئر سيكارَ وطلبَ من السامرية، الآتية لتستقيَ، شربة ماءٍ. تعجبتِ المرأةُ من ان يهوديًا يطلبُ من سامرية ان يشربَ لأن اليهودَ كانوا ينبذونهم من مجتمعهِم. الآن يدورُ هذا الحوارُ الذي لا

مثيلَ له في سموه، بين المسيحِ والمرأة. من جرعةِ الماء التي طلبها، يوجه المسيحُ الحوارَ الى الماءِ الحيِّ الذي يريدُ اعطاءه لها، فيفوه اذ ذاك، بهذه الكلمات السامية: «من يشربُ من الماء الذي اعطيه انا لن يعطش ابداً، لأن الماءَ الذي اعطيه انا يصير فيه نبعَ ماءٍ يجري الى الحياة الأبدية» (يو ٤/١٣ ـ ١٤).

لا تمرُّوا أيها الإخوة، بغفلةٍ قربَ المسيح وانتم تجتازون تعبين عُطاشاً صحراء هذه الحياة الخاوية. ينبوعُ المسيح لا يزال اليوم ايضاً يسيل رقراقاً. الماء الحي لا يزال اليومَ ايضاً يتفجر من نبع المسيح.

ايها الربُّ يسوعُ يا من علمتنا ان نعرف الآب السماوي اجعلنا ايضاً نحبه كي تصبح محبتُه فينا «ينبوعَ ماءٍ يجري للحياة الأبدية». آمين.

ماذا حمل الينا المسيح؟

(٢)

النفس البشرية

اخوتي ،

ما هو جوهرُ الدين المسيحي؟ ما هي الفكرةُ الجديدةُ والخلاقة التي تعلمتها البشرية من سيدنا يسوعَ المسيحِ؟ انه السؤالُ الذي طرحتُه في عظةِ الأحد الماضي وكان جوابُنا الأولُ : المسيحُ اعطانا الله . هو أعلمنا ان اللّهَ ابونا السماوي . كان هذا موضوعَ ارشادي لثمانيةِ ايام مضت .

والآن نبحَثُ عن جوابٍ آخرَ لهذا السؤال: ماذا حملِ الينا المسيح؟ وجوابنا ان **المسيح اعطانا النفس** يعني اننا من بعده نعرف ان كلَّ انسانٍ يملكُ درةً لا تثمنُ بمالٍ ، نفساً خالدة ، مدعوةً لسعادةٍ ابدية .

هل هو اكتشافٌ مثيرٌ حقًا ايها الأخوة؟ هل هو حدثٌ عظيمٌ ان يكون المسيحُ كشَفَ لنا عن نفسنا؟ مع ذلك اذا توصلنا في عظة اليوم ان نرى ١ ـ مدى الأبعاد الشاهقة والسامية التي تكشفُ عنها **فكرةُ المسيحِ عن النفس** و ٢ ـ ان نحسَّ بالنفحةِ الجافةِ كريح السّموم **لفكرة العالم الغيرِ المسيحي عن النفس** . عندئذ فقط نقدِّرُ حقَّ قدرها الهديةَ التي اهداناها المسيح عندما عرّفنا نفسنا . اليكم اذن السؤال الأول:

١
ما هي فكرةُ المسيح عن النفس؟

من بعدِ سيدنا يسوعَ المسيح نعرِفُ ان لكل انسانٍ نفسٌ خالدة، الى الأرض من عند اللّه أتت وإلى اللّه تعود بعد غربة هذه الحياة. اذن مهمتُنا الأولى والأخيرةُ ان نخلّصَ هذه النفس كيلا تهلكَ، لأنه «**ماذا يفيدُ الإنسانَ ان ربحَ العالمَ كلّه وخسِرَ نفسَه**» (متى ١٦/٢٦).

بامكاني ان اختصرَ هكذا تعليمَ المسيح عن النفسِ وبه **اكتشف الأنسانَ حقًا**. المسيحُ اكتشفَ الإنسانَ، لأننا من بعده فقط نعرف من هو الإنسان. ١ - **بالنسبة لذاته** و ٢ - **بالنسبة للآخرين**.

١ - من نحن بالنسبة لنفسنا؟

أ) **لنستعرضْ تاريخَ الشعوب الشرقية**: هل كان لحياةِ الفردِ قيمةٌ ومعنى؟ طبعًا لا، لم يكن من قيمةٍ وقدْرٍ الا لحياةِ فردٍ واحدٍ: الطاغيةِ والحاكمِ بامره. باقي ملايينَ الناسِ لا يعيشون ولا يشتغلون ولا يموتون الا لأجله.

لنرَ دولتي اليونان والرومان: هل كانَ لحياة الفردِ فيهما من أهمية؟ قطعًا لا، الا بقدر منفعتها للدولة والمجتمع. فلسفةُ زينونَ عن ثباتِ الجأشِ (Stoicisme) كانت تقرّ نظريًا فقط بالمساواةِ في الحقوق، ولكن هذه النظرية بقيت كأشعةِ شمس الشتاءِ التي لا تبعثُ الحياة.

وها هو المسيحُ يأتي فينقسمُ التاريخُ من بعدِ ميلادهِ الى قسمين: ما قبل المسيح وما بعد المسيح.

هل يحقٌ لنا في الواقع أن نتصرف هكذا؟ هل كان ميلاد المسيح حقاً حدثاً هكذا حاسماً في تاريخ البشر كي نأخذَ ميلاده نقطة انطلاق تاريخٍ جديد؟

اجيبُ على هذا السؤال مستشهداً بمؤرخ غير كاثوليكي: ه. س. ت **شامبرلين** كتب في مؤلَّفه «اسس الجيل التاسع عشر»: «ميلادِ المسيح هو اعظم حدثٍ في تاريخ البشرية. ليس من معركةٍ، من بداية مُلكٍ، من ظاهرةٍ طبيعيةٍ او اكتشافٍ يضاهي باهميته حياة الجليلي القصيرة على الارض، هذا ما يؤكدُه تاريخُ الألفي سنةٍ تقريباً رغم كونِنا لم نجتاز بعدُ عتبةَ الدين المسيحي. ان نسميها السنة الأولى ونبدأ بها تاريخنا فلذلك مدلولُه العميق» (١/٤٢).

ولماذا يجب ان نبدأ تاريخنا بالمسيح؟ هو نفسُه يجيبُ: عندما نكتشفُ قوةً جديدةً، من الطبيعي ان نرجعَ الى ينبوعها. ما هي هذه القوة الجديدة التي اكتشفها سيدُنا يسوع المسيح ووضعَها في قلبِ تاريخ البشر؟ انها مملكة النفس البشرية السامية.

ب) كيف ذلك؟ **الم يكنْ للإنسان نفسٌ اذن قبل المسيح**؟ كان له نفسٌ، طبعاً. لم يكن يعرفُ عنها شيئاً لربما؟ نعم كان يعرفُ . . . فقط. . . فقط لم يعرفُ ماذا يعمل بها، لم يكن بمقدوره اطلاقها او استخدام طاقتها وفق مسيرتها الى الله.

يمكنُ ايضاحُ هذه الفكرة بمثلٍ: منذ ان كانت الأرض والمياه والغيوم، الكهرباء كانت ايضاً. كان الإنسانُ يعرفُ الكهرباء منذ اجيالٍ ولكنه لم يعرفْ كيف يستخدمُها لأنه لم يعرفها الا بشكل صاعقة مخيفة تهدم وتدمّر، ولكن عندما سيطرَ ذات يوم بفكره على الكهرباء تغيرت حياته كلها وتسهلت بواسطة هذه القوةِ التي كانت قوةَ تدمير فقط. كذلك سيطر المسيح على

قوى النفس التي كانت غير منضبطةٍ ومبعثرةٍ وفوضويةٍ ووضعها في خدمة دعوتها الإلهية. لقد غيَّر نمط حياة البشر القديمة محققاً توثبات النفس النبيلةِ وجاعلاً منها محور الاشياء كلها؛ هذا هو مفهومُ المسيحية للعالم. وكما ان الكهرباء بشكل الصاعقة تقتل وتدمّر ولكنها بعد ضبطها وتخزينها تدفعُ عجلةَ السيارات وتُطهي الاطعمة وتنقلِ الأخبار وتوصل عظتي اليوم الى اربعة اقطار العالمِ: هكذا تعليمُ المسيح يرفعُ ويسمو ويحوّلُ الى خيراتٍ قوى النفس التي تستطيعُ من جهة اخرى ان تكونَ هدّامة.

كان على المسيح ان يأتي ليقلبَ نظرة الإنسان القديمة في الإنسان وسْط المجتمعِ وليُعلنَ قيمةَ الإنسان بحدّ ذاته، وبذلك كشف للإنسان عن نفسهِ ولأجل نفسه.

لقد حدثَ هذا الأكتشافُ الكبيرُ عندما بدأ المسيح يعلن **بشأن النفسِ تعليماً سامياً** لم يكن معروفاً من قبل: أن لكل انسان نفساً خالدةً معدّةً لحياة ابدية: الفقير والمريض والمغلوب على امره والولد الصغير والضعيف. مهما كان المركزُ الذي نحتلّه في حياتنا، ملوكاً كنا او فلاحين، جهالاً او مثقفين، فقراء او ثريين فان المهمةَ الكبرى التى تنتظرنا في الحياة هي خلاصُ نفسنا.

الخطر الوحيدُ على النفس البشرية هو الخطيئة. لئلا تَبتلعَ الخطيئةُ النفسَ البشريةَ الى الأبدِ جاء ابنُ اللّه ذاته الى الأرض كي يفديَ النفسَ. ما هي قيمة النفس البشريةِ اذن، ايها الأخوة، ما هي قيمةُ الحياة البشرية؟ يا للأكتشاف المدهش: ما معنى حياتي بالنسبة لي؟

٢- ولكن ما اهميتها ايضاً بالنسبة لقريبي؟

لمجرد ان المسيح كشف للأنسان عن نفسه المعدّة لحياةٍ ابدية، فقد صار **رائدَ الأخوة البشرية المبارك**. كلّ انسان، ملكاً كان او اميرة، عامل

تنظيفات او غجريًا رثًا، ثريًا او فقيرًا، صحيحًا او مريضًا. . . لجميعهم نفسٌ معدّةٌ للخلودِ وابوهم السماوي ينتظرُهم بقلبٍ قلقٍ ومحبٍ.

كلَّ ذلك عرفناه بالمسيح فقط. يكفي المسيح روايتُه مثلَ الأبنِ الشاطر والدرهم المفقود والنعجةِ الضالةِ ليكونَ اعظمَ مُفضلٍ على البشرية.

ب) هل تعلمون كم نحن مدينون لهذه الأمثال؟ كم نحنِ مدينون لتعليم المسيح الهام جدًا ان في كلٍّ انسانٍ نفسًا قيمتُها لا تزول؟ دَيننا ان **قيمةَ الحياةِ البشريةِ تسمو على كل شيء**. من بعد مجيء المسيح لم يعد يحقَّ للأب ان يطرحَ مولوده الجديد من أعلى صخرة «تارب»، الدين المسيحي يجعلُ من اجهاض الجنين جريمةَ نكراءَ لأن له ايضا نفسًا خالدة؛ مع قيامِ المسيحية اصبح لحياة المريض المسمَّر سنوات على فراشه هدفٌ ايضًا ولا يحقّ لأحد افتعال اخفاتها؛ منذ قيامِ الدين المسيحي فان المساكينَ والمرضى والعجزة والمتألمين يُساعَدون بمحبةٍ لأن لهم، هم أيضًا، نفسًا خالدة. قيمة النفس البشرية هي سببُ البون الشاسع بين المسيحية والوثنية: في المسيحية لكل انسان قيمةٌ؛ في الوثنية لا اهميةَ للفردِ، بامكانه ان يموتَ، ان يضمحلَّ شرطَ ان تبقى الجماعة؛ اما بالنسبةِ للمسيح فوراءَ كلِّ وجهٍ بشري تعيش نفسٌ خالدة. كلّ انسانٍ يحمل في ذاته قيمةً ابدية. لكلٍّ منا اهميةٌ وكلُّنا اخوةٌ. ان يعطي الناسُ بعضُهم بعضًا لقب اخوةٍ، ان نعطي بعضنا بعضًا لقب قريبٍ وان نتمنى الخير بعضنا لبعض، كل ذلك هديّة مباركة من سيدنا يسوعَ المسيح. تبّاعُ زينون المعروفون بالأشداء (Stoiciens) عرفوا نظريًا فقط - نظريّة عاجزة - الأخوّة البشرية؛ البوذيةُ ايضًا تعلّم تمني الخير للآخرين تمنيًا سلبيًا ولكن ما هذا النورُ الخافتُ امام شمس تعليم المسيح الساطعة!

هذا اذن تعليم سيدُنا يسوع المسيح عن النفس.

٢
ما هي فكرةُ العالم الغير المسيحي عن النفس؟

بالمقابل نجدُ مفهومَ العالم الغير المسيحي عن النفس ضالاً جداً، خاوياً وجامداً! نرى في العالم الغير المسيحي اتجاهين: **الأول يريد ان يعرف عن مصير النفس اكثر مما** اراد سيدنا سوع المسيح تعليمنا اياه واذ ذاك يتيه في نظريات تباع التقمص الضبابية. **الثاني لا يريد ان يعرف عن النفس شيئًا** وبذلك يتيه في صحراء الحياة المادية القاحلة والسلبية.

أ. هناك نظرياتٌ فلسفيةٌ تعيشُ في الغيومِ ترفضُ كليًّا تعليم المسيح عن النفس. هم يزعمون ان النفسَ بعد فناءِ الجسدِ تنتقي جسداً آخرَ اعني تولد من جديد. تبدأُ من جديدٍ حياةً اخرى لتكفّرَ عن خطاياها السابقةِ وعندما يفنى هذا الجسدُ الجديدُ تتخذُ آخرَ الى ان تصبح كاملةً، فتحظى عندئذ بالمكافأة وهي الذوبانُ بالروح الكونية الكبرى. انها نظرية المتصوفين عن التقمص. حسب هؤلاء المتصوفين يولدُ الإنسانُ، خمسمائة مرةٍ وكلُّ ولادةٍ جديدةٍ تحدث كلّ الف سنة على وجه التقريب، اذن يجبُ على النفسِ ان تنتقل من جسم لآخر مدة خمسة ملايين سنة قبل ان ترجع الى احضان الروح الكونية: النيرڤانا.

لم أتكلم عن نظرية التقمص الضبابية هذه الا لأن البعض ممن يعتبرون ذواتهم متدينين يتعاطفون مع هذه الفكرة مع انه لا وجود لاي برهان يدعمها بل انها بالعكس تناقض الدين المسيحي.

ليس هناك برهان واحد يدعم نظرية التقمص، اكثر من ذلك، انها ضد التفكير الصحيح. اي بهتان يلزم تصديقه لمن يؤمن بالتقمص! ان كانت

نفسك قد عاشت في مئات اجساد الآخرين فلماذا لم يبقَ في ذاكرتك شيء من الماضي؟

لا شيء! في الواقع ان ما يعطونه على سبيل البرهان هو فعلاً هزيل جداً. نصل الى مدينة لم نرها من قبل؛ ام نذهب الى غابة غناء للتنزه: عجباً! لقد رأيت ذلك من قبل . . . ولكن ليس ذلك برهاناً على التقمص بل على ضعف في الذاكرة؛ ليس ذلك ما رأيته بل شيئاً **يشبهه** فقط.

ان تباع التقمص يعلنون بحسرة تذكرهم الماضي: احدهم كان الملك داوود، الأخرى كانت ملكة التيمن، الثالث مار بولس . . . وعندما اكتُشف قبر «توت عنخ آمون»، هنا في بودابست فقط، سيدات كثيرات من تباع التقمص تذكرن فجأة انهن كنَّ زوجات الفرعون الكبير . . . ولكن ما لا نفهمه ان من «يتذكر هكذا» كان دائماً في سابق حياته رجلاً عظيماً؛ ولكن اياً منهم لا يتذكر انه كان يوسف صُبري (sobri) او رينالدو رينالدي او احد مشاهير المجرمين والقتلة واصحاب الربى مع ان غاية التقمص هو ان يكفّر الإنسان عن حياته السالفة . . . ولكن اين نجد المنطق.

ثم ان كان هناك من تقمّص فكيف نفهم موت الأطفال الذين توفوا دون ان يقدّر لهم التكفير عن اي شيء في حياتهم السالفة ؟ لقد كان تقمصهم عقيماً اذ لم يُخطوا خطوة واحدة نحو التطهير.

ويخيفنا كثيراً التفكير انه يلزمنا العيش خمسة آلاف مرة قبل ان نصل اخير الى الراحة! الا يكفي عذاب حياة واحدة؟

الى ذلك فان هذه العقيدة تهدم النظام الأدبي واهمية الحياة ! اذا كان من المؤكد ان الإنسان يصل بدقة تلقائية الى السعادة الابدية فلا فرق اذن بين

الخير والشر. كذلك ما الفائدة ان استميت في سبيل فعل الخير؟ لا بأس اذن ان كنت في حياتي قد غصت في لجج الخطايا، فسيبقى لدي ٤٩٩٩ حياة اخرى!

لا، المسيح لم يعلمنا ذلك. لقد قال واضحاً ان كل ابديتي **تتعلق بحياتي التي عشتها على هذه الأرض مرة واحدة**. لأن «الليل يأتي ولا يستطيع احد ان يعمل فيه شيئًا» (يو ٩/٤).

٢. بعد هذا الشطط يأتي لسؤ الخط آخر؛ بعد الذين أبهرهم نور التقمص الكاذب يأتي الذين يعيشون في **صقيع قطب الشمال من ناكري النفس**. المسيح يعلمنا ان لنا نفساً خالدة يجب ان نخلصها بعيش كريم فاضل على وجه الأرض؛ والآن لنلقِ حولنا نظرة على العالم فنرى جمهوراً من الناس يعيشون كمن لا نفس لهم، فيتعلقون بهذه الدنيا وبالحياة الحاضرة فقط فلا تبقى لديهم ولو دقيقة واحدة للتفكير بنفسهم الخالدة. يا لكم من اخوة مساكين تحيون حياةً مجدبة وفارغة!

هل اعطي مثلاً عما يصيره الإنسان عندما يغفل عن نفسه؟ سأقرأ بعض الأسطر في نشرة دعائية لأحدى فبارك العطور الكبرى.

«سيدتي، ان الموضة تتغير باستمرار، لماذا يجب ان يشذّ وجهُك عن هذه القاعدة؟ بامكانك تلافي ذلك اذ تستطيعين ان تكيّفي وجهك مع لون فستانك. ستبدين غاية في الروعة مع ثوبك الأخضر وقبعتك المغناجة اذا عرفت ان تعطي وجهك المسحوق الملائم»... ثم تعدد الدعاية المساحيق التي يجب طلي الوجه بها صبحاً او مساءً، على ضوء النهار او على ضوء الكهرباء... اننا لنشعر بانقباضٍ في القلب عندما نقرأ هذه الأسطر ونود لو نصرخ: «هيّا اسرعي يا سيدتي، إلبسي تارة شعرك المستعار الأصفر وطوراً

الأزرق سماوي، اسرعي بوضع هذا المسحوق او ذاك على وجهك، اسرعي . . . قبل ان يصل البولشفيك فيضعوا حداً نهائيًا لكل ذلك» [1].

اخوتي، الم يأتِ المسيح بعد الى هذه الأرض؟ الم يقل ان لنا نفسًا ايضًا؟ فكيف يستطيع هؤلاء الناس الخالون من كل مفهوم جدي للحياة ان يعطوا حسابًا لله الذي يحاسب على كل شيء؟ هؤلاء الناس المركبون من جسد فقط، الذين لا يرون سوى الأرض ولا يسعون الا وراء الأفراح العالمية.

قد تقولون لا يجوز التشاؤم. لربما لا وجود لمثل هذه النفوس الخفيفة والسطحية.

لا وجود لمثل هذه النفوس؟ حسنًا! سأقرأ لكم شيئًا آخر. سأقرأُ بعض ما جاء في مفكرة حمراء الجلد نستها سيدة في سيارة تاكسي فرفع من وجدها ذراعيه نحو السماء مدهوشًا.

ماذا في هذه المفكرة؟ آه، لا شيء رديء، لا شيء قبيح، لا شيء مخجل . . . هاكم بعض مواعيد الاسبوع:

الأثنين: حمام كبريت . . . الساعة الثانية: موعد مع الخياطة . . . الثالثة: لعب كرة المضرب . . . السادسة: تناول الشاي. فلان وامرأته سيتعشيان عندنا.

الثلاثاء: الساعة التاسعة: موعد مع الحلاّق . . . الحادية عشرة: عند مصممة الأزياء (قبعتي ضيقة وشعري غير ثابت). غداء في الكونتينتال.

الثالثة: «غولف».

الأربعاء: العاشرة: تجربة الفستان . . . الحادية عشرة: آل . . . سيتغدّون عندنا . . . الثالثة بعد الظهر: اخذ «كركري» الى الطبيب البيطري . . . بعدها، «اوبرا».

(١) لقد وصل البولشفيك فعلاً بعد عشر سنوات عندما احتلّ الشيوعيون المجر سنة ١٩٤٥.

الخميس: العاشرة: نهوض . . . الحادية عشرة: تقليم اظافر . . . الثالثة بعد الظهر: زيارة آل . . . الثامنة حضور مسرحية.

الجمعة : العاشرة والنصف: نهوض . . . الحادية عشرة: ترويقة في الباتيسري . . . الثانية بعد الظهر: ملائمة «الموسلين» مع «الكريب جورجيت» . الثالثة: لعب كرة المضرب . . . السادسة: تجعيد الشعر . . . مسرح.

السبت : العاشرة: تلفون بخصوص القبعة، انها تضغط رأسي دائماً . . . الحادية عشرة. عند طبيب الأسنان . . . الغداء عند آل . . . الخامسة: حفلة شاي . . . التاسعة، مسرح.

هذه مواعيد الاسبوع. ليس فيها شيء مشين او شرّ او قباحة . . . فقط نرفع ذراعينا نحو السماء: هل عشت بيننا حقاً ايها الرب يسوع؟ هل **علّمت شفتاك الإلهيتان الصادقتان ابداً ان كل شيء يتعلق بهذه الحياة القصيرة على الأرض**؟ وانها هي التي تقرر مصيرنا الابدي؟ كيف ستؤدي صاحبة هذه المفكرة حساباً عن حياتها هنا على الأرض، صاحبة هذه المفكرة التي لم تسجل فيها موعداً واحداً مقدساً ورزيناً: لا حضور قداس، ولا اعتراف، لا مناولة واحدة، لا رياضة روحية واحدة، لا زيارة واحدة للمرضى ولا صدقة واحدة؟

كم من مفكرات حمراء الجلد تباع هنا في بودابست؟ هل كلها تحوي مثل هذه المواعيد؟ الا تحوي سوى مواعيد ينخرها السوس وتمحوها الأيام؟ ان كانت مفكراتكم لا تحتوي سوى مثل هذه الأمور، اتّخذوا مستمعي، ايًا كنتم، هذه العبرة من ملك الفرس الذي استقدم اليه ثلاثة من اعظم حكماء مملكته وسألهم الرأي في ما هو الشرّ الاعظم في العالم. اجاب الأول: المرض، الثاني قال ان الشيخوخة هي اعظم الشرور. اما الثالث فاجاب بعد

فترة تفكير: ان افظع شر هو ان يصل الانسان ساعة موته الى التأكد انه اساء استعمال حياته.

نعم ، اخوتي ، انه لامر مخيف جداً.

* *

*

والآن اضع حداً لتأملات هذا النهار. ولا اريد ان انهي عظتي بهذا الشعور المرير. في الواقع اذا كان المسيح قد علّم ان لي نفساً خالدة فلكي يدبَّ في الحمية ، لا لأجرّ اذيال الخيبة على هذه الأرض. ترنّ في أذني هذه الكلمات من الكتاب المقدس: «نحن ابناء الله ، وان كنا ابناء فورثة ايضاً وشركاء المسيح في الميراث» (روم ٨/١٦ ـ١٧). لي نفس خالدة ينتظرها الآب الأزلي في السماء بعد معارك هذه الارض. هذا ما علمه المسيح للناس وبهذا اعطاهم اجنحة.

هل رأيتم منَ قبل عصفوراً وسط عاصفة هوجاء؟ العاصفة تقتلع حوله الاشجار ، تتكسر فوقه الاغصان بينما هو يزقزق . . . يزقزق لانه يعرف انه في حال انكسر الغصن الذي حط عليه فعنده ايضاً جناحان.

اخوتي ، اليوم اذ تسقط حولنا كل السدود ويخفت فوقنا نور النجوم وتتكسر تحتنا الاغصان نعلم نحن ابناء المسيح الاوفياء ان لنا نفساً معدة لحياة ابدية ، لذلك نرفع الرأس في ليالي اليأس مرددين هذه الصلاة : **اشكرك، ربِّ على إعطائك لي هذا الايمان السامي ، اشكرك لانك اعطيتني نفساً. . . لان امتلاكها يجعلني متفائلاً حتى في هذه الايام. آمين.**

ماذا حمل الينا المسيح ؟

(٣)

اتجاه حياة

إخوتي ،

كان احد فنّاني المجر معجباً متحمّساً للكاتب الروسي تولستوي وقد حملته رغبة عظمى في زيارة الشيخ الجليل ، على بيع كل لوحاته والسفر لتحقيق هدفه والتكلم الى معزّي المهملين الذي كان يريق بلسم التعزية على النفوس المتألمة ، في كل سطر من سطور مؤلفاته .

سافر اياماً بلياليها قبل ان يصل الى «جسنايا بوليانا» وعندما عرف انه صار على مقربة من المعلم بدأ قلبه يخفق بسرعة . اخيراً وجد ذاته امام البيت الذي يسكنه ، برأيه ، اعظم رجل في العالم . قرع الجرس وصعد الدرج بشيء من الارتباك ، عندها . . . عندها التقى بتولستوي الذي كان ينزل الدرج مهرولاً بعد شجار مع امرأته ورأسه بين يديه . يروي فنّاننا جزلاً ان ذلك النهار كان أسعد ايام حياته لأنّه تمكن من الوصول الى ذلك الذي كان يأمل منه شفاء قلبه المحطّم . نظر اليه تولستوي مستغرباً ومن المؤكد انه ، ضمناً ، رثى لحاله وكان بامكاننا ان نرى في نظراته انه لم يكن ممنوناً من تلك الزيارة . لقد ألّف كتباً وسرّه ان يقرأها الناس . لم يزعجه استلام برقيات التهنئة ولم يتهرّب من مهر امضائه عندما كان المعجبون يطلبون منه ذلك . ولكن ان يعاني انسان مشقّة السفر الى «جسنايا بوليانا» طلباً للعزاء؟ لم يكن الامر يستحق كلّ هذا العناء . لقدكان عنده مشاكله ولم يكن باستطاعته مساعدة الآخرين .

عندما اقرأ هذه القصة ينتصب امامي مشهدٌ آخر : سيدنا يسوع المسيح يقف امامنا ، امام ملايين البشر الذين يكافحون ويحاربون ، ويحملون على اكتافهم المحنية ثقل الوجود ويفتشون في كل مكان عن العزاء والسلوى فتصدح من فم المخلّص هذه الكلمات : «تعالوا اليّ يا جميع التعبين والثقيلي الاحمال وأنا اريحكم» (متى ١١/٢٨).

هذا ، ايها الاخوة ، جوابنا الثالث على السؤال الذي طرحناه منذ خمسة عشر يوماً .

لقد سألت يومها ـ ماذا حمل الينا المسيح ؟ اعطانا الله ـ كان جوابنا الاول . اعطانا النفس كان الثاني . ولكنه اعطى حياتنا ايضاً اتّجاه سير ، وهذا جوابنا لعظة اليوم .

لا الفلاسفة ولا العلماء ولا الفنانون ولا الساسة من اعطوا البشرية اتجاه حياة بل سيدنا يسوع المسيح الذي بذراعيه المفتوحتين وكلماته الصادرة عن محبّة غير متناهية ، خطّ لنا الطريق باتّجاهٍ جديد لم يكن معروفاً من قبل .

١ ـ ايّ اتّجاه خطّه المسيح للبشريّة؟

٢ ـ ماذا ينتظرنا ان نحن خرجنا عن هذه الطريق؟ اود ان اجيب على هذين السؤالين في عظة اليوم.

١

ايّ طريق خطّه المسيح للبشرية ؟

أ) في إحدى لوحاته ذات المدلول العميق رسم فرا انجليكو ، (Fra Angelico) احد اساتذة الفن المسيحي الذي لا يضاهى ، تلك اللحظة

التي بها زار المسيح «اليمبوس» بعد موته، كما يقول قانون ايماننا، ليصطحب معه الى الآب نفوس من عاشوا في القديم حياة قوامها خشية الله. في هذه اللوحة نرى باباً حديدياً ثقيلاً ينفتح فجأة فيملأُ السجنَ نورٌ باهر، والذين كانوا ينتظرون المسيح منذ القديم، يتجهون نحوه وهو يمدّ اليهم يديه بحركة مشعّة. كانوا جميعاً اناساً صالحين، اتقياء ومستقيمين انما عاشوا قبل المسيح، فاذا بمجيء المسيح يعطي الآن حياتهم كمالها.

أ) نحن أيضاً ايها الاخوة **لم تكتمل تطلعاتنا ورغباتنا ومُثُلنا الا بمجيء المسيح**. قبل المسيح قام الانسان بمجهود على هذه الارض؛ كان هنالك فضيلة، قبل المسيح ازهرت ايضاً زهور الجودة الطبيعية ولكن ذلك كله لم يكن سوى قطع فسيفساء مبعثرة - **المسيح وحده جمعها في وحدة مدهشة، في لوحة رائعة**.

في القديم ازهرت مدنيات كبرى ولكنها لم تقدر أن تكتسح العالم. بابل واشور امبراطوريتان شاسعتان بنتا مباني ضخمة ولا نزال حتى يومنا هذا معجبين بتشريعهما ومعلوماتهما الفلكية ولكن عملهما ونشاطهما الفكري لم يتعدّيا حدود الشرق.

مملكة الفراعنة كانت هي ايضاً دولة عظمى. مسلاتها واهرامها وغنى مدافنها تستأثر اليوم ايضاً باعجابنا بعد آلاف السنين. - اليس صحيحاً مع ذلك ان هذه الحضارة المصرية تحجرت وصارت خرائب؟

هل اتكلّم عن حضارة الصين القديمة؟ عن كنوز الهند الروحية؟ لقد اقتصرت هذه الحضارات على ميادين معيّنة ولم تستطع ان توقظ في الشعوب الاخرى رغبة الاقتداء بها.

كم يختلف الامر في الحضارة الاوروبيّة! كم أعطت هذه الحضارة باقي الشعوب، ليس شعوب اوروبا فحسب بل شعوب العالم. اي تقدّم في الاخلاق، اي مثاليّة، ايّ تطوّر في الفنون والعلوم!

ولكن من أعطى هذه الحضارة الاوروبية قوّة اكتساح العالم؟ هل هو الفنّ الاغريقي ام الشرع الروماني؟ هل هي البلاغة اليونانية ام التقنيّة الرومانية من فعل ذلك؟ كلا، بدون شك. لقد استخدمت ذلك كله، ولكن قوتها لم تنبثق من ذلك. كلّ ذلك لم يكن الجوهر. من نفح الحضارة الغربية بقوّة ظافرة، من كان التربة العضوية، الاساس والنبع والمغذّي والحارس لهذه الحضارة هو ما نسميه بكلمة واحدة :الدين المسيحي. لقد دخلت المسيحية امبراطوريتي اليونان والرومان فجمعت قيمهما الذاهبة في طريق الزوال وخلصتها وسمت بها. لقد وضعت افكارها في الشعوب الفتيّة وفي القوى الثائرة لغزاة البربر، فهذّبت غرائزهم الثمينة انما المتوحّشة وجمعت شعوب اوروبا في وحدة حضاريّة، فحدّدت للفنون هدفًا اسمى وفتحت للعلوم ميادين جديدة للبحث.

٢ـ اليكم اذن اليوم السؤال الرئيسي: ما هي هذه الطريق التي فتحها المسيح للانسان الجديد؟ وبتعبير آخر: **ما هو جوهر الحضارة المسيحية وروحها وقوة فاعليتها الحيّة**؟ اهي الفلسفة لربما؟ الفنّ الغوطي ام فن النهضة؟ الزراعة ام الإقتصاد؟ التجارة البحرية لربما؟ نعم، كل ذلك من ضمن الحضارة الغربية ولكنه ليس الجوهر، ليس هو روح حضارتنا. هل يلزمنا الإفصاح عن روح حضارتنا. **ان روح حضارتنا هي حضارة الروح، يعني هذه المجموعة من الحقائق المسيحية** التي وسّعت في الانسان افقه الارضي والمحدود حتى مشارف الابديّة، وهذه المجموعة من الوصايا الأدبية التي أضحت ينبوع قوى

روحية لكل شعوب اوروبا الذين انتصروا بواسطتها على خراب عصور التاريخ ودمارها .

أ) قال نابوليون ذات يوم ان الانجيل ليس كتاباً بل حقيقة حيّة . ماذا اراد أن يقول؟ لقد عنى ان الكلمات التي نطق بها سيدنا يسوع المسيح منذ عشرين جيلاً تحمل قوة محيية تتجدد كل يوم . عندما يُترك الانسان لنفسه فانه يتيه في المادة: عيوننا لا تبصر سوى الارض ، ورغباتنا عالقة بالارض وافقنا محصور بحدود الارض؛ ولكن المسيح اتى ليرفع رأسنا وينقّي رغباتنا ويسمو بها ويوسّع آفاقنا . انما هنالك شرط واحد : ان نقبل المسيح ونخضع لمشيئته كلّ مضامين حياتنا .

ب) اشعر الآن انني وصلت الى فكرة لا يجوز اغفالها بدون تعليق دقيق . «**ان نعطي المسيح مكاناً في حياتنا**»؛ «ان نخضع للمسيح مضامين حياتنا اليومية»؛ «**ان نملأ العالم الحاضر بالمسيح . . .**» غالباً ما نسمع من ديانتنا المقدّسة مثل هذه المتطلبات ، ولكن الا يناقض ذلك الفكرة المسيحيّة؟ ان نفرض المسيح على عالم اليوم؟ ولكن كثيرين يعتقدون ان المسيح لم يعرْ العالم والحياة الارضية ايّ اهتمام ! لقد وجّه في الواقع انظارنا الى العالم الآخر فقط ، لم يتكلّم الا عنه ـ **ماذا كان بامكانه ان يقول لانسان اليوم؟**

يلزمني الردّ على هذا السؤال . هناك من يظنّ ان المسيح اهتمّ فقط بالعالم الآخر لا غير ، لم يكن لديه شيء يقوله بصدد هذه الحياة . علينا ان نمحّص ما هو الصحيح وما هو الخطأ في هذه الفكرة .

أ) نبدأ بالاقرار ان العلاقة المميزة لسيدنا يسوع المسيح هي فعلاً الحياة الفائقة الطبيعيّة والمحبة المتقدة نحوالآب السماوي . فهو لم يقلْ فقط: «طعامي

ان اعمل ارادة من ارسلني» (يو ٤/٣٤) بل كانت حياته كلها برهانا ساطعًا على ذلك .

ب) من ناحية اخرى تبرهن كلمات المخلّص وامثاله باستمرار ليس فقط انه لم يكن معاديًا لهذه الارض وللحياة الزمنية بل كان أيضًا يكنّ لمخلوقات الله الحيّة والجامدة حبًا غير معروف من قبل . في كلامه عن الله لا مكان لذلك المثال القديم لاله جالس على العرش بعيدًا عن العالم؟ الهه موجود في كلّ مكان ويملأ كل شيء : كل شيء موجود في الله . وهذا ما يفسّر لنا اهتمام ربّنا **بالطبيعة** التي لم يقدّرها جيل لربما كجيلنا الحاضر . بالنسبة للمسيح ليس هناك طبيعة «ميتة» ، ان امثاله وتشابيهه هي دفاع خالد عن محبّة المسيح لكل مظاهر الطبيعة حتى الصغيرة منها .

ولكن حبّه الأعظم ظهر جليًا نحو البشر .

من يجرؤ على القول ان المسيح مرّ غير مبال باحداث الحياة الارضية؟ من يتجاسر على القول ان قلبه لم يتأثر لسعادتنا او لشقائنا؟ يكفي ان نقرأ الانجيل لنرى ان كلّ صفحة فيه تبرهن ان المسيح استطاع : ١ـ **ان يتألّم معنا** و ٢ ـ **ان يفرح معنا** .

١ـ وجهُ المسيح يبيّن لنا انه شاركنا في كلّ آلام الحياة ، **المسيح استطاع ان يتألم معنا** .

هل كان المسيح غير مبال بهموم الحياة؟ انظروا كيف يحبّ الاطفال (متى ١٩/١٣) لم يحبّهم فقط بل كان يكنّ لهم عواطف ابٍ قلق (مر ٥/٣٦) وامٍ ثكلى (لو ٧/١٣) . يقاسم قلب المريض آلامه . بايّ حنان تصرّف مع المجدليّة وبطرس التائبين! غالبًا ما تذكر الاناجيل انه « اشفق على الجمع» (متى ٩/٣٦؛ ١٤/١٤؛ لو ٧/١٣) .

لم يكترث المسيح لمشاكل هذه الحياة ؟ لاحظوا بايّ عطفٍ لا مثيل له يخاطب المرضى. «يا ابني» يقول للمخلّع (مر ٢/٥)؛ وللنازفة «يا ابنتي» (مر ٥/٣٤). لم يكن مباليًا المسيح الذي بكى على اورشليم والذي عند رؤيته الباكين على قبر لعازار « ارتعش بالروح واضطرب» (يو ١١/٣٣) ؟ قلب المسيح استطاع حقًا ان يشعر معنا وينقبض معنا ويتوجّع معنا.

٢ ـ **ولكن قلب المسيح استطاع ايضًا ان يفرح معنا**. المسيح الذي شاركنا الافراح يعلّمنا ايضًا لربما بوضوح اكبر، ايّ اتّجاه نعطيه لحياة هذه الارض. كان شعار الامبراطور ماركو ـ اوريليو: «**امتنع واحتمل**». المحدثون من الافلاطونيين تكلموا عن الجسد كأنه «سجن النفس» كذلك نحسّ في صوم الشعب المختار ونمط حياة يوحنا المعمدان القشفة بشيء من الكآبة القاتمة والمؤلمة في حياة هذه الدنيا.

المسيح لا يعرف ذلك. هو ايضًا صامَ ولكنه لم يحزن ولم يكتئب، بل قال: «اذا صمتم فلا تعبّسوا كالمرائين . . . اما انت فاذا صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لئلا يظهر للناس صيامك بل لأبيك الذي يرى في الخفية. . . » (متى ٦/١٦ ـ ١٨).

لم نجد عند احد غيره مثل هذا المفهوم الجديّ والساميّ للحياة. مع ذلك لم يشجب افراح الحياة الطاهرة والبريئة. لم يتهرّب من دعوة الى غداء ولم يهتمّ بما سيقوله عنه اعداؤه فيما بعد انه « اكول وشريب الخمر» (متى ١١/٩). لقد جلس الى مائدة لاوي وسمعان ومرتا وحضر عرس قانا؛ لا بل فيه صنع اولى آياته لئلا يتعكّر صفو المدعوين وفرحهم بسبب فراغ الخمر.

اذن لا ارضى بما اسمعه من قول البعض هنا وهناك ان تلاميذ المسيح يجب ان يكونوا متقشفين وذوي نظرات رزينة ومتصنّعة لأن الانجيل لا يذكر ان

المسيح ابتسم . . . لا . هذا المسيح الذي شاركنا الأفراح والأتراح، والذي أتانا من عند الأب بـ «البشرى السعيدة» لا يمكن ان يكون معبس الوجه، قاسياً وبارداً . لم يكن ايّ اثر للتشاؤم وقرف الحياة عند المسيح ! المسيح لم يهرب من الحياة بل نظر الى اعماقها بعينيه الالهيتين، وبيديه مسكها ورفعها وضبط كلّ مظاهرها.

يسوع لم يهرب من العالم ولكنه ايضًا لم يُستعبد له. يسوع غلب العالم. وهذا الاتجاه الجديد الذي اعطاه لتلاميذه هدفًا للحياة كان ايضًا ينبوع الانتصار الحضاري الذي ضمن طوال عشرين جيلاً انتصار الشعوب التي اتخذت من الفكرة المسيحية اساساً لها .

٢

ماذا ينتظرنا ان نحن شذّينا عن طريق المسيح؟

أ) ان كان الامر كذلك، ان كان الدين المسيحي هو من اعطى الحضارة الغربية قوّتها، عندئذ لا يسعنا تلافي الشعور بالقلق تجاه علمنة الفكر البشري الحالية، لا يسعنا ان ننظر بدون قلق الى ما **تصطدم به الفكرة المسيحية وقوّة الايمان والآداب المسيحيين من عراقيل والى الوهن الذي حلّ بهما في ايامنا.**

ان الغرب واوروبا مدينان بعظمتهما للدين المسيحي. فهو سؤال حيوي اذن ان نعرف ان كان الغرب سيبقى للمسيح ام لا . انه واقع مؤسف لا يمكن انكاره انه مع العصر الحديث بدأ عدم الامانة نحو المسيح من شعوب كانت من قبل مسيحيّة، وهي ظاهرة لا تزال مستمرة حتى يومنا هذا. لا اعنيكم

انتم ايها الاخوة، الحاضرين في هذه الكنيسة، بل اعني معاصرينا الذين ليسوا هنا ولا في اي كنيسة. ان مظاهر حياتنا العلمية والاقتصادية والثقافية والسياسية تتحاشى ايّ تأثير للروح المسيحيّة، واكثر من ذلك ايضاً التقنية والصناعة والتجارة والعمل والبورصة. نولد اليوم في عالم تنصّل من المسيح، وسط جمهور من الذين خانوا الامانة نحوه.

مع ذلك ليس من شكّ حول ما ينتظرنا ان نحن انفصلنا عن المسيح. **ماذا يحلّ بنا؟ ما يحلّ بالجسد عندما ينفصل عن النفس.**

عندما تنفصل النفس عن الجسد لا يعود هناك ما يجمع آلاف الاجزاء ولا يبقى كائن بشري بل قبضة من الملح والفحم والفوسفور والماء والحديد وعشرة انواع أُخر من المعادن؟ كذلك عندما تغادر القيم الروحية المجتمع البشري لا يبقى هنالك ما يؤمن وحدته - وبدل مجتمع بشري منظّم مرتّب تبقى كومة صغيرة من الفبارك والمحركات والسجون والمستشفيات والمطابع.

ماذا يحلّ بنا ان نحن انفصلنا عن المسيح؟ نصبح عُوراً. وما اكثر العور بيننا! لا يرون من العالم سوى الناحية الماديّة، بقيت عندهم هذه العين فقط، ولكنهم في الوقت عينه لا يريدون ان يرفعوا ابصارهم الى الامور التي تتعدّى المادة، لقد فقدوا العين التي يرون بها ما فوق الارض. والنتيجة؟ خيبة مرة في نفس الانسان المعاصر: لا يرى غير الكفاح دون ان يعرف الظفر، يحارب دون ان يرى الاكليل، يمشي طريقه دون ان يعرف الى اين تصل به. في المجتمع القديم وُجد بعض الناس ممن تركوا الله. اما اليوم؟ فالمجتمع ككل بدأ يُبعد الله عن افكاره.

ولكن عبثاً: الحقيقة الحيّة والفاعلة في تاريخ العالم هي اليوم ايضاً قوة المسيح الظافرة.

وعندما تهولنا الرؤيا في البلدان المشتعلة ونتراجع برعب امام الانقلابات الروحيّة والماديّة التي يدلّ عليها مفهوم الثورة، نرانا مجبرين على معرفة ماذا يعني لنا المسيح والفكرة المسيحية. ماذا ؟ انه يعني حياة هادئة ومنظّمة وضمان حضارة.

كلّنا نبشّر بمقاومة الثورة الاجتماعيّة ولكن هل نحسن التبشير؟

لا نستطيع التغلّب عليها بالكلام فقط ولا يمكن محاربتها بالدعاية والخطابات فقط. كيف اذن؟ **بالرجوع الى المسيح. ان ندع المسيح يدخل قلبنا.**

ما الفائدة من شجب الثوار ان كنت في الوقت عينه اترك الصحف المصوّرة ودور السينما والمسارح تُلبس العقائد الدينية ازياء السخرية وتجرجر في الوحول الشرائع الادبية؟ يجب ان نقتنع، ايها الاخوة، ان الكفاح الخارجيّ ضد الثورة يبقى فاشلاً وكاذباً ان تركناها تكبر وذلك بمحاربتنا الفكرة المسيحيّة بطريقة عيشنا وحياتنا. كيف يجرؤ هؤلاء المسيحيون الذين يطبّقون الشرائع الادبية على هواهم ومرائهم ان يتكلّموا ضد الثوار ؟ لا نخاف الثورة ولا نرتعد امام ابليس، ما يُخيفنا هم أشباه المسيحيين هؤلاء.

لقد اقفل البولشفيك في توبولسك (Tobolsc) عدداً من الكنائس حوّلوا بعضها الى سجون. ليس ذلك حدثاً مؤسفاً فحسب بل هو رمزٌ عميق المعنى ايضاً: بقدر ما نقفل كنائس المسيح بقدر ذلك يجب ان نفتح سجوناً للمجرمين. المعادلة غير كافية، يجب زيادتها عشرة اضعاف. اذ يجب الا ننسى هذه القاعدة الاساسية لتاريخ الحضارة التي يمكن صيغها على هذا الشكل: **كل نظام لا يحافظ على الاسس التي قام عليها لا يمكن ان يثبت قويًا وهوالى زوال.** فان كان صحيحاً - وهي الحقيقة بالذات - ان الحضارة

الاوروبية مدينة بعظمتها للايمان والآداب المسيحيين، فهو صحيح ايضاً ان هذه الحضارة ماضية الى الخراب اذا ما تخلّت عن فكر المسيح. فكما ان الحضارة الرومانية اضمحلّت بسبب عبادة البغاء عند الذكور والاناث كذلك حضارتنا ستزول بسبب اصنام الـ (Boys and Girls) وغيرها مما لا يُعدّ من اشكال الخفة الاخلاقية.

* *

*

اخوتي، في سنة ١٩٣٠ حملت الصحافة الاوروبية، خبراً مفاده ان الممثّلة العالمية الشهرة (ماريا اورسكا) قد وضعت حداً لحياتها بالانتحار. لقد حصلت على كل ما من شأنه ان يجعل الانسان سعيداً. مع ذلك رفضت الحياة.

ما الذي ينبذه الانسان بعيداً عنه؟ ما هو خِرقة لا قيمة لها، ما هو عبء بلا فائدة!

ليس اذن هدفٌ كافٍ للحياة ان يغرق الانسان حتى اذنيه في ملذات الدنيا؟ يظهر ان الجواب بالنفي.

اذن المسرح والشقّة الفخمة والسيارة ورداء الفرو والاسفار وسهرات الليالي ليست هدفاً كافياً للحياة؟ الظاهر ان لا.

منذ ان اتى المسيح ارضنا نعلم ان الواجب الرئيسي في الحياة هو اتمام ارادة الله بحياةٍ شريفة كما العمل والقيام بالواجب والتضحية. ليست التسليات سوى استراحة. وحده يعمل لاجل مستقبل البشرية من يساعد الناس المعمية ابصارهم ببهرجات السينما والصحف المصوّرة والملاهي العالمية، ان يعرفوا ان

المآتي الرياضية ورقص السيدات والسادة من علية القوم يجب الا يُنظر اليها على انها المظاهر المثلى للفكر البشري وان هذه الطبقة من الناس التي تعيش في هذا الجوّ من البذخ لا تنهار فقط امام عقم حياتها بالذات ، بل هي دود ينخر شجرة المجتمع . انها تنهار من تلقاء نفسها لأن سلّم الملذات محدود الدرجات وان ميزان حرارته يصلُ سريعًا الى الغليان تتبعه حالاً النار والحرائق . كما انها تسبب ايضًا انهيار المجتمع ، لأن ميل الانانيّة يُطفئُ كل محبّةٍ وكلّ اهتمام وكلّ شفقة تجاه بؤسِ الآخرين .

لقد أعطيتَ ايها الربّ يسوع اتجاهًا آخر للحياة . انت هو «الطريق والحق والحياة». اجعل شعوبك التي خانت الامانة ان تجد بنعمتك من جديد الطريق المؤدي الى الحقيقة والحياة. آمين .

ماذا حمل الينا المسيح ؟

(٤)

فرح الحياة

اخوتي ،

لقد اكتشفوا من زمان ليس ببعيد كتابة باللغة العربية على مدخل احدى اقدم مدن الهند فاتيبورسكري (Fathepour - Sikri) ، مليئة بالعبر ، هذا نصّها: «*لقد قال عيسى - عليه السلام - العالم جسر أُعبره . لا تبنِ عليه بيتك*» .

لا نجد هذه الآية في الانجيل ، ولكن السيد كما يقول القديس يوحنا (٢١/٢٥) علّم اموراً كثيرة لم تكتب في الانجيل . فليس من المستحيل اذن ان تكون هذه الآية المحفورة على مدخل المدينة الهندية قد خرجت فعلاً من فم المخلّص . الفكرة بحد ذاتها مطابقة تماماً للكتاب المقدّس (عبر ١٣/١٤) .

نعم ، العالم جسر كبير علينا ان نعبره . ولا يخطر ببال احد ان يبنيَ بيته على جسر . الناس يسرعون في عبور الجسر ليصلوا الى الضفّة الاخرى ، وبقدر ما ارى الاتجاه واضحاً والهدف اكيداً بقدر ذلك اجدّ السير بفرح ومثابرة .

ماذا حمل الينا المسيح ؟ للمرّة الرابعة اطرح السؤال واجيب اليوم انه اعطانا **فرح الحياة**.

هذا الجواب هو نتيجة حتميّة لكل ما سبق ، لأنه عندما كشف لنا سيدنا يسوع المسيح سرّ الله والنفس وعرّفنا غايتنا السامية والابديّة لم يعط حياتنا الزمنية اتجاهاً سامياً فحسب بل **اعطانا ايضاً الشجاعة والقوّة والفرح في معركة الحياة**.

بما ان الحياة جسر فيجب عليك ، لدى عبوره ، الا تغيب عن نظرك لحظة واحدة الضفة التي تقصدها ، اعني غايتك القصوى ، وهذا الهدف يوليك فرح الكفاح وقوّة الاحتمال .

اودّ ان اختصر موضوع ارشادي اليوم بهذه الفكرة المثلثة: نحن نسمي تعليم المسيح «مفهوم انتصار على العالم» لأنه ١ ـ **يعطي الحياة هدفًا**. **٢ـ يعطي الكفاح هوسًا**. ٣ ـ **يعطي قوّة الاحتمال** .

١

المسيح اعطى حياتنا هدفًا

كان حكماء العالم يتعثّرون ، قبل سيدنا يسوع المسيح ، في ظلمات الحيرة بصدد غايتهم القصوى . كان **سقراط** يتساءل : «كيف يجب ان نخدم الله» ، ويجيب: «من الافضل انتظار من سيأتي ليُعلّمنا ذلك» ، عندما سأل تلاميذ بوذا معلّمهم وهو على فراش الموت ما هي وصيته الاخيرة ، قال لهم : «كافحوا دائمًا وبدون كلل» وعندما سألوه عن السبب هزّ كتفيه ولم يجب . قال لهم من قبل انه يجب الكفاح لأجل النيرفانا؛ ولكن ما ادراك ما النيرفانا؟ البوذيون لا يزالون حتى اليوم يتجادلون حول هذا الموضوع .

اما الذين سمعوا المسيح فيعرفون بغيته في الحياة : **كسب الحياة الابديّة وذلك باتمام واجباتنا باخلاص في هذه الدنيا**. هذا هو هدف الحياة البشرية .

فقط منذ مجيء المسيح نعرف نحن البشر لماذا نسير مستقيمي الظهر مرفوعي الرأس . الحيوان يدبُّ على الاربعة ورأسه منحنٍ الى الارض ، لأن الارض موطنه الوحيد؟ **اما الانسان فيسير مستقيمًا ووجهه نحو السماء لأنها نهاية مطافه الاخير والدائم** .

قبل مجيء المسيح لم يكن الانسان يعرف هدف حياته ولكن من بعد ان اتى بدأ يشعُّ امامنا فرح الاتحاد بالله ابداً وهو هدف نبلغه بحياة جديّة نحياها. لأن المسيح هو من يعيش بيننا فيجعلنا مسؤولين عن طريقة سلوكنا في هذه الحياة، اعني مسؤوليتنا عن مضمون حياتنا على وجه الأرض.

النجمة تبدأ، حسب الشرائع الكونية، تبرد ثم تنطفئ كليًّا بعد انفصالها عن الشمس، كذلك منطق النظام الأدبي الذي لا يرحم يفيدنا انه عندما تتمرد النفس على خالقها وتنفصل عنه، فان ليلاً بارداً خاليًا من النجوم يلفُّ النفس التي تسير على طريق الخطيئة والأثم.

الانسان لا يجد ابداً السعادة الحقة الاَّ في الله وحدَه وفي نفسه المتّجهة الى الله.

٢

المسيح اعطانا هوس الكفاح

عندما حذّرنا المسيح من بنيان بيتنا على الجسر، اعني عندما عّلمنا قيمة حياة الأرض بالنسبة لحياة الأبد، **اوجب علينا في ذات الوقت بلوغ الكمال بواسطة الجهاد** ولكنه في الوقت نفسه **امدّنا بالفرح للقيام بهذا الجهد**.

أ) عندما اهدى المسيحُ الناس الى معرفة نفوسهم حقق لهم اكتشافاً لا يقاس. لقد كشف لنا اننا **اسمى المخلوقات** لأن فينا القوة التي تجعلنا ننتصر على رغبات الطبيعة الأنانية وكل قوى الغرائز، كل المشاعر وكل ما يزعج، كما وضربات القدر اللاسعة، ليس بمعنى اننا لا نتألم منها بل بمعنى **قدرتنا على استخدامها لأجل دخول ملكوت الله**.

قبل مجيء المسيح كانت اعماق النفس البشرية **قطاعاً مجهولاً**. هو كشف لنا عن القوى المقدسة الراقدة فينا والتي تستطيع ان تحوّل حياة الشقاء والكفاح الى حياةٍ مشعّة تسمو الدنيا.

من بعد المسيح فقط نستطيع ان نتكلَّم عن القوى الأدبية في الإنسانية. الإنسانية القديمة جددت بالمسيح شبابها.

ب) عندما علّمنا المسيح ان لنا نفساً معدّة لحياةٍ ابدية **بيّن لنا في ذات الوقت الواجبات الناجمة عن ذلك**.

ماذا ينجُم عن ذلك؟

واضحاً يقول الرب: «ملكوت السماء يُغتصب والغاصبون يختطفونه» (متى ١١/١٢) كما هذه الكلمات: «لم آتِ لألقي سلاماً بل حرباً» (متى ١٠/٣٤).

ما معنى هذا الكلام؟

معناه ان الإنسان مركبٌ من نفس وجسد. اذا نظرنا الى الإنسان من الناحية الجسدية نراه شبيهاً بالحيوان في اكثر من ناحية. الحضارة تسمو علم الحيوان وتاريخ الحضارة غير مجرد تسامي غرائز الحيوان وقهره فينا. المسيح يريد اكثر من ذلك: **يريد ان يغلب الإنسانَ في الإنسان كي يتحده بالله**.

ساورد لكم بهذا الصدد مثلين يدلاّن بوضوح كم تقوى النفس باتحادها بالمسيح كالعريشة التي تلتفّ حول جزع السنديانة الصلبة، وكيف ينهل الإنسان الضعيف قوّته من المسيح.

في هذه السنة احتفل عالم الفنون بذكرى مرور مائتين وخمس وعشرين سنة على ميلاد الموسيقار **موزار**.

سأقرأ لكم هذه الرسالة التي حررها بعمر الثانية والعشرين الى صديقه الأب بولنغر(Bullinger) في ٣ تموز سنة ١٧٧٨ بعد وفاة والدته وفيها يقول : لقد دعاها الله اليه ، لقد ارادها بقربه . وعيت ذلك جيداً وانحنيت امام مشيئته . هو الذي اعطانيها وبامكانه استعادتها . . . اعترفَت قبل وفاتها بثلاثة ايام وتناولت القربان الأقدس وقبلت سر المشحة . لا اطلب منك الآن كصديق سوى هذه الخدمة: ان تساعد برفق والدي المسكين كي يتقبل هذا النبأ الفاجع . فليعطه الله القوة والشجاعة . لا اشعر بمرارة ، صديقي العزيز ، لأنني حصلت مسبقاً على التعزية . بنعمة خاصة من الله استطعت ان احتمل كل ذلك بشجاعة وتسليم . عندما اتت الساعة طلبت من الله نعمتين: الميتة الصالحة لوالدتي ولي القوة والشجاعة . والله استجاب طلبي ومنحني هاتين النعمتين بوفرة»[١] .

فاذا سألنا اين وجد هذا الشاب ابن الثانية والعشرين ربيعاً ، هذه الشجاعة المميزة فالجواب نجده **في تقواه الخاترة والعميقة** . موزار الذي عمرت حياته بالشجون والمرض ، موزار الذي لا يكلُّ عن العمل كان يجد الوقت الكافي لحضور القداس حتى في بحر الإسبوع ، ولا يسعنا ان نقرأ بدون تأثر رسالته المشحونة بالتقوى التي كتبها لوالده بعمر الخامسة والعشرين في ١٣ حزيران ١٧٨١:

«كن مطمئن البال يا والدي الحبيب من جهة خلاص نفسي . إنني انسان ضعيف كباقي الناس ولكنني اتمنى ، لتعزيتي ، ان يكون الجميع بمثل هذا الضعف . لربما تصدق عني اموراً غير صحيحة ، والسبب الرئيسي انني لا اجاهر بما يختلج في داخلي كما كان واجباً علي . ليس صحيحاً انني تباهيت

(١) Das Newe Reich 1931 p. 363

بأكل اللحم كل ايام القطاعة . . . اسمع القداس كل ايام الآحاد والأعياد وفي بعض ايام الأسبوع ايضاً وانت تعرف ذلك جيداً يا والدي الحبيب» .

وكيلا يفكر احد ان مثال موزار قديم جداً فساورد لكم مثالاً آخر حديثًا .

بين مستمعي الأعزاء رجل رهيف الحس عميق الإحساس ، يرسل الي من وقت لآخر يومياته كي أقرأها . اسمعوا هذه الأقوال السامية حول هدف الحياة . لقد كتب: «ان الحياة موضوعُ انشاء يعطيه الله للإنسان يوم ميلاده ليوسّعه حسب دعوته . البعض يصنعون منه مأساةً، والبعض الآخر ملهاةً ، آخرون يصنعون منه رواية تافهة ، وكثيرون قصة معقّدة . منهم من يصنعون منه شريطًا سينمائيًا يكرّ بسرعة جنونية ، الملايين يصنعون منه سلسلة تواريخ ، آخرون يصنعون منه قصيدة شعرية والبعض الآخر ، وهم قلة للأسف ، يصنعون منه صلاةً . اما انا فاشعر **انني اصنع منه نشيدَ دعوة للفرح**، لأنني بالرغم من الآلام والأحزان والبشاعات والخسائس والفظائع اؤمن بالجمال والجودة الأزليتين اللتين وسم الله القدير بهما هذا العالم وسماً لا يمحى . . . »

هذا ما كتبه احد مستمعي الأعزاء . بحقكم قولوا لي هل وُجد قبل المسيح انسانٌ واحد ، ولو الاحكم ، فكَّر هكذا بصدد الحياة؟

٣

المسيح اعطانا قوة الاحتمال

«من السهل ان يكتب الإنسان هكذا عندما تسير الأمور وفق هواه» قد يقول اكثر من واحد تلقى ضربات الوجود المؤلمة ، «فليبتسم وسط العذاب اذا استطاع وليحاول ان يبقى جريئًا وهادئًا تجاه الموت!» .

ازاء تفكير هؤلاء اراني مضطراً الى القول ان المسيح ، له المجد ، لم ينجُ من هكذا اوقات قلقٍ وضيق ولكنه بكلامه ومثاله اعطانا قوة الإحتمال أ) **في ساعات العذاب. و ب) في ساعة الموت.**

المسيح علمنا بمثله كيف **نحتمل عذاب الحياة.** وبذلك صار المعلم الأعظم لحياة هذه الأرض ، لأن العذاب نصيب الإنسان. العذاب بدون شك جزءٌ لا يتجزأ من الكائن البشري. لن يفهم معنى الحياة البشرية من يتهرب دائماً من العذاب (عليه في هذه الحال ان يخرج من العالم) بل **من يعرف ان يعطي العذاب معناه.** وهنا بالضبط تكمن قوة المسيح العظمى لأنه واجه الحياة من كل نواحيها وبشّر بحياة واقعية ليس في مظاهرها الخارجية فقط بل في اعماقها المظلمة والخفية ايضاً وخاصة.

لقد قال سيدنا يسوع المسيح ذات يومٍ ان الذين يحملون صليبهم بنبل وشجاعة يتبعونه بنوع اكيد: «من لا يحمل صليبه كل يوم ويتبعني فلا يستحقني» (متى ١٠/٣٨).

وبهذه الكلمات غيّر الرب كلياً مفهوم الحياة البشرية بصدد العذاب. العذاب ليس بالنسبة الينا ضربة قدر اعمى ، ولا يد قدر ثقيلة. الدموع هي ينبوع بركات تظهر من خلالها صورة الآب السماوي عينها ، ومن بعد ذلك يحتمل المسيحي الآلام لأنه يعرف قيمتها. كتب احد اساتذة الجراحة: «ان الهموم والأحزان تؤذي الصحة اكثر من الوجع الحسّي ، بالمقابل نجدُ قوةَ الإيمان عند الأتقياءِ من الناس ذاتَ فاعليةٍ اعظم من ابر المورفين التي يصفها الأطباء». (١)

---

(١) G. Perthès, Tubingen Naturwissenschaftl. Abb. 1. Heft 2 Aufl. Stuttgart.

من يفهم ذلك؟

فقط من عرفَ مسيح الآلام. نعم، لأنه يسير امامنا، امام كل انسان يمشي سيدنا يسوع المسيح الذي شرب كأس الآلام حتى الثمالة كي لا يوجد في العالم انسان واحد لا يستطيع المسيح ان يكون مثاله، فيقول: «من المؤكد ان المسيح تألم اكثر مني».

ب) ولكن يسوع لم يتألم فقط بل **مات على الصليب أيضًا**. ومن بعده يلمعُ فوق باب القبر المظلم واليائس فجرُ رجاءِ الحياة الأبدية. لقد اتخذ المسيح من الموت موقفًا واضحًا لأن من لا يستطيع ان يفيدنا عن الموت شيئًا لا يستطيع ان يكون معلم البشرية الحقيقي.

ولكن الموت ظاهرةٌ عادية، تحدثُ كلَّ يومٍ، بل كلَّ ساعةٍ بل كل دقيقة، بل كل ثانية... اكثر من ١٢٠٠٠ انسانا يموتون كل يوم في العالم اعني خمسة آلاف في الساعة وثمانين في الدقيقة، اعني كل ثانية يفارق احد معاصرينا صفوفَ الأحياء... وكما تتساقط الثلوج على الارض في فصل الشتاء كذلك يتساقط الناس في القبور دونما انقطاع... والذي لا يزال في قيد الحياة الايزال عرضةً للإنقباض الدائم؟ اليست كل دقيقةٍ في الحياة منةً ننتزعُها من يد الموتِ بمشقّة؟ علّمونا يا حكماء الدهر ما قولكم بالموت هذا السلطان الرهيب؟ بدون المسيح لا يستطيع الإنسان الا ان يرتجف امام هذه الفكرة وعندما يتخيلُ الموت، يرسم جنًّا اسود يحمل بيده مشعلاً مدخنًا يصوّبه نحو الأرض. ولكن الإنسان المؤمنَ بالمسيح يقول واثقًا هذه الأبيات للشاعر البرتغالي الشهير كامُونْس (Camoëns):

عندما اكون اتممت ما قدرت عليه،

ويبدأ الظلام يخيّم علي ،
آتي بهدوء لأرتاح ،
على حافة طريق الموت .
وبسكونٍ انتظر هذه الساعة
التي لم يرهبْها الاشداءُ .
عندما يأتي الموت
عندئذ تبدأ الحياةُ .

من المعروف ان عمّال شركات دفن الموتى في الولايات المتحدة لا ينقعون الموتى في خميرة البيرة فحسب بل يدلّكونهم ويجمّلونهم ، فيساوون الشفاه وقسمات الوجه ويطلونها بالمساحيق حتى ليبان الميت عندئذ اكثر طراوة وحيوية مما كان عليه في حياته . في لائحة اسعار احدى الشركات المذكورة نقرأ ما يلي: «تدليك وجه الميت: ثلاث دولارات» . هذا معقول . ولكن ما يميز الأميركيين هو الآتي: «تدليك الوجه بحيث يعطي انطباعاً بالراحة والسلام: عشر دولارات» .

في الحقيقة ليس الثمن باهظًا البتة ، ان كنا بعشر دولارات نعطي عن الموت انطباعاً بالسلام! ان كنا بعشر دولارات نستطيع الحصول بالتأكيد على هذه الفكرة التي لا يستطيع الحصول عليها سوى **من إنتظر في الموت مجيء المسيح** .

قد لا استطيع التعبير عما حمل الينا المسيح الا بهذه الكلمات التي كتبها موزار في تلك الرسالة التي حررها لوالده المريض في الرابع من نيسان سنة ١٧٨٧« . . . بما ان الموت هو الخاتمة الحقيقية والنهائية لحياتنا فقد تآخيتُ منذ سنتين مع هذا الصديق الحقيقي للإنسان حتى ان صورته لم تعد تخيفني بل

اصبحت مصدر سلامٍ وعزاءٍ واشكرُ اللّٰه الذي وفرَّ لي هذه الفرصة (وانت تعرف ما اقصد) لأدرك ان الموت هو مفتاح سعادتنا الحقيقية. . . لا انام قبل ان افكر (رغم حداثة سني) انني لن ارى الغد، مع ذلك ليس هناك واحدٌ من اترابي يستطيع القولَ انني كئيبٌ حزينٌ في المجتمع، واشكرُ خالقي على هذه السعادة كلّ يومٍ واتمناها من كل قلبي لكلّ انسان»(١).

أاقول ايضاً ماذا حمل الينا المسيحُ؟ لم يعفِنا من الموتَ ولكنه ازاح عن وجهه صورة اليأس. موزار، في الواحد والثلاثين من عمره، كان ينظرُ كلَّ يومٍ الى حقيقة الوجود البشري الرهيبة ولكن ايمانه الذي لم يعرف الشكّ اعطاه الغلبة والسلام مع السعادة والقدرة على العمل.

هل سألتُ في بداية عظتي ماذا حمل الينا المسيح ؟لقد اعطانا فرح الحياة.

* *

*

سأختصر، اخوتي، موضوع عظتي في هذه اللوحة التي تبرهنُ بتناقضاتها حقيقة كلامي.

في قرية درديلّي (Dardilly) التي لا تبعد كثيراً عن مدينة ليون في فرنسا كان يعيش في أواخر الجيل الثامن عشر ولدٌ صغير اسمه جان اصغر ابناء متى فياناي (Vianney) الذي غالبًا ما كان ينظرُ بعينين معجبتين المدفعية المجاورة تجتازُ بلدتَه على وقع حوافر الخيل. . . وبين صفوف الضباط كان واحدٌ بعمر السابعة والعشرين.

(١ Das Newe Reich 1931 p. 365.

ابنُ الفلاح صار خادماً لله ، هو خوري ارس الذي كانت حياتُه الفقيرة والقشفة مشعلاً هادياً لمحبة الله والقريب والذي حمل اسمُه - اسم خوري ارس القديس -آلاف النفوس الى حياة الفضيلة والذي لا يزالُ ذكره محبوباً ومباركاً الى الآن. نابوليون بونابارت الذي بكبرياءٍ لاحدَّ لها وطموحٍ لا قياسَ له ضحّى باصدقائه وامرأته وايمانه وروّى ارض اوروبا بدم ملايين الجنود. . . ماتَ بعمر الثانية والخمسين بسرطان المعدة منفياً في جزيرة القديسة هيلانة ، «لم يرَ العالمُ مثلَه انساناً مكروهاً ومرهوباً على السواء». . . كما وصفه احد مؤرخيه.

هذه طريقُ كلٍّ من هذين الرجلين ، الإثنان مرّا على جسرٍ - الاول **عبره** **ليس الا ، الآخر اراد أن يبني عليه بيته**. الإثنان ضحّيا بحياتهما لتحقيق مخططهما ومبتغاهما - **احدهما لأجل ذاته، الآخر لأجل الله**. والذي اراد ان يحصل على كل شيء خسر كلّ شيء، اما الذي طلب اللّه فقد حصل على كلّ شيء.

اخوتي ، حياتكم لا تزالُ ملك ايديكم: تعيشون كما تشاؤون . **منهم** من **يعيش لأجل العالم ومنهم من يعيش لأجل الله**. ولكن قبل الاختيار تذكروا ان **الذي اراد ان يربح كلّ شيء خسر كلّ شيء، اما الذي جدّ في طلب الله فقد ربح كل شيء**.

ماذا حمل الينا المسيح؟

(٥)

الحياة الأبدية

إخوتي ،

ان ابعد نقطة في جنوب افريقيا تدعى «رأس الرجاء الصالح» . لم يكن هذا اسمه من قبل ، كان اسمه «رأس العواصف» . يقول سكان المنطقة انه لم يكن باستطاعة اي سفينة ان تلفّ ذلك الرأس من دون التعرض للغرق . ولكن بعد ان تمكن فاسكو دي غاما (Vasco de Gama) الذي اكتشف الهند الشرقية ، من عبور هذا الرأس ، بحارون آخرون سلكوا من بعده هذه الطريق بكل ثقة ، ومنذئذ سمّوا رأس العواصف رأس الرجاء الصالح .

في بحر هذه الحياة ايضاً رأس مخيف وخطِر لم يكن باستطاعة احد عبوره بدون غرق: الموت . بعينين حائرتين كنا نقف امام هذا السؤال الخانق الى ان جاء سيدنا يسوع المسيح الذي عبر ظافراً رأس العواصف . ونحن الذين نسير وراءه اليوم نعلم انه وراء باب الموت المظلم ينتظرنا النور الأبدي .

فاسكو دي غاما لفّ بنجاح رأس العواصف فاكتشف الهند الشرقية مع كل دررها؛ اما المسيح ربنا فقد عبر ظافراً باب المنية وكشف لنا عن **حياة ابدية تنتظرنا بعد الموت**.

هذه هي الهدية الجديدة التي حملها الينا الرب وهي موضوع عظتي هذا النهار .

في الآحاد السابقة قلت ان المسيح عرّفنا الله والنفس البشرية؛ اما اليوم فسأتكلم عن اكتشافٍ آخر عظيم: **المسيح اكتشف لنا الحياة الأبدية**. اذن لنر اولاً: ماذا علّمنا المسيح بشأن الحياة الأبدية وثانياً: **ما نتيجة هذا التعليم**.

١
ماذا علمنا المسيح بشأن الحياة الأبدية؟

المسيح اعطانا عن الحياة الابدية معرفة جلية. منذ وجود الإنسان على وجه الأرض كانت تراوده فكرة حياةٍ دائمة، حياة تلي حياة الأرض. بقدر ما نتوغل في تاريخ البشر بقدر ذلك نجد المذاهب الدينية وعادات دفن الموتى وعبادة ارواح الأموات تدل بوضوح ان الحياة الأرضية لا تضمحل تماماً بالموت وان شيئاً بعد الموت يبقى.

ولكن سيدنا يسوع المسيح وحده اخرج من هذا الشعور الغامض عقيدةً واضحة. غالباً ما تكلم عن « الحياة الأبدية » بوضوح لا يقبل الشك (متى١٩/١٦؛ ١٩/٢٩؛ ٢٥/ ٤٩؛ مر ١٠/ ٣٠؛ يو ٣/٣٦؛ ٤/١٤؛ ٤/٣٦؛ ٥/٢٤، الخ...) تكلم عن الأب السماوي الذي ارسل ابنه الى العالم «حتى ان كل من يؤمن به لا يموت بل يحيا الى الأبد» (يو ٣/١٦)، كما قال عن نفسه: «من يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة الابدية وانا اقيمه في اليوم الأخير» (يو ٤/٥٤) ثم وعد الذين يتبعونه بأن يعطيهم «حياة الأبد» (يو ١٠/٢٨).

حياة ابدية! حياة ابدية! يا للكلمات السامية! من يملك حياة ابدية؟ اللّه وحده. حياة ابدية معناها اذن حياة الهية (١ يو ٣/١ -٢).

٢- بعد ان صدحت كلماتُ المخلص هذه نعرف الى اين المصير . على جسر باسّاو (Passau) نقرأ هذه الكلمات : «كل شيء عبور»[١] هذا اكيد . حياتنا تمضي ولكن ، فكروا ايها الأخوة ، **الى اين نمضي؟**

الأرض تحملنا في جريها السريع نهاراً وليلاً ، ولكن الى اين؟ من يستطيع الجواب؟ قال الفلكيون قديماً اننا نسير نحو مجموعة هرقل لنصبٌ فيها . اليوم يقولون اننا مجذوبون إلى نقطة مجهولة من مجموعة المجرّه . . . ولكن قد تكون هذه النجمة المجهولة مجذوبة الى نجمة اخرى مجهولة هي ايضاً . لا نعلم . ولكن الشيء الوحيد الذي نعلمه ان نقطة ارتكاز الكون التي لا ترى والتي تدور حولها كل النجوم واليها تتجه كل الأشياء هي اللّٰه الأزلي . ومن بعد مجيء المسيح نعرف ان نقطة الجاذبية الوحيدة والهدف الأخير لحياتنا هو اللّٰه الذي يحبنا حباً لا حد له . وكما تشد شريعة الجاذبية الحجر نحوَ الأرض كذلك تشد شريعة المحبة نفسنا الى خالقها .

الحياة الأبدية هي غايتنا القصوى« اما الوعد الذي وعدنا به فهو الحياة الأبدية» (١ يو ٢/٢٥) انها هدف عمل المسيح الخلاصي (روم ٥/٢١) . اذا ثبتت نفسنا امينة وسط التجارب فبسبب «رجاء الحياة الأبدية التي وعد بها الإله الحق قبل ازمنة العالم» (طيطس ١/٢) ونفسنا تبقى امينة «كيما نتبرر بنعمته فنصبح ورثة الحياة الأبدية بسبب الرجاء» (طيطس ٣/٧) فيكتب اللّٰه اسماءنا في «سفر الحياة » (لو ١٠/ ٢٠؛ رؤ٣/٥) . ونعلم انه «يجازي كل انسان حسب اعماله؛ فالذين بالصبر على الأعمال الصالحة يطلبون المجد والكرامة وعدم الفساد فانه يؤتيهم حياة الأبد» (روم ٢/ ٦-٧) .

وهذه الأفكار تقودنا الى سؤالٍ اهمّ:

---

(١) Alles ist ubergang

٢

ما هي نتيجة ايماننا بالحياة الأبدية؟

ماذا اعطانا المسيح نتيجة ايماننا بالحياة الأبدية؟ يمكنني اختصار الجواب على هذا السؤال بثلاث نقاط: اولاً **المسيح غيّر نظرتنا الى الوجود**؛ ثانياً **غيّر حياتنا**؛ ثالثاً **غيّر موتنا**.

١ ـ غيَّر نظرتنا الى الوجود. الإيمان بالحياة الأبدية خلَّص انظارنا من محدودية افقنا الأرضي وصوّبها نحو ابعاد الابدية كيما نرى كل احداث الوجود «من وجهة نظر الأبدية» (١).

أ) بعضهم ميّز بين موسيقى موزار وموسيقى واغنر بقوله ان موسيقى واغنر تكشف لنا الحياة الأخرى كما نراها من هذه الارض، اما موزار فيصف لنا حياة الأرض كما نراها من الأبدية. ما من شيء اكثر ضرورة لنا في الوقت الحاضر مثل نظرتنا الى أحداث الحياة المؤلمة من اعالي الأبدية، وان نتعالى فوق اعباء الحياة اليومية التي تثقل كاهلنا وان نضيء مشعل الحياة الأبدية على دروب العالم الصاخب والزائل المظلمة. وحده لا يضيع وسط سيل الأحداث اليومية مَن أمسك بيديه ميزان الأبدية الذي اعطاناه السيد المسيح بهذه الكلمات: «ماذا يفيد الإنسان ان ربح العالم كله وخسر نفسه؟» (متى ٢٦/٢٦).

بعد ان عرّفنا المسيح بوجود حياة ابدية اتسع افق حياتنا كثيراً، كذلك نوعية تقييمنا للأشياء تغيرت، ومن حينه لا ارضى بحياة عابرة وليس من سعادة زمنية تكفيني.

(١ Sub specie œternitatis

ب) بالقـرب من مـدينة هوليـود الشـهـيـرة مأوى فـقراء غـريب اسـمـه «الطاحونـة الحمراء» يأوي اليـه نجوم السينما المعـوزون والعجـزة الذين ملأت قـديمًا شـهـرتهم الآفـاق وكـان جـمـالهم واناقـتـهم مـوضـوع حـديث الناس واعجابهم في العالم اجـمع ، اما اليوم فليسوا سوى عجـائز مرتجفات الأيدي ومسنين منحنين وشبه مشلولين . . .

نعم ، الإيمان بـالحيـاة الأبديـة بدَّل نظرتنا الى الـوجـود **ولا سعـادة ارضيـة تكفيني ، أبغي حياةً ابدية .**

٢ . ولكن الايمان بالحياة الأبدية لم **يبدّل نظـرتنا الى الأمور فحسب بل غيّر اتجاه حياتنا ايضًا .**

أ) المسيح لم يعطنا هذه البشرى السعيدة ان لنا في السماء ابًا بل اعطانا ايضًا هذه الوصـية الكبـرى ان نكون جـديرين بأبينا السـماوي (مـتى ٥/٤٥) «كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي كامل هو» (متى ٥/٤٨) .

منذئذ اصـبحت قـاعدة سلوكنا هي التاليـة: العـمل دونما كلل على تجميل صورة اللّٰه فينا .

من يمكنه دخـول الحيـاة الأبدية؟ من يحـمل شـهادة عـماد؟ كـلا ، بل من يتعرف اللّٰه على صورته فيه .

كـان من عادة الفنان اليـوناني أبيل (Apelle) القول باعتـزاز عند بدء عمله الفني: «انني اعـمل لأجل الخلود» . نحن بـاستطاعـتنا قـول ذلك ايضًا وبحق عندما نرسم صورة اللّٰه في نفسنا عن طريق اتمام واجباتنا بأمانة وصدق وبحياة كريمة فاضلة ، كذلك بالعذاب الذي نحتمله صامتين حبًا باللّٰه .

ب) انني واثق برحمـة الله ولكنني لا انسى ان سيدنا يسوع المسيح عرَّف الحياة الأبدية بوجهيها: **السعادة الأبدية والهلاك الأبدي**. كما لا انسى كلمات القديس بولس هذه:«لأن اجرة الخطيئة هي الموت وموهبة الله هي الحياة الأبدية في يسوع المسيح ربنا» (روم ٦/ ٢٣) وتلك : «الإنسان يحصد ما قد زرع فمن يزرع في الجسد فمن الجسد يحصد الفساد ومن يزرع في الروح فمن الروح يحصد الحياة الأبدية» (غلا ٦/٨).

لا انسى كلمات المسيح ربنا التي يحضُّنا بها على البذل والكفاح الروحي: «ادخلوا من الباب الضيق لأن الباب المؤدي الى الهلاك رحب والداخلون فيه كثيرون؛ ما اضيق الباب المؤدي الى الحياة وقليلون الذين يجدونه» (متى٧/١٣ـ١٤).

لا تنسَوا اذن ايها الأخوة، ان الحياة الأرضية هي مقدمة الحياة الأبدية ولكنها مقدمة بمعنى الموسيقار واغنر. في أوبرات واغنر نجد كل مسبّبات الموضوع ودواعيه في المقدّمة الموسيقية، وفيها يصدح منذ البداية «لحن الخلود». ان مؤلفات واغنر الموسيقية تتوسّع في مجملها كما سمعناها مختصرة في مقدمتها؛ كذلك الحياة الأبدية ترجّع في داخلنا صدى الإيقاعات التي لعبناها في مقدمة حياتنا الزمنية.

ج) حياة ابدية!حياة ابدية! من تراه يفكر اليوم بالحياة الأبدية ؟ في عين مَن تحظى الحياة الأبدية بقيمة ؟ القيمة للمنصب الرفيع مع راتب مرموق، القيمة لمنزل منيف وسيارة فخمة ، القيمة للأملاك ورصيد التوفير في المصارف.

هذا وحده ذو قيمة عند الكثيرين من الناس، ولكنهم هم ايضاً يرتجفون عندما تهب على نفوسهم ريح الأوقيانوس الذي نصب فيه جميعاً. اجل،

اليوم مركز ومنزل وسيارة واملاك واموال. . . ولكنهم غداً يأتون بالنعش ويحفرون حفرة صغيرة بعمق مترين. . . ما تراه يحدث اذا ذاك وما قيمة كل ذلك؟

يا لها من هنيهات مباركة ومؤثرة! عندما تحاصركم ايها الإخوة مثل هذه الأفكار، لا تهربوا منها، لا تبعدوها عنكم! قد تمر بخاطركم يوم تذكار الموتى في المدافن. . . لربما تستحوذ عليكم إبان عطلتكم على شاطيء البحر في هدأة الليل وانتم تزرعون رمال الشاطيء ذهاباً واياباً. . . لربما قرب فراش شريكة حياتكم في نزعها الأخير فيخرسكم الألم وتضطرون للإذعان ان كل مال الدنيا ونطاسييها عاجزون عن عمل اي شيء. لربما يستبد بك القلق فلا تجد سبيلاً للنوم وتسمع نبضات قلبك تدق فتفكر ان هذه النبضات ستتوقف يوماً. . . نبضة او نبضتان ثم توارى الثرى. . . في اي وقت تشعرون بان ريح الأبدية تهب على نفسكم لا تخجلوا من ذلك ولا تدَعوا هذه الفرصة المباركة تفوتكمُ لإصلاح سيرتكم.

في صحف الاعلام وفي شوارع المدن الكبرى نجد عند كل خطوة كتباً ودعاياتٍ تقول في خطوط كبرى: «هل تريد ان تعمر طويلاً؟».

آه، هذا ما اريد! يجيب المارّة. ويقرأون الدعاية مدفوعين بغرابة هذا الإعلان: «اذا اردت ان تعمّر طويلاً أكثِر من اكل الموز. . .» اذا اردت ان تعيش طويلاً اكتتب في معهدنا الذي يعلمك كيف تتنفّس. . .» «استعملوا في حماماتكم هذا او ذاك النوع من الصابون. . .» «اذا اردت ان تطيل عمرك استعمل نعلاتنا من الكاوتشوك. . .» وهكذا دواليك. آه ما اكثر ما يحتاطه الإنسان، ايها الأخوة، كي يطيل حياته على الأرض ولو ساعة واحدة. وها هو المسيح يزيد في عمرنا لا ساعة واحدة فحسب، لا سنة

فقط ـ وعده يتعدّى اطار الحسابات البشرية: «من يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة الابدية وانا اقيمه في اليوم الأخير» (يو ٦/٣٤).

٣- وهكذا نصل الى التغيير الثالث. عندما كشف لنا السيد المسيح عن وجود الحياة الابدية **لم يغيّر نظرتنا الى الوجود وحياتنا فحسب بل غيّر ميتتنا ايضاً.**

أ) عندما صعد اول اخوة مونغولفيه (Montgolfier) ببالونه في الفضاء قالت احدى العجائز: «ما اجمل ما يخترعون، سيتوصلون يوماً الى الغاء الموت... اما انا فسأكون قد متُّ يومها» اضافت تلك العجوز بحسرة.

لم يجدوا وسيلة لإلغاء الموت، ايها الأخوة، ولن يجدوها ـ ولكن المخلص دلنا على الطريق المؤدية الى حياة دائمة. **في الإيمان بالحياة الأبدية اعطى المسيح للموت معنى.**

الموت اهمُّ واقع في الحياة. نرى الموت حيثما حللنا وتوجهنا وتطلّعنا. اينما مشَينا نطأ مدافن البشر. تراب الأرض التي ربينا عليها هو حصيلة ما لا يحصى من ضحايا المنية. في ذات اللحظة التي ندخل فيها الحياة نبدأ صراعاً مع الموت. انه لمن الجنون المطبق ان يعيش الإنسان ويعيش دائماً دون ان يفكر بالموت. ان يستيقظ صباحاً ولا يفكر انه لربما اليوم الأخير من حياته او ينام دون ان يقول: هذه لربما آخر ليلة...

ب) «انه لمؤسف ومخيف حقاً ان يستعد الإنسان للموت وان يعيش دوماً في خوف ورعدة متواصلين».

ولكن هذه هي هدية سيدنا يسوع المسيح الكبرى. يجب طبعا ان نستعد للموت **ولكن دونما وجوم ورعدة واحباط**. يجب الخوف - ولكن ليس من الموت. الخوف من اهانة الله. الخوف من تلطيخ نفسنا المعدة لحياة ابدية.

من فكّر هكذا فان فكرة الموت لا تقصٌ جناحيه، من فكر هكذا وجد في الموت رفيق طريق. صحيح ان الموت يُدخلنا باباً مظلماً ولكن وراء الباب ينتظرنا النور والسلام والسعادة.

هل قال المسيح: «لن تموتوا»؟ كلا. قال: «كونوا مستعدين» (متى ٢٤/٤٤).

عندما يكون الإنسان مستعداً لسفر طويل لا يستبدٌ به القلق ولا يركض من جهة لأخرى، وحده يركض في كل الجهات من رأى القطار آتياً ولم يعدّ حقائبه بعد، اما الذي رتّب اموره واعدّ حقائبه واشترى بطاقة سفره فهو ينتظر بهدوءٍ صفارة الإقلاع.

هذا ما حملَه الينا المسيح. كنا نعرف قبله ان هناك عالم آخر ولكنهم كانوا يقولون قبله ايضاً ان الأموات «ذهبوا ليهيموا في عالم الأشباح». اليوم نقول انهم «دخلوا الحياة الأبدية». اليس جدير بالملاحظة ان الكنيسة تسمّي يوم وفاة القديسين «يوم ميلادهم»؟ (١).

ج) ان كان علي ان افكر دائماً بالموت وان اكون مستعداً له فالأجدر بي ان اتنسَّكَ وأضعَ جمجمةً قرب ابريق الماء وكسرة الخبز وان افكر دائماً بزوال العالم... **لأن فكرة الموت تشل نشاط الإنسان وتجمّده**.

---

(١) Dies Natalis

كلا ثم كلا. افتح الكتاب المقدس فاجد المرأة التي يصفها الكتاب بـ «المرأة القوية» واقرأ هذه الآيات الرائعة:

من هي اذن بحسب الكتاب (امثال فـ ٣١) المرأة القوية؟ هي ربّة البيت وام العائلة الصالحة والزوجة النشيطة التي ترتّب امور بيتها وتربّي اولادها . . . حسن! ماذا عن الموت؟ انها تبتسم عندما يحين اجلها لأنها تعرف انها بتتميمها واجباتها قد حصلت على حق دخول الحياة الأبدية. لقد استعدت دائماً للموت وهذه الفكرة لم تحدّ من نشاطها.

«**ان نبتسم امام الموت**» قد لا نصل الى هذا الحد، لأن اللّه ذاته وضع فينا غريزة البقاء والتفكير بالموت يخيفنا ولكننا قبلنا من المسيح نعمة الإيمان، الإيمان بالحياة الأبدية، **لقد ازاح عن وجه الموت ملامح اليأس والخوف**.

بين مستمعيَّ امرأة عجوز طلبت ذات يوم ان ازورَها فلم اتمكن بسبب انشغالاتي، فقالت لي: «ولكنك ستزورني عندما يحين اجلي لتحمل الي الزاد الأخير؟ فكان علي ان اعدها بذلك. لقد حررت لي رسالة هكذا مؤثرة ومليئة بالفرح حتى لا اتمالك من قراءة بعض مقاطعها: «كنت اتمنى ان ابقى طويلاً في قيد الحياة لاتقدم في الكمال اكثر، مع انني انتظر نهاية ايامي. ستأتي اذن كما وعدت لتزورني، فقط اطلب منك ان تتدبر امرك بحيث اكون في ملء وعيي لأنني ارغب عندما يدعوني اللّه ان ادخل الأبدية في حال كمال وبهاء ووعي . . .» [١].

اتراني ملزماً بالاستطالة في الشرح لأبيّنَ ايها الإخوة، كيف غيّر الإيمان بالحياة الأبدية ميتتنا فطلى وجهها المخيف بعذوبته.

---

١) لقد ماتت بضعة اسابيع من بعد عظتي

ماذا حمل الينا المسيح؟ ـ هذا السؤال طرحته في بداية عظة اليوم وكان الجواب : الحياة الأبدية .

الحياة الأبدية؟ هذا السؤال يطرحه الكثيرون بكثير من الشك . الحياة الأبدية! آه لو كان كل ما قلناه سابقاً صحيحاً ، خالياً من الشك! هل سيبقى منا حقاً شيء بعد الموت ؟ هل سيفلت منا شيء لا يناله فساد القبور؟

ان هبت عليكم ، ايها الإخوة ، ريح الشك الباردة حول هذا السؤال: «هل امواتنا يحيون حقاً »؟ عليكم ان تسألوا هذا الشاب الفرنسي الذي لا يزال حياً في باريس والذي نرى في صالونه الورود تتجدد كل يوم طرية امام تمثال القديسة تريزيا الطفل يسوع [1] . لقد اصيب هذا الرجل بجرح بليغ ابان الحرب العالمية الأولى . فحملته سيارة الإسعاف الإنكليزية منازعاً ، وكان حظه بالنجاة ضعيفاً لأن المكان الذي استقرت فيه الرصاصة كان حساساً جداً ومجرد مسّها كان يعني الموت الأكيد. ثلاث مرات اتوا به الى طاولة العمليات وثلاث مرات رمى الضابط الإنكليزي مبضعه في اللحظة الأخيرة قبل ان يحاول انتزاع الرصاصة. وها هي الرصاصة تخرج تلقائياً بعد بضعة ايام من جهة أخرى بطريقة خفية دونما عملية ، و هكذا نجا الشاب الجريح من موت محتوم.

ـ لماذا عدلت ، سيدي الضابط ، عن اجراء العملية ثلاث مرات ، سأل الجندي فيما بعد.

ـ لأنني كل مرة كنت ارى فتاة تصدني ممسكة بيدي .

(1 P.Lhande: Le Bon Pasteur, 1928.P.37

ـ فتاة؟ هل تذكر صورتها؟

ـ طبعاً .

عندها اخرج الجندي صورة القديسة تريز (القديسة تريز التي توفيت عام ١٨٩٧)

ـ هل هي هذه ؟

ـ نعم ، هذه هي .

ومن ذلك اليوم لا تزال الورود تزهر في صالون ذلك الرجل الذي انقذته من الموت طوباوية حصلت على السعادة الأبدية في عالم آخر .

اؤمن ايها الرب يسوع ان امواتنا يحيون . اؤمن بالحياة الأبدية ، بالسعادة الأبدية ، الآن أؤمن ـ اجعلني يوماً ارى ، ان اراها وامتلكها! آمين .

«اعطيكم وصية جديدة ان يحب بعضكم بعضاً»

(يو ١٣/٣٤)

إخوتي ،

مؤخراً ذهبت في نزهة صباحية على هضبة بودا . يستحيل وصف هدوء وسكينة الغابة التي تستعد لرقاد الشتاء الطويل بينما تتأرجح في الهواء حبال العنكبوت التي تغطّيها قطرات الندى فتلمع مشعة كتاجٍ من الدرر الثمينة . كل شيء على هذا الإرتفاع يبدو صامتاً ، هادئاً وسعيداً . . . كل شيء على وجه الأرض يبدو سعيداً ما عدا الإنسان .

اتوقف عند نقطة تبدومنها ، تحت قدمي ، العاصمة الآهلة بالسكان مع مبانيها . هنا كل شيء هانئ هادىء وسعيد . . . ولكن في المدينة يكافح الناس بالآلاف كفاح الحياة المرير ووجودهم ليس سوى ركض وراء الخبز اليومي ، سوى حزن ووجع وكفاح مستميت وانانية .

من حوالي عشرين جيلاً خرجت من فم سيدنا يسوع المسيح هذه الكلمات التي لا تحاكى بسموّها: «بهذا يعرف الناس انكم تلاميذي اذا كان فيكم حب بعضكم لبعض» (يو ١٣/٣٥) . لحوالي عشرين جيلاً اعطانا الرب هذه الوصية ، ولا يزال الإنسان اقلَّ جميع المخلوقات حباً لاترابه .

كان شهر ايلول هذه السنة صاقعاً جداً فسقطت بسبب الجليد آلاف طيور السنونو ولم تستطع الطيران ، فحملوها ، بدافع الشفقة ، في طيارة نقلتها الى البلدان الجنوبية الدافئة . انها لبادرة حلوة من قبلنا ، ولكننا في ذات الوقت

نرى قريبنا يسقط ارضاً بسبب الصقيع والجوع وكثيرون من الذين يستطيعون مساعدته يمرّون بالقرب منه دونما التفات .

المحبة! المحبة! للمسيحية لقب جميل جداً: «ديانة المحبة» وبما انني القي سلسلة مواعظ عن سيدنا يسوع المسيح ، فمن الطبيعي ان اكرّس لهذه الفكرة ايضاً عظةً: ١ـ **لماذا دعيت المسيحية ديانة المحبة؟ و ٢ ـ ما هي الهدية التي اهدانا‌ها المسيح عندما وضع المحبة اساساً لديانته .**

١

لماذ دعيت المسيحية ديانة المحبة ؟

أ) لقد أعطى سيدنا يسوع المسيح عن علاقات الناس المتبادلة وعن مواقفهم وجهودهم اعني عن المحبة شرائع لم يعرفها الناس قبل المسيح وكنا نحن البشر لربما نظرنا اليها كتغيير جذري لسنن العهد القديم لو لم يسبق المسيح ويقول لنا: «لم آتِ لأحلّ الناموس بل لأكمله» (متى ١٧/٥) .

«فانا نحن ايضاً كنا حيناً اغبياء كفرة ضالين مستعبدين لشهوات ولذات شتى جارين على الخبث والحسد ممقوتين مبغضين بعضنا البعض . فلما تجلّى لطف الله ومحبته للناس خلصنا هو . . . » (طيطس ٣/ ٣ـ٥) . في الحقيقة عندما ظهر المسيح بيننا على هذه الارض التي لم تعرف سوى صلابة الشريعة والقوة الغاشمة ، ازهرت ازهار المحبة والسلام .

لقد دعيت ديانة المسيح بالضبط ديانة المحبة لأن المسيح وضع المحبة بمحازاة العدل كيما تزدهر الحياة البشرية في توازن هاتين القوتين .

ب) **ماذا علّمنا المسيح اذن بشأن المحبة؟** لقد أعلن بوضوح انه ينتظر من مؤمنيه براً يفوق بر آبائهم (متى ٥/ ٢٠) . لقد ولّى الزمان الذي كان فيه يقال : «العين بالعين والسن بالسن» . ـ شريعته تقول بدل ذلك: «لقد علمتم انه قيل العين بالعين والسن بالسن ، اما انا فاقول لكم . . . » (متى ٥/ ٣٨) . ماذا يقول لنا ؟ من الآن وصاعداً لا احد يدين قريبه ، كي لا يدان هو نفسه (متى٧/ ١) ، من الآن وصاعداً تصلّون هكذا : اغفر لنا خطايانا كما نحن نغفر لمن خطىء الينا . من الآن وصاعداً ستنظرون الى الزواج على انه مقدّس (متى ١٩/ ١) يجب ان تكرموا والديكم (مر ٧/ ١٠) وهكذا دواليك .

ان افضل الناس في البشرية لم يتوصلوا قبل المسيح في احترام معاصريهم ومحبة قريبهم سوى الى موقفٍ سلبي : لا نزكِ فينا مآرب شريرة . ولكن ما هي تعاليم ستوا (stoa) ومذهب بوذا بالمقارنة مع نظرة المسيح الشاملة ، و كبر نفسه وازدهار محبته الايجابية والفاعلة والمفيدة للبشر ؟ فلتكن محبتكم سخيّة: «من كلّفك ميلاً امشِ معه ميلين »(متى ٥/ ٤١) فلتكن محبتكم مجردة من كل غاية: «احبوا اعداءكم واحسنوا الى من يبغضكم وصلّوا لأجل من يعنّتكم ويضطهدكم . . . لأنه ان كنتم تحبون من يحبكم فاي اجر لكم ؟ «متى ٥/ ٤٤ ـ ٤٦) .

من بعد المسيح صرنا نسمي محبة القريب «عملاً سامرياً» منذ ان اعطانا المخلّص وصية محبة القريب الكبرى في مثل السامري الرحيم .

ج) والآن نفهم بكل بساطة لماذا سميت ديانة المسيح «**ديانة المحبة**»؛ لأن المسيح اختار المحبة احدى ركيزتي ديانته ، الركيزة الاولى هي محبة الله الذي يجب ان نحبه «من كل قلبنا ، من كل نفسنا ومن كل ذهننا» (متى٢٢/ ٣٨) ،

الركيزة الثانية التي بقرب الاولى والتي لا تقل عنها اهمية هي هذه: «ان تحب قريبك مثل نفسك» (متى ٢٢/٣).

اذن بحسب سيدنا يسوع المسيح **محبة القريب هي تنفيذ عملي وتجسيد لمحبة الله**. لا يستطيع ان يحب الله من لا يحب صورته، الانسان. لا يستطيع ان يخدم الله من يهين قريبه. «إذا قدّمت قربانك الى المذبح وتذكّرت هناك ان لاخيك عليك شيئًا، دعْ قربانك امام المذبح وامضِ اولاً وصالح اخاك وحينئذ ائتِ وقدم قربانك» (متى ٥/٢٣ - ٢٤). بالمقابل، «كل ما فعلتموه مع احد اخوتي هؤلاء الصغار فمعي فعلتموه» (متى ٢٥/٤٠) قد تقولون: «ولكن هذا انقلاب على كل العهد القديم! لا. ليس انقلاباً عليه بل تتمة له وكماله. نجد هذه الفكرة عند القديس اغوسطينوس الذي يقول عن شرائع العهد القديم انها بالمسيح «تمت وليس» اضمحلّت» (شرح المزمور الواحد والثلاثين، عدد ٥)[1].

٢

أهمية المحبة

ما قلته حتى الآن، تعرفونه جيداً، ايها الاخوة: انها لحقيقة بيّنة ومعروفة ان ديانة المسيح هي ديانة المحبة.

اذن لن اعالج هذا الموضوع الاّ في الجزء الثاني من ارشادي. باقرار الجميع المسيح وضع المحبة قاعدة لديانته. اريد الآن الكلام بالتفصيل عما لا يفكر به الناس عادة اعني عن الهدية التي اهداها المسيح للبشرية واي ينبوع قوى مقدسة اعطى بذلك لحضارة الانسان الاصيلة والسامية.

(١) Consumentur, Non Consumantur

أ) غالبًا ما اخذوا على الدين المسيحي على كرّ الاجيال ان مؤسسه عادى التقدم البشري والحضارة، لأنه لم يقم بأي اكتشاف صناعي ولم يستنبط اي اختراع، كما لم يكتشف اي علاج طبي جديد ولم يطوّر الفنون . . .

١ ـ من يتكلّمون هكذا لديهم عن الحضارة فكرة ضيقة جداً. في الواقع هناك حضارة اقتصادية، وحضارة تقنية وحضارة فنيّة ـ والمسيح لم يعلمها للبشر فعلاً ولكنه تعداها كلها. لأن اساس الحضارات الذي لا غنى عنه هو **حضارة الاخلاق** التي بدونها لا حياة انسانية ولا تقدّم ـ **وسيدنا يسوع المسيح رأى ان يعلم هذه الحضارة بالذات لأنها الاهمّ. فما هي اهميّة المحبّة بالنسبة للحضارة؟** لا نستطيع الجواب على هذا السؤال الا اذا عرفنا ماذا يعني الانجيل بكلمة «محبّة» . في الواقع يعطي الانجيل هذه الكلمة مفهومًا انبل واجدى مما يعطى لها في الاستعمال اليومي.

٢ـ ما هي المحبَة بحسب الانجيل؟ انها ينبوع التفاهم بين النفوس وتبادل القيم ونبذ المصلحة الخاصة. المحبة قوّة تخرجنا من دائرة الانانيّة الضيّقة. المحبة قوة تدفعنا الى الانحناء امام مصالح الآخرين واحتياجاتهم. اذن انجيل المحبة هو انجيل الشموليّة.

اذا فهمنا المحبة هكذا نراها لا تكتفي بصنع الصدقة فقط. الصدقة هي جزء من المحبة ولكن المحبة اكثر من ذلك بكثير . المحبة الكاملة هي تجريد الانسان كليًا من انانيته وبذلك تصبح السدَّ المنيع بوجه الهمجيّة التي تسعى لاستثمار الآخرين والاستبداد بهم دومًا.

ولكن هل ندري ما معنى ذلك؟ ما معنى ان نميت هذه الغريزة البشرية القديمة التي تستيقظ فينا دائماً: الانانيّة؟ **هذا يعني الارتقاء بالحضارة الى**

أعلى قممها . لأن الحضارة ـ كيفما نظرنا اليها ـ تعني دائماً **الانضباط** : ضبط الانهر كي لا تفيض ، ضبط بخار الخلقين كيلا ينفجر ، ضبط قوة الصاعقة المدمّرة ، واهمّ من ذلك **ان نضبط ضمن وازع الاخلاق القوى الهمجيّة والصاخبة المتأهّبة دائماً للانفجار والتي تنبعث من اعماق طبيعتنا البشريّة** .

نعم ان من يعلّم الانضباط والتجرّد يقوم باجمل عمل ثقافي ممكن . اما الذي يوطّي وازع الغرائز امام عدم الانضباط فانه يصبح اداة موت ودمار . وهذا بالضبط ما يشكّل الفرق بين الحضارة المسيحية والحضارة الدنيوية :هذه تتملّق القوي والقادر والقاهر الذي يسحق الآخرين ، ولكنها تعمل في الخفاء على انقراضهم واقتلاعهم وتصبح أخيراً سبب خرابهم؛ الفكرة المسيحية قد تقلق وتخيف من يرتعون بطيب العيش ويرتوون من كأس ملذات الحياة ولكنها تجنبهم الخراب والدمار اللذين ينتظرانهم ان هم لم يعدلوا .

٣ ـ ان هزّ احد رأسه وذهب الى حد الادّعاء ان الفكرة المسيحية عن التقشف والمحبّة ليست في مصلحة الانسان لأن الشعوب **ليست بحاجة الى الرهبة السماوية والشغف بالسلام بل الى اشعة شمس الافراح الدنيوية والقوة التي لا تُحدّ** ـ ان كان هناك من يرتأي هذا الرأي فانني ادعوه الى أخذ العبر من أمثلة الماضي : مصير الامبراطوريتين اليونانيّة والرومانيّة . هل وجد مثل الحضارة اليونانية المليئة بالنور والدفء ، التي كانت هكذا جذابة ، فرحة ومرحة وثرية وكانت تشرب كأس الملذات بنهم؟ هناك من يتأوه اليوم ايضاً ويتحسّر على «حضارة الجمال » كما يدعون حضارة اليونان . فلو عادنا الآن هذا الماضي فكم كان يبدو غريباً لنا نحن الذين عرفنا جدِّية الحياة وعمقها من بعده . اليوم نعرف ان حياة الانسان على الارض لا تقوم بالتسلية والطيش ، انما تفرض علينا هدفاً سامياً يجب بلوغه بتمميم جدي لواجباتنا . اليوناني كان

يلهو ولكنه لم يكن يرى الهدف الذي يستحقّ الحياة. بقيت لدينا تماثيل يونانيّة غاية في الروعة ولكنها بلا عيون، تبدو كلها عمياء لأن العالم اليوناني بأجمعه كان أعمى عن مصير الانسان.

هل وجدت دولة عظمى كروما القديمة استخدمت سياسة القوة الغاشمة والبطش الذي لا يرحم؟ فما هو سبب دمار هذه القوة التي لا حد لها؟ انه ضعفها بالذات. لأن القوة الغاشمة تغلّل الناس بقيود العبوديّة الروحيّة، اما اذا طفح كيل حياة الخفة فانه يصبح دوداً ينخر شجرة الشعوب.

٤ ـ لنرَ الآن قوّة الانجيل وبشراه السعيدة

الانجيل يبشّر ايضاً بالقوّة ولكنه يضعها في خدمة الهدف الاسمى؛ هذا الهدف هو حضارة ملكوت الله. بقدر ما يكون الهدف سامياً بقدر ذلك يكبر العمل اللازم لبلوغه. بينما يعلن العالم المتحرر من المسيح حقوق الانسان ويوسعها دونما حدود ويعد باكتساح العالم (يعد فقط)، المسيحية تنظر الى هذه الحياة على انها محدودة جداً وقصيرة جداً لتضع في خدمتها كل قواها. الوثني كان يؤمن هو أيضاً بحياة أخرى، ولكن المسيحية وحدها سمت الى تلك الاعالي التي تفعل الحياة الفائقة الطبيعة فعلها من ورائها، في كل تفاعلات الحياة وطموحاتها. واخصّ تعاليم سيدنا يسوع المسيح هو ذلك الذي **غيّر به على ضوء الحياة الأبدية كل نوعية رؤيتنا وتفكيرنا**. وبتعبير آخر: اكتسب الانسان بالمسيح قيمة فائقة ولكن العمل، في الوقت عينه، كبر جداً لبلوغ غايته القصوى. الغاية القصوى التي وضعها المسيح لنا هي الوصول الى الله الازلي وبذلك اكتشف لنا ينبوع الفرح بالعمل وحب التقدّم.

ب) انا متأكّد، ايها الاخوة، ان اكثر من واحد سيهز رأسه ايضاً بعد كل ما تقدّم.

ماذا قلت ؟ قلت ان المسيح وضع لنا كغاية قصوى بلوغ الحياة الأبدية. وبذلك اعطى الناس ينبوعَ فرح في العمل ورغبة في التقدم.

كيف يمكن لهذه الغاية ان تصير ينبوع فرح في العمل؟ قد نتساءل بشيء من الريبة. فرح في العمل؟ حتى الآن كنت اظنّ ان الكفاح في سبيل العيش وطلب الثروة والمال هو ينبوع الفرح في العمل وليس السعي الى الله.

١ـ يا للضلال ايها الاخوة ! المال يُبعد الناسَ عن بعضهم اما الله فيجمعُهم. ما هو ربح للبعض هو خسارة للآخرين. لا يمكن ان يحصل الجميع على نسبة متساوية من المال، اما الله فهو نصيب الجميع. بقدر ما اعطي الآخرين مالاً بذلك القدر يقلُّ في يدي. اما اذا اعطيت الله للناس وعرّفتهم به وجذبتهم اليه بقدر ذلك انا نفسي اعرف الله اكثر وادنو منه اكثر.

وهكذا تحقق المسيحية ما يبدو مستحيلاً: كل واحد يستطيع ان يعمل بهوسٍ وطموح دون ان يلحق بمصالح الآخرين ضرراً او يؤذيهم. وهكذا يتحقق في المسيحية فقط هذا القول: «الحياة محبّة».

اجل، **ان العمل الذي نقوم به لكسب ملكوت الله هو عمل حضاري بانبل ما في الكلمة من معنى**. لأننا نقوم به لأجل هدفٍ سامٍ يفوق كل تقدير، اعني صقل شخصيتنا المعدَّة للخلود، وادراك الحقائق الازليّة وكمال صورة الله في نفس الانسان. اذن روح الانجيل لا يناقض العمل الحضاري بل يرفعه ويسمو به، لأنه يُدخل في الواجبات التي تفرضها الحياة الابدية، كل انسجة الحياة الحضارية والثروة والعمل.

٢ ـ نجد من ناحية اخرى حقيقةَ هذا العرض النظري مثبتاً بهذا الواقع البسيط **ان ديانة الانجيل كانت ينبوع حضارة لم يحلم الانسان بالوصول اليها** من قبل، هي الحضارة المسيحية.

نجد في الانجيل برنامجاً الهياً للحضارة غيّر مثالية الانسان كلياً على هذه الارض . ان التقنية والآلة كما المادة تستعبد الانسان بسهولة وهي الثقافة المسيحية التي تحرره من قيوده .

والآن نفهم معنى الكلمات التي طالما هاجموا الدين المسيحي وقوته الحضارية بسببها: «روح الرب عليّ لذلك مسحني وارسلني لأبشر المساكين واشفي منكسري القلب وانادي للاسرى بالتخلية وللعميان بالبصر» (لو ٤/١٨- ١٩) .

اجل ، الربّ يريد ان يشفي من يظنون انهم يبصرون ولكن مال الدنيا اعماهم . ان يشفيهم كي يبصروا حقاً ، فيروا دعوتهم للحياة الابدية . ان يشفي هؤلاء البؤساء الذين يظنون انهم أثرياء وميسوري الحال وسط ثرواتهم الزمنية . ان يشفي هذه الارجل السريعة الى العمل المتواصل الذي يسحقها وتظنّ انها في أحسن حال ، بينما على ضوء الحياة الابديّة ، هي عرجاء ومشلولة .

٣ ـ لكنني استطيع بعد ذلك ان ادوّن انجازاً اخيراً في عظة اليوم .

ماذا أعطانا المسيح ؟ اعطانا الجودة ـ وهي **اغلى القيم الحضارية في البشرية**.

١) قد تتساءلون: الجودة اغلى القيم الحضارية ؟ ما هذا الكلام؟ القيمة للخلقين الذي يهدر ومحرك الطائرة النفاثة الذي يصفر وضجيج محرّك «ديزل» الصاخب . اما الجودة ؟

ومع ذلك اكرر القول ان **هذه الجودة التي تعلمها الانسان من المسيح هي اعلى قيم الحضارة**. ارى ذلك بعد ان سففنا الى حياة خالية من الانسانيّة ، رغم امتلاكنا الكثير من الخلاقين والمحركات ، ولكننا افلسنا من الجودة .

نعم، الخلقين والماكنة والمحرّك هم من مستلزمات الحياة ولكن الاكيد ايضاً ان هذه الحياة الميكانيكيّة لا يمكن ان تجسّد نبل الحياة البشريّة الا اذا زيّتنا هذه الماكينات بزيت الجودة المسيحية اولاً. اذا اطعمت حصاني قطعة سكّر، اذا شكرت خادمي الذي اتاني بكوب ماء، اذا هنأت الطاهية لاعدادها غداء شهياً وساعدت قاضي الامور المستعجلة قدر استطاعتي، اذا لم اترك سائق سيارتي ينتظر ساعات في صقيع الشارع، اذا كنت أواسي الآخرين في احزانهم وافرح مع الفرحين، اذا كنت اقسو على ذاتي وارأف بالآخرين... ماذا اقول ايضاً: **اذا كنت طيبًا بحسب الطيبة التي تعلمتها من المسيح.**

٢ـ قد تقولون ان «الطيبة ضعف لا يليق بالرجل الكبير» حسن! من الاكيد ان نابوليون كان رجلاً عظيماً. مع ذلك عندما اضطرّ لمغادرة مصر كي يعود الى باريس ليرجع الامن والنظام فيها، وكان على مقربة من ميناء مرسيليا، اصيب مركبه بقذيفة بارجة انكليزية كانت تطارده، فسقط من جرّاء ذلك احد البحارين في الماء وكان القبطان يودّ متابعة السير لأن مصالح اهمّ من حياة رجل كانت في «الدقّ». اما نابوليون فقد اعطى الامر: «كلا، توقف وانتشل هذا الرجل».

في احرج المهمّات يمكن الانسان ان يكون رؤوفًا كما ترون وحتى يمكن القول، انه بدون الطيبة لا حياة انسانيّة خليقة بهذا الاسم. **لأن روح الحضارة هي حضارة الروح.**

* *

*

ذهب رجل ايّها الاخوة، الى سوق الصاغة ودخل احد المحلات التجارية ليشتري زخرفاً، حلية تجلب الحظ. عرض عليه الصائغ مجموعة من هذه الحلى: فطراً من مينا، عنكبوتاً من الفضّة، نجمة من الذهب، منظّف مداخن، نضوة حصان من الماس. نظر الرجل الى ذلك كله ثم قال:

ـ لا أجد مطلوبي، اريد شيئاً آخر.

ـ أرجوك، ما هو؟

ـ أريد قلباً صغيراً من ذهب.

ـ ليس بحوزتي الآن، أجاب الصائغ ـ فتّش في محل آخر لربما تجد بغيتك.

ذهب الرجل وفتّش في ثلاثة محلات أُخرى ولم يجد قلباً صغيراً في اي منها. اخيراً فقد الرجل هدوءه وصرخ:

ما العمل؟ اين اجد في هذه المدينة الكبيرة قلباً صغيراً؟

وخرج لتوه من المخزن حزيناً؛ ولكن الصائغ صاح به قائلاً: فتّش في المحلات القديمة (الانتيكا) لربما تجد مطلوبك . . .

اليس من سؤ حظ انسان اليوم ان القلب الذهبي لم يعد موضةً دارجة وانها عتقت ووضعت على رفوف «الانتيكا» هذه المحبة، هذه الطيبة، هذا الاهتمام وهذه العاطفة التي كانوا يرمزون اليها بالقلب الذهبي.

في العالم كمية هائلة من الذهب ولكنها غير كافية لصنع قلب. هل تعلمون كمية الذهب الموجودة في العالم؟ لقد وجد أحدهم الوقت ليصنع حسابه. في العالم من الذهب ما يكفي لصنع طريق طولها ٧٧ كم. بسماكة ثلاثة سنتيمترات وعرض ستة امتار.

كميّة هائلة حقًا! ذهبٌ لا يحصى منثورٌ في العالم. ولكن ما نفعه؟ لا شيء. البشرية لا تزال رغم ذلك شقية. ولو كان هنالك عشرة اضعاف الذهب الموجود في الارض، حتى ولو كانت الكرة الارضية كلها ذهبًا فهل يجعل ذلك الانسان سعيداً ؟ كلا ثم كلا. ولكنه يكون سعيداً حقًا لو حلّ في نفسه الانشراح والهدؤ والرضى مع سلام مقدس كما يحلُّ ندى الخريف على قمم الجبال لو... لو كان فيه حب اعظم كالذي جاء به المسيح الى العالم عندما قال: «اعطيكم وصية جديدة ان يحبّ بعضكم بعضاً» (يو١٣/٣٤).

وها انا اختصر كل عظتي بهذه الجملة الوحيدة : **المسيح ربنا حمل الينا المحبة وبدون المحبة لا حياة انسانية حقّة**. آمين .

المسيح والعمل

اخوتي ،

لسنوات خلت قام عمال المناجم في بريطانيا باضراب شامل وقضوا وقتهم بالبطالة .

ولكن ليس في كل مكان .

في مركز كارف (Carf) للمناجم في ايكوسيا شغل العمال وقتهم ببناء كنيسة على شرف القديسة تريزيا الطفل يسوع . مائة عامل حفروا الاساسات في يوم واحد ، مئتان اتوا بالمواد البنائية وبدأ الجميع برفع الجدران .

نقرأ النبأ ونكاد لا نصدق: مضربون يشيدون كنيسة ! هل هذا ممكن ؟ الا يعني الاضراب التردد إلى الكاباريهات والمشاجرات . هل يمكن ان نكافح في سبيل عيش كريم اكثر انسانية وعدالة دون امتهان الكفر مذهباً ومعاداة المسيح اسلوباً؟

في كلامنا عن سيدنا يسوع المسيح نصل اليوم الى احد أعظم مواضيع العصر اهمية كما والاصعب .

في الآحاد السابقة اهتمينا بالحقائق الاساسية التي تعلمتها البشرية من المسيح والتي هي من جوهر الدين المسيحي : الله اب البشرية السماوي ، المسيح ابن الله ، النفس ، هدف الحياة الزمنية ، الحياة الابدية . . . هذه هي حقائق الدين المسيحي الاساسية .

ولكن المسيح تكلّم ايضاً عن **تفاعلات الحياة الزمنية**. من اعلن ان بلوغ الحياة الابدية يتعلّق بطريقة عيشنا الصالح على الارض ، قد اراد في الواقع ان يملأ بروحه الالهي كل مكنونات حياتنا الارضية.

ما هي صفة الحياة المميزة ؟ انها الحركة ، العمل . منذ ان خلق الله الزوجين الاولين ووضعهما في الفردوس «ليحرثاه ويحرساه» (تك ٢/١٥) اصبحت حياة الانسان على الارض عملاً متواصلاً . اذا قدّر لنا ذات صباح ان نحلّق فوق الارض فانني اتصوّرها هكذا : الفبارك تطلق صفاراتها والماكينات هديرها والديناموات دورانها والخلاقين احمرارها والدواليب صريرها . . . وفي كل مكان من بقاع الارض البعيدة ملايين الناس يعملون لتتميم كلمات الكتاب المقدّس : « الانسان خلق للعمل كما العصفور للطيران» (ايّوب ٥/٧) .

الارض كلها تنشد نشيد العمل الظافر، فما قول المسيحية بهذا الموضوع؟ ما هو تعليم المسيح بصدد العمل والمشاكل المتعلّقة به؟ هل هو مع العمل ام ضدّه؟ هل يوافق على العمل المسعور ام يمنعه؟ هل يدفعنا الى العمل ام ينظر اليه قلقاً؟ ما قول ديانة المسيح بالعمل ، بالعامل ، بالحضارة الزمنية ، بالغنى ، بالقرض ، بالملكية الخاصة؟ هذه اخوتي القضايا الحاضرة والشائكة التي اريد معالجتها في عظة اليوم وعظات الآحاد القادمة .

لمعالجة هذه القضايا في العمق يلزمني اكثر من عظة . اريد اليوم ان أجيب على سؤال اول: **ما هو تعليم المسيح بخصوص العمل ؟**

١

هل علَّم المسيح شيئًا بخصوص العمل؟

لا أستطيع الاجابة على هذا السؤال الا في القسم الثاني من عظتي. عليّ اولاً ان أحاول تبديد فكرة خاطئة.

أ) نسمعهم يردّدون كل يوم ان المسيحية لا تصلح الا للعالم الآخر، وانها لا تهتم بامور الارض ولا بكفاحات الحياة الزمنية وانها عمياء خرساء تجاه «ورشة» العمل الكبرى. المسيحية لا تهتم الا بميتة صالحة وليس بحياة ناجحة. **المسيحية غير قادرة على دفع عجلة الحضارة**... والانجيل لا يستطيع ان ينظّم حياة الانسان الحاضرة لأنه يطلب دوماً الخضوع والاناة وطلب السعادة الأبدية في العالم الآخر. الانسان العصري، الانسان المستعر بالنشاط وحمّى العمل، يحتاج انجيلاً آخر...

هذه هي الاعتراضات التي نسمعها غالبًا وعلينا الإجابة بوضوح على هذا السؤال: **هل وجّه المسيح كلامه الى البشرية العاملة؟ هل وجّه المسيح كلامه الى عالم العمل فقط**؟ هل يعرف الانجيل ان يعطي زخماً وتوجيهاً لعالم الماكينات الذي يجتاح البشرية، للعمل الصامت في المختبرات التي تستكشف اسرار الكون. هل يستطيع تقديس العمل التقني والفكري؟

ان لم يستطع ذلك، فالدين المسيحي قد خسر في الواقع نفسه والمسيحية تعدّاها الزمن. الانسان العصري يريد العمل، الانسان العصري تتملّكه رغبة في العمل والابداع وتخطيط المشاريع، ما حاجته الى دين لا يماشي اسمى تطلعاته؟

ب) هذا الاعتراض ليس بالشيء البسيط لأن فيه، كما في كل ضلال، جزء من الحقيقة وليست مهمّة سهلة تنقية الحقيقة من الضلال.

ما الصحيح في هذا القول؟

الصحيح ان سيدنا يسوع المسيح **لم يأت في الواقع الى هذا العالم لينظّم مؤسسات البشريّة التقنيّة والاجتماعيّة، الاقتصاديّة والطبيّة، الفنيّة والعلميّة.**

لم يأتِ لأجل ذلك، لقد اتى ليخلّصنا من خطايانا ويقودنا الى الحياة الابديّة. فمن المبتذل القول ان الفكرة المسيحيّة عن العالم لا تنظر الى الحياة الزمنيّة كغاية قصوى للانسان، بل الحياة الابديّة وهي تريد مساعدتنا على بلوغها.

ولكن الربّ أعلن ايضاً ان **بلوغ الحياة الابديّة يتعلّق بتتميم دقيق لواجباتنا اليومية على هذه الارض**. فان كانت حياة هذه الارض ليست الغاية القصوى في نظر المسيحي فهي مع ذلك وسيلة لا غنى عنها لبلوغ الغاية القصوى. بهذا المعنى اتّخذ المسيح موقفاً من مظاهر الحياة الزمنية واعطاها مكانها في عمله الخلاصي. اذن رغم ان الثروة والعمل والحضارة والثقافة ليست غاية المسيحي القصوى، مع ذلك اعطى المسيح بشأنها تعليماً سامياً ومعتبراً.

اذن يجب الاعتراف صريحاً ان **المسيح ليس مبدئيًا عدو الثروة والرخاء والعمل**. يمكن ان نسمّي انجيل القديس لوقا نشيد دعوة للعمل: «اعملوا بكل قواكم ولقاء كل التضحيات كي تحصلوا على ملكوت الله». هذه بالمختصر خلاصة انجيل القديس لوقا .

ولكن ملكوت الله يحوي كل الخيور، وكي نصل اليه ونوصل الآخرين يجب الا نهاب العمل ولو شاقاً. ملكوت الله هو في ذات الوقت ثروة وعمل. ثروة لا يمكن الحصول عليها الا بالعمل والعمل الشاق. لنقلْها

صراحةً: ملكوت الله حضارة، وحضارة حقيقيّة وازليّة، والذي يحضُّنا على اكتسابها يدفعنا الى العمل الحضاري الاغلى قيمة.

في المقابل لم يكن الربّ رسولاً متعصّباً للحضارة التي ترى هدف الحياة الاعلى وفحوى الوجود الأكمل في انتاج متواصل بلا كلَل وفي العمل. نعم، الانتاج واجب، المعامل كذلك كما التقدم التقني والحوانيت، كذلك الحقول المزروعة قمحاً وحبوباً ولكن . . . لكن «ليس بالخبز وحده يحيا الانسان» (متى ٤/٣) ـ هكذا حذَّرنا الرب ـ الانسان لا يحيا فقط بمناجم الفحم وغزو البحار وتنظيم المياه وانتاج الكهرباء.

كل ذلك ضروري ـ ولكن كل ذلك لا يعطي السعادة بحد ذاته، هل يلزمني اقناع انسان اليوم بذلك؟ متى كان الانتاج اكثر منه اليوم ؟ متى كانت الماكينات والحِرَف والمحركات والمفاعلات اكثر حركة مما في ايامنا؟ فهل وجد الانسان السعادة؟

في البرازيل كان انتاج القهوة هكذا وفيراً حتى انهم طرحوا اكثر من خمسمائة الف كيس في البحر وأخيراً بدأوا يستعملون القهوة كوقود للقطارات. في كندا هكذا غلّت الارض قمحاً حتى انهم بدأوا يطرحونها علفاً للحيوانات. وهكذا مواسم القطن في غير مكان اعطت بوفرة حتى ليقطفونها بالألوف . . .

انظروا كم يعمل الانسان وينتج ـ ولكنه لا يزال بعيداً كل البعد عن السعادة.

٢

ما هو تعليم المسيح بخصوص العمل ؟

بعد ان تحققنا من هذه المسألة نتّجه الى حلّ ايجابي للسؤال : **ماذا علّم المسيح بخصوص العمل**؟ لأننا سنعلم الآن هذه الافكار السامية ، سندرك ان تعليمه يسبغ بركات ثلاث على عمل الانسان .

المسيح ١ ـ **رفع من مقام العمل** ، ٢ـ **قدّسه** ، ٣ ـ **قدّر العمل حق قدره** .

أ) **المسيح رفع العمل اليدوي** من الانحطاط الذي انحدر اليه في ذلك العصر .

في ايام المسيح كان اليونان والرومان يحتقرون العمل اليدوي ، حتى ان احد اشهر فلاسفة اليونان ، افلاطون ، كان يؤكد ان كل الحرف هي هكذا مُحِطَّة بالانسان الحر حتى ليجب تحريمها عليه وتركها للعبيد .

وها هو المسيح يأتي . صحيح انه لم يأتِ ليصحح الفكرة الخاطئة عن العمل ـ ولكنه فعل ذلك بالاضافة . وان كنا اليوم نقول ان «لا مهنة حقيرة» وان كنا اليوم نرى من الطبيعي «ان من لا يشتغل لا يطعم» فاننا مدينون بهذا الانقلاب لسيدنا يسوع المسيح الذي جاء هذا العالم كـ «ابن النجّار» ، الذي احتمل ان يعيّره اعداؤه : «هوذا ابن النجار» (مر ٦/٣) ، الذي قضى شبابه عاملاً في حانوت النجارة والذي اختار رسله من بين صيادي السمك . . . نعم ، المسيح لم يأت لأجل ذلك ولكنه فعل ذلك ايضاً . بمَثَله رفع العمل من الحقارة التي وصل اليها في أعين الناس حتى ان العمل الذي كان قبلاً مزدرى من الناس الاحرار ، جرت العادة من بعده وبسبب مثله ان يتعلّم اولاد العائلات المالكة ، في الاجيال الوسطى ، مهنة يدوية اقتداءً بالمسيح .

هذا هو الانقلاب الكبير الذي احدثه الدين المسيحي. العالم الذي لا يعرف المسيح يرى في العمل تعاسة كبرى ومأساة وشراً جسدياً . اما بالنسبة للدين المسيحي فليس العمل قصاصاً الهياً ، لأن الانسان كان يعمل حتى قبل سقطته الاولى ـ لأن العمل هو شريعة الطبيعة البشريّة ، شريعة شريفة ، به نتشبّه بالله الذي خلق العالم ويعمل على حفظه بلا كلل ولا ملل وبسيدنا يسوع المسيح الذي تحمّل لأجل فداء العالم العمل المضني حتى بذل الدم .

ان كان الله الخالق لم يرذل العمل ولا سيدنا يسوع المسيح احجم عن العمل ، فعلى كل انسان اذن الا يخجل من العمل ، كما لا يحقّ لاي انسان في العالم ان يعيش بدون عمل . ان كنت ثرياً او فقيراً ، قوياً او ضعيفاً ، رجلاً او امرأة ، مثقفاً او جاهلاً ، فتى او فتاة ، صناعياً ام صحفياً ، ان كنت لا تشتغل ـ بفكرك او بيديك ـ فلست انساناً؛ لانه من الواجب ان نطوّر عقلنا وقوانا وارادتنا لاجل كمال انسانيتنا وهذا يعني عملاً يدوياً او عقلياً او فكرياً .

ب) وبهذا اشير الى عطيّة اخرى من عطايا المخلّص: **المسيح قدّس العمل**.

ان هذا التغييريعود الى ان المسيح لم يرفع من مقام العمل فحسب **بل قدّسه ايضاً ورفعه الى مقام خدمة الهيّة**.

لا يزال العمل بعد مجيء المسيح يكلّف اعراقاً واتعاباً ، عذاباً وجهوداً كما من قبله ـ ولكن النفس التي تحيي جسد العامل لم تعد ضعيفة . **منذ مجيء المسيح اصبح العمل جزءاً من الصليب** ، على كل انسان ان يحمله ان هو اراد اتباع المسيح ، «من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويلحقني» (لو ٩/٢٣) .

حسن! ما هو الصليب الذي يجب ان نحمله صباح كل يوم، ربما ضد ارادتنا، ربما قسراً عنا، اليس هو صليب العمل اليومي؟ الحفر في المناجم، حمل الاكياس، تسخين الخلقين، ادارة المكتب واتمام واجباتي كقاضٍ او مهندسٍ او كاهن، طهي الطعام، ترتيب المنزل، الاعتناء بالاولاد... كل ذلك متعب وصعب على المسيحي كما على غير المسيحي. ولكن المسيحي الذي يتمم كل ذلك بعينين متجهتين نحو المسيح مع الاسراع في تتميم ارادة الله **يرتفع عمله الى مستوى حمل الصليب وراء المسيح فيصبح بذلك خدمة الهيّة.**

اجل، نحن مقتنعون ان العمل الذي نعمله بهذه الروح هو صلاة، لأن العمل النشيط الذي يستعر في نفس الانسان المعاصر قد وجد الموافقة عليه و«شرعته الكبرى» في كلام الربّ القدير. في هذه الكلمات التي وجهها الله لابوينا الاولين: «لنصنع الانسان على صورتنا ومثالنا فيتسلّط على سمك البحر وطير السماء، على الحيوانات الداجنة وعلى كل الارض، وعلى الزحّافات التي تدبّ على الارض... وباركهما الله وقال: «انميا واكثرا واملآ الارض وأخضعاها» (تك ١/٢٦-٢٨).

فليس اذن من باب المبالغة القول ان عمل الانسان الذي يصنعه تنفيذاً لامر الله، لتتميم ارادة الله، هو خدمة الهيّة.

ج) اليكم الآن بركة الربّ الثالثة للعمل: **المسيح قيّم العمل قيمته الحقّة.**

لا نكير ان العمل كان دائماً متعباً وسيبقى عبئاً ثقيلاً على مناكب الناس. كلمة عمل تعني في كل اللغات تقريباً «المشقّة» و«العذاب». كلمة «Labor» اللاتينيّة لا تعني فقط العمل بل «الوجع» ايضاً.

الوثنيّة القديمة كانت ترذل العمل ، الوثنيّة الجديدة تؤلّهه وتجعل من العمل غاية اخيرة بحد ذاتها . الفكرة المسيحيّة تتوسّط هذين الطرفين : هي تقدّر العمل ولكنها لا تجعل منه غاية الانسان الاخيرة بل وسيلة فقط .

ربَّ قائل : «في هذا العالم الذي يُنشد نشيد العمل بلا هوادة نرى الدين المسيحي غير لاحق بالركب» . لا ، هذا لا يعني تقاعسه بل قوته وفائدته؛ لأن هذه النظرة بالذات تحفظ الإنسان من الانحطاط الى مستوى البهيمة التي تجر نيرها بعينين يجحظهما الغضب ، كما وتذكّرنا ايضاً بقيمة عملنا بالنظر الى الحياة الابدية . نلاحظ في البلدان التي تؤلّه العمل ان الانسان انحط الى مستوى البهيمة التي لا روح لها ؟

٣

المسيح والعامل

أ) إن كان الامر كما ذكرنا ، ايها الاخوة ، فلا يسعنا اذن ان نكتم تأوهاً موجعاً . ان كان العمل في معناه السامي مدين هكذا للمسيح ، ان كنا بعد مجيء المسيح فقط نقدّر العمل حق قدره ، **لماذا قسم من العمال يرون في المسيح عدواً؟**

انه لجرح بليغ ومشكلة خانقة انفصال اخوتنا العمال عن المسيح «ابن النجار» .

اطرح السؤال ولا ادري بماذا اجيب . ارى الواقع المؤلم وارفض القبول بأن له ما يبرّره .

لماذا انفصلت جماهير العمال عن المسيح؟ اليس هو الذي اعطى شرعة حقوق العمال الكبرى عندما قال : «العامل يستحقّ اجرته» (لو ١٠/٧) الا تعلّم ديانته ان بخس العامل اجرته خطيئة تصرخ الى السماء؟»

ب) «تعلّم، تعلّم . . . !» قد يجيب اكثر من واحد، كل ذلك موجود في التعليم المسيحي فقط، **اما في واقع الحياة فلا اثر له**. بخس الاجرة؟ ولكن هل تعلمون باي اجرة يشغّلنا الرأسماليون؟ وعلينا ان نفرح كثيراً اذا وجدنا عملاً . . .

لسنا ضد المسيح بل ضد المسيحيّة التي تفهم تعليم المسيح بشكل يحمي الرأسماليين وترى الاستغلال المعيب دون ان تنبث ببنت شفة . . . »

هذا كلام قاس، ايها الاخوة، ولكن من تراه يستغربه؟ من عرف البؤس اللاانساني الذي يتخبّط فيه ملايين العمال لا يستغرب كثرة الشاكين حتى ولو عرف انهم غير محقّين، بل في ضلال مبين.

يخطئون عندما يظنون ان المسيحية تنظر بلا مبالاة الى الاستغلال الرأسمالي المعيب. الم يُذع الحبر الروماني [1] براءته الشهيرة «**الامور المستحدثة**» (١٨٩١) ضد الظلم الاجتماعي؟ ومن بعده الحّ من جديد الحبر الروماني [2] في براءته «لاربعين سنة خلت» (١٩٣١) على العدالة الاجتماعيّة بقوة وحزم؟

يخطيء من يظن ان المسيحية تغطّي تجاوزات الرأسمالية. الاكيد انها تحمي حق الملكية الخاصة، لان الغاءَها ضربة قاضية على الهوس في العمل، ولكنها لا تحمي بل تجلد بجرأة الربى والثراء الفاحش.

الدفاع عن المبدأ واجب لانه بدون الملكيّة الخاصّة لا حياة لبشرية متحضرة. ولكن باستطاعة الانسان ان يفسد كل شيء ويغش كل شيء بما فيه الملكية الفردية ايضاً. هذه الارض لن تكون نعيماً رغم كل القوانين. نحن

---

١) لاوون الثالث عشر

٢) بيوس الحادي عشر

ننتظر كمال العدالة في ملكوت المسيح الابدي: « ولكننا ننتظر ، حسب وعده ، سماوات جديدة وارضاً جديدة يسكن فيها البر» (٢ بطر ٣/١٣).

فان كان لا مكان للعدالة على هذه الارض فالكنيسة تعمل مع ذلك كي لا يكون هناك ظلم فاحش كالذي نشهده اليوم. ماذا تعمل الكنيسة اذن؟ لا تستطيع ان تغيّر العالم ولكنها تسعى لتغيير الناس الذين يعيشون في العالم. ان رأيتم ظلم الرأسمالية لا تقولوا ان المسيحية افلست بل: ما **اقلّ الناس المسيحيين حقًا!** لنعمل على ان يصيروا مسيحيين فعلاً... هذه فكرة المسيحية الكبرى : لا تستطيع ان تطوِّب الرأسمالية **ولكنها تريد ان تجعل من الرأسماليين قديسين.**

* *

*

ان تجعل من الرأسماليين قديسين ؟ هل رأيتم اعجوبة كهذه في العالم؟

نعم ، رأيناها ، ايها الإخوة ، وان نحن وجدنا عدداً اكبر من الناس الذين يتبعون المسيح وتعليمه فكبرى المشاكل العويصة في العالم على وشك الحل.

هذا الاسبوع احتفل بمرور سبعمائة سنة على وفاة «قديسة رأسمالية» هي **القديسة اليصابات المجرية**. ابنة ملك كان باستطاعتها ان تغوص في ملذات الدنيا حتى اذنيها ، كانت ثرية جداً وجميلة وكانت تسكن قصراً منيفاً ـ ولكن محبة المسيح المتأججة في قلبها حمتها من مخاطر الغنى وحوّلتها الى محسنة تباركها البشرية المعذبة مدى الأجيال.

ايها الرب يسوع! املأ قلبنا جميعًا اغنياء وفقراء ، عمالاً وارباب عمل من روح القديسة اليصابات ، فيجد السلام ابناؤك الذين يكافحون ويشقون، آمين.

المسيح والغنى

إخوتي

في الجيل السابع عشر حل الطاعون بسكان قرية بافارية صغيرة تدعى اوبرامرغاو (Oberrammergau) فنذروا ان يقوموا بتمثيلية آلام المسيح كل عشر سنوات ان زالت عنهم هذه الضربة. في صيف ١٩٣٠ توافد الوف الناس من جميع انحاء العالم لحضور تمثيلية آلام المسيح المؤثرة بنفس خاشعة. هل تعلمون ما هو المشهد الذي اثّر كثيراً في نفس المهتمين بالمشاكل الإجتماعية. لم يكن درب الصليب ولا الصلب ولا الموت على الصليب... آه، كل ذلك مؤثر؛ ولكن المثقفين من الحاضرين تأثروا جداً عندما غسل المسيح ارجل تلاميذه.

عندما قام المسيح عن العشاء وبحركة صامتة، هادئة ووديعة غسل ارجل تلاميذه فقد احدث ثورة حقيقية. لقد قلب كل موازين البشرية حول ألاعتبار والقوة والعظمة... المسيح لا يقول كلمة واحدة، لا يهاجم اي طبقة من الناس، لا يقول ان «الأغنياء سيذهبون الى الجحيم» و «يجب ابادة الرأسماليين» «يجب الا يكون هناك اسياد...» كلا، لم يقل شيئاً من ذلك... قام على مهل وبصمت ركع، هو ابن الله، الرب القدير، خالق العالم، امام صيادي سمك، ليغسل ارجلهم.

ان امثولة غسل الأرجل هذه يجب ان تنير كالبرق سماء العالم الدكناء المشحونة بالغيوم. هل تعلمون ماذا اراد المسيح بذلك ابن يقول؟

قال لنا على وجه التقريب ما يلي: من المستحيل الغاء الفروقات بين الناس. فبقدر ما يوجد اناس توجد رؤوس مختلفة، ليس من جهة المنشأ فقط بل من جهة المقدرة ايضاً. سيكون على الأرض دائماً علماء وجهال، اصحّاء

ومرضى، اغنياء وفقراء، ارباب عمل وعمّالٌ. لا يحق لي اثارة النعرات بين الطبقات الإجتماعية وان ازرع الحقد وادمّر السلطة، انما علي ان اضع في الرؤساء والأقوياء والمثقّفين والأثرياء هذه الفكرة وهي انه يجب عليهم ان يملأوا الهوة التي تفصل بين الطبقات الإجتماعية بممارستهم المحبة السخية.

ابن الله يغسل ارجل البشر! يا لها من صرخة في عالمنا الحاضر الذي يغلي امام استحالة حل المعضلة الاجتماعية! ليس التقدم التقني ما سيحل المشكلة الإجتماعية حتى ولا القوانين الاقتصادية والمالية (مع انها ضرورية). الحل النهائي نجده فقط عندما يغسل السيد رجلي خادمه. اعني عندما يحملنا مثل المسيح الرمزي الى الارتفاع بحياتنا اليومية وسلوكنا وطريقة عملنا وقولنا.

هذا هو الموضوع الصعب ذو الأهمية الحيوية الذي بدأت بمعالجته الأحد الماضي والذي اود متابعته اليوم.

ان العداء المستحكم بين العمل ورأس المال، بين الغنى والبؤس، بين الثروة والفقر تهزُّ العالم كله في ايامنا الحاضرة. ماذا علّمنا المسيح بصدد العمل؟ عالجت ذلك في الأحد الماضي. **ما هو موقفه من الملكية الخاصة، من متاع الدنيا، من الغنى والفقر؟**

ماذا علّمنا المسيح بصدد الغنى؟

لفتُ الانتباه ذات يوم الى هذه الظاهرة الفريدة وهي ان كل الإتجاهات الفكرية في العالم تريد اتخاذ المسيح من جهتها. ان عظم شخصيته التي تفوق طور العقول يجعل ان كل حزب في العالم يريد ضمه اليه. لقد وُجد من قالوا ان المسيح كان «اول شيوعي»، لأن المسيح هدّد الأغنياء قائلاً: «الويل لكم ايها الأغنياء» (لو ٦/٢٤).

آخـرون ايضاً ارادوا ان يروا فيـه المخلص الإجـتمـاعي وبتعـبيـر فظّ: «الاشتراكي الأول».

أ) **لنر عن كثب ماذا علم** المسيح بشأن الملكية الخاصة والغنى ومال هذه الدنيا.

ان موقف المسيح من الغنى نراه خاصة في مشهد **الشاب الثري** وفي **عظة الجبل**.

أ) تقدم من المسيح ذات يوم شاب ثري جداً مليء بالحماس والمُثُل كما وبالنجابة والنشاط وقال له: «ايها المعلم الصالح، ماذا يجب علي ان اعمل من الصلاح لأرث الحياة الأبدية» فاعطاه الرب جواباً اولَ:«ان شئت ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا».

اما الشاب فقال له :« هذه كلها حفظتها منذ صباي فما الذي ينقصني؟»

نظر الرب في اعماق هذا الشاب فوجده متعطشاً الى كمال غير موجود في عامة الناس فقال له: «ان شئت ان تكون كاملاً، فامضِ وبعْ كل ما لك واعطه للمساكين فيكون لك كنز عظيم في السماء وتعال فاتبعني».

ولكن الشاب وجد الثمن باهظاً ولم يقدر على هذه التضحية ففضل ترك المعلم.

عندما رآه الرب يمضي حزيناً خرج من فمه هذا التأوه:« ما اصعب دخول المتمولين ملكوت اللّه!».

التلاميذ يتملكهم الذعر: لم يكونوا مستعدين لهذه الصدمة. اليست السعادة ملك الأغنياء؟ اليسوا أبناء الله المدللين الذين يغدق عليهم نعمه الأرضية؟

المسيح لا يتراجع عن كلامه بل يكرر مشدداً: « يا بنيّ ما اصعب دخول المتموّلين ملكوت الله» (مر ١٠/٣٤).

الرسل تستبدّ بهم الحيرة كلياً. ان كان الأمر كذلك فمن تراه يخلص اذن؟ من المؤكد ان هذا الشاب هو من بين الأفضلين، اذن لا احد منهم يخلص؟

ولكن المسيح يتابع وكلامه يسقط كالزيت على الأمواج الهائجة. المسيح يعطي وسيلة للخلاص: الغني يمكن ان يخلص ايضاً اذا عرف ضعفه فتعلق بالله وسعى بحياة فاضلة الى تحقيق مآرب الله بواسطة ماله، لأن النعمة التي يكون قد حصل عليها هي بمثابة ثقل الميزان تجاه الذهب الذي يشدنا الى الأرض.
هكذا ينتهي مشهد الشاب الغني مع سيدنا يسوع المسيح.

ب) ولكي نفهم احسن موقف المسيح من الغنى فلنستعرض الأفكار التي تتضمنها عظة الجبل.

عظة الجبل تتضمن بوضوح لا يقبل الشك افكار المسيح حول قيمة الفقر والتجرد الأختياريين. اليكم ما قال ربنا في عظة الجبل: «طوبى لكم ايها الفقراء فان لكم ملكوت السموات، طوبى لكم ايها الجياع الآن فانكم ستشبعون، طوبى لكم ايها الباكون الآن فانكم ستضحكون. طوبى لكم اذا أبغضكم الناس ورذلوكم وشتموا اسمكم ونبذوه كأنه عارمن اجل ابن الإنسان، سُرّوا وافرحوا في ذلك اليوم، لأن أجركم عظيم في السماء» (لو٦/٢٠-٢٣).

هذه افكار عظة الجبل

ب) من يقرأ سطحياً كلمات سيدنا يسوع المسيح هذه، يتشكك لربما، لأنه يرى فيها شجباً لعملنا الأرضي المسعور، ولكن من يتعمق في

اكتناه معنى هذه الكلمات مضيفاً اليها كلمات اخرى للمعلم الإلهي يدرك ليس فقط ان المسيح لم يشجب الحضارة الارضية بل ان تعليمه **هو الينبوع الحقيقي للقوة الحضارية التي وحدها تليق بالإنسان**.

أ) ان كلمات المخلص هي في الواقع نقطة توازن للطبيعة البشرية الشديدة الميل الى الأمور الدنيوية والمادية اذ يرفعها من دائرة انانية الغرائز الأرضية الى دائرة مصالح الله والنفس.

فما هو اذن النبع المخيف لشرور الناس وعدم احساسهم في العالم؟ ما الذي يفصل بين الاصحاب والأهل ، الإخوة والأخوات ويجعل الحياة بقربهم جحيماً؟ هي **الأنانية**. وضد هذه الأنانية توجّه كلمات المسيح الضربة القاضية؛ لانها تعني تأكيداً شجاعاً ـ وهذا ما لا نريد سماعه ـ ان عبادة المال لا يمكن تحطيمها وظلم الرأسمالية لا يمكن دحره الا عندما نلجم الطمع المستبد بالفرد ، فيصير باستطاعة المليونير ان يكون مسيحياً غير خاضع لسلطان المال والفقير الكادح عبداً للمال.

كلام المسيح يدل بوضوح ان لا احد مجبر على اشراك الآخرين بخيراته وان باستطاعة كل واحد ان يجمع ثروة ، ولكنه يبيّن ايضاً **خطر الغنى الفاحش على النفس**. لأن الإنسان الذي يضع كل رجائه وثقته وبغيته وجهده في المال يفقد رجاءه بالله؛ لأن الأرض تصبح بالنسبة للأنسان هدفه الوحيد وحياة هذه الأرض مبتغاه الأوحد:ويصبح المال الهه. ولكن من صار المال الهه فلا مكان للإله الحقيقي في نفسه.

ب) ان نحن فهمنا كلام المسيح هكذا لا نهزنّ رأسنا بعد الآن عند سماع هذه الكلمات التي تقع وقع الصاعقة: « الويل لكم ايها المتموّلون!» انها

كلمات المخلص الصاعقة. ولكن تعليم المسيح كله يدل لمن من الناس يوجه كلامه هذا!

سمعتم بالتأكيد هذا الخبر الفريد وهو اعطاء حق جمع النفايات في المدن الكبرى. ان احدى الشركات في فيينا تدفع خمسين الف شيلينغ للمدينة لقاء حقها في جمع النفايات المنزلية والحداحيد والزجاج المكسور وغيرها من الأشياء والتصرف بها وبيعها. **جمع المال من النفايات!** يا لها من كلمات غريبة! مع ذلك يجب الا نستغرب عمل هذه المؤسسة التي تربح مالاً من النفايات المنزلية ـ لأنها مهنة معتبرة. انما يجب الاستهجان لا بل الغضب على كثيرين من الذين يجنون الأرباح من النفايات، ـ النفايات الأخلاقية. كم مرة يجنون أكثر من ٥٠ الف شيلينغ من الصور والأفلام والكتب والتمثيليات المسرحية التي تقذفنا بالأوحال الأخلاقية! الى هؤلاء يوجه الرب كلامه الصاعق.

« الويل لكم ايها الأثرياء » (لو ٦ / ٢٤) الويل لكم يامن يسكنكم شيطان المال، يا من تدوسون الأخلاق والأمانة والصداقة والوطن والإيمان حباً بالمال! الويل لكم يا من تتركون عمالكم في حالة بؤس لا انساني لتنعموا بخفض اجورهم!

الويل لكم يا من تشترون بالمال كل شيء: اللذة، الشهوة، الفضيلة، البراءة ـ وتستطيعون ان ترموا في الشارع كالثمرة المعصورة قلوباً محطّمة ونفوساً سقطت في الأوحال! الويل لكم يا من أُتخمتم بالمال وبالمال افسدتم كل شيء؛ بالمال اغويتم الناس الى اقتراف الإثم! المال لم يسلبكم الإحساس فحسب بل حرمكم من النظر والسمع، وها هي الكلمات التي لم يسمع

بمثلهــا تدوّي كي ترتعدوا انتم ايضاً: «انه لأسـهل على الجـمل ان يدخل في خرم الإبرة من ان يدخل غني ملكوت السماوات»(متى ١٩/ ٢٤).

هكذا يجب فـهم كلمات المخلص ولـيس بمعنى انه حرّم كل ملكيـة خاصـة ورمى بكل الأغنياء في الجحيم. في الواقع كان بين تلاميذ المسـيح اكثر من غني: مرتا ومريم، صالومي، نيقـوديمس، يوسف الرامي. احد اعز اصدقائه الذي اقامه مـن بين الأموات هو لعازر الغني، وغالباً مـا كان يحلّ ويرتاح في بيتـه؛ وبسـرور قبـل دعوة زكّا الغنـي ليحـل عنده. المسـيح لم يشـجب الغني الذي يضع خلاص نفـسه فوق المال ويـشفق شفـقة الآب السمـاوي. عندما يسعف المحتاج والمهمل فانه يفعل ذلك مع المسيح. انه ذو كف نظيف وعينين رؤوفتين وقلب سخي. المسيح لا يشجب مثل هذا الغني.

٢

ما هي نتيجة تعليم المخلص؟

ولكن هناك نتـائج هامة لما سـمعناه مـن تعليم المخلص حول الملكيـة الخاصـة والثراء، ورغم انني لا اسـتطيع التوسع بهـذا الموضوع الا في العظة القـادمة، مع ذلك اود منذ اليوم ان ارسم بعض الملامح.

أ) اريد بنـوع خـاص ان ابين عـدم الاسـاس وقـلة الإحـتـرام فـي بعض الإتجاهات الـفكرية وتهـجـمات بعض الفـلاسـفـة، ان نـحن فهـمنا جيـداً اقوال المعلم الإلهي. يحضر ببالي اولئك الفلاسفة ذوي الاقلام الرشيقة... الذين ويا للأسف يصرفون باسنانهم ضد الـدين المسيحي لأنه - برأيهم - يعادي المال وحسن الحال والفرح والقـوة ويقدّم ذاته كانجيل **الفقراء والحزانى والضعفاء**

ولا يتضمن اي تشجيع للإنسان القوي المحب العمل الذي يتصبب عرقاً في سبيل العمل الحضاري.

ان كان هذا الكلام صحيحاً فمعنى ذلك ان الدين المسيحي لا قيمة له وقد انتهى في نظر انسان اليوم. ولكن ليس الأمر كما يتوهمون كما تقدمنا وقلنا.

مع ذلك ان كان المسيح لا يعادي العمل الزمني المسعور بل ينتظر من كل انسان ان يتمم واجبه بضمير حي فكيف تكونت هذه الفكرة ان الإنجيل لا يتوجه الا للضعفاء والمرضى والساقطين ولا يعنى بالشعب القوي الذي يحبُّ العمل والنشاط، ما مصدر هذه الفكرة الخطرة ان «الإنجيل اعطي للنساء والأولاد وليس للعمال والأقوياء»؟

أ) **كلمات أُسيءَ فهمها في الإنجيل**. المسيح قال فعلاً كلمات كهذه: «ليس الأصحاء من يحتاجون الى طبيب بل المرضى. لم آتِ لأدعو الصديقين بل الخطأة الى التوبة» (لو ٥/٣١).

وقد تميّز عمله الخاص بما يلي: «العميان يبصرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون» (متى ١١/٥).

اذا فكرنا قليلاً، هل نستطيع اعطاء هذه الكلمات المعنى المشار اليه اعلاه؟ ابداً.

لنضع ذواتنا في صفوف الأصحاء والشبان والأقوياء والأغنياء والسعداء ولنسأل ذواتنا: هل كنا ننتظر من المسيح ان يوجه كلامه الينا **في الدرجة الأولى** وان يبشرنا نحن **اولاً**، البشرى السعيدة؟ نحن الذين لا نحتاج شيئاً في الوقت الحاضر؟ نحن الحاصلين في هذه الأرض على كل ما نتمناه؟ هل

يحق لنا الإستئثار بالمسيح اكثر من الفقراء والمرضى والبؤساء؟ هذه الفكرة بحد ذاتها ظلم كبير.

ب) امـا اذا فكرنا ان **كل هؤلاء الشبان المملوئين حيوية سيهرمون يومًا** وان كل واحد من هؤلاء الأقوياء بامكانه ان يصير ضعيفًا؛ لان لا احد في هذا العالم يبقى شابًا وقويًا على الدوام. وعندما يلتحق بمجموعة التعبين والضعفاء والمرضى والخائبين، الذين يبكون ويتألمون ويموتون، عندئذ يدرك ان المسيح اتى بانجيل عصري حقًا، بشّر به فعلاً الضعفاء والفقراء اولاً. عندما تبدأ الحياة تفلت من ايدينا على كرّ السنين وعندما تمر افراح هذا العالم ومشاغله وامانيه عندئذ لا يستبدّ بالمسيحي عذاب الماضي الرهيب المؤلم بل فرح حياة اخرى وعد بها الإنجيل.

من المؤكد اننا سنصل متأخرين جداً ان نحن تركنا العمل في سبيل الحياة الأبدية الى نهاية العمر، عندما تفارقنا قوانا. ان الله ينتظر منا في شبابنا العمل لأجل الحياة الأبدية، ينتظر ان نضحي لأجله عندما نترك الخطيئة وليس عندما تتركنا الخطيئة في شيخوختنا.

ج) لذلك يعلمنا الإنجيل منذ البداية **بطلان العالم وعدم جدوى الخيرات الزمنية.** المسيح يعلن ايضاً ان القوة والصحة وفرح العمل والطموح... كلها ذات قيمة، فقط اذا كنا لا نحصّل بواسطتها خيوراً محض فانية.. اذن الإنجيل انجيل عمل ولكنه **عمل يخلّد الإنسان المائت.** من يعيش بمقتضى الإنجيل في شبابه وعافيته عندما يكون قادراً على العمل، يرى مع الأيام بأكثر وضوح انه قام بعمل لا تقوى الأيام على النيل منه، اعني اكتساب مملكة الروح الأبدية. اذن الإنجيل لا يبشر بالمرارة التي تعزلنا عن العالم، في بطالة كئيبة، الإنجيل يريدنا ايضاً شبانًا اقوياء، نشيطين

وفاعلين لا لنكسب ثروات نتركها عاجلاً ام آجلاً بل لنربح تلك التي تدوم في الحياة الابدية.

ب) وهنا نصل الى امثولة اخرى رائعة: **البشرية التي تتبنى الإنجيل بدون تحفظ** وتضعه في حيّز العمل **تلغي في الوقت نفسه النزاعات وصراع الطبقات الاجتماعية**.

أ) انه لجدير بالذكر **ان العالم الوثني كان يشعر هو ايضًا بضرورة المساواة الإجتماعية** التي اعلنها المسيح على الملأ بغسله ارجل تلاميذه اذ كان الرومان، مرّة في السنة، يخدمون عبيدهم في عيد اله الزمان.

ولكن ما كان استثناءً يوم واحد لبادرة انتباه ومحبة نحو القريب قد **جعله سيدنا يسوع المسيح اساس ملكه**. يجب ان اعرف جميل من يقدم لي خدمة - ليس فقط ببخشيش (لأن ذلك لا يكافيء عملاً صنع من القلب)، كل من يقوم نحوي بعمل مهما كان: مسح حذائي او تنظيف شارعي، حياكة قماش لباسي او التنقيب عن الفحم الذي يُدفئ غرفتي... يستحق عرفاني بالجميل واحترامي ومحبتي... لو كان الأمر كذلك فهل يبقى للخطر الإجتماعي من مكان؟

ب) عندما نرى اعمال الإحسان التي نسميها عن حق «الزيت الإجتماعي» في عجلات الحياة الإقتصادية، **ندرك الفكرة الإجتماعية بالذات**؛ اذا اطّلعت على بؤس الآخرين ونسيت ذاتي في خدمة القريب، هذه الفكرة بالذات هي الثمرة المميزة لروحانية الدين المسيحي. نحن نقرّ **ان التقنية الحالية** والعمل الاجتماعي وحماية الشبيبة والجمعيات والنقابات والمؤسسات الخيرية هي من انجازات العصر الحديث. ولكن القوة المحركة لكل المبادرات

الإجتماعية هي ايضاً روح المسيح الذي ولد في مغارة بيت لحم. وتباعاً نقول ان كل تقدم في العمل الإجتماعي لا يمكن ان ينبت الا في تربة دينية.

انها لجديرة بكل احترام الجمعيات والمؤسسات الإجتماعية على انواعها، لأنها زيت السامري الرحيم الذي يُصَبُّ على صراع الطبقات الذي يسببه البؤس؛ ولكن على الجميع الإقرار ان من يريد حقاً ان يمسّ قلوب المتألمين، من يريد ان يكون سند الضعفاء ومحامي المهدّدين ومنهض الساقطين، يجب ان يكون هو نفسه على درجة عالية من القناعة الدينية. من هذه القناعة التي دفعت القديس بولس الى العمل الذي لا يهدأ: «محبة المسيح تضطرنا» (٢كور٥/١٤) **هنا يكمن العمق الديني للعمل الإجتماعي**. الفكرة الدينية وحدها تجعلنا نكتشف في اشد الناس فقراً والأكثر انحطاطاً نفساً خالدة، وهي التي تحضُّنا على ان نكون اجتماعيين وطويلي الأناة ازاء محيطنا المباشر وان نضبط اميالنا.

والفكرة الدينية تحمي من جهة اخرى العمل الإجتماعي من الخطر الذي يتعرّض له بسهولة: ان يتحول الى كلامٍ وذرِ رمادٍ في العيون واستعراضات.

* *

*

اخوتي، في احدى قصص تولستوي تتكلم كونتيسة عن الخادمات هكذا: «اليس من الغريب ان يفرغ هؤلاء الفتيات طسوتنا ويرتبن اسرّتنا كي نتفرّغ نحن لعزف مؤلفات شوبان!» انه لغريب حقاً. والذي لا يستغرب ذلك ويجده طبيعياً جداً ومن لا يجتهد في ان يقابل عمل قريبه بمحبة المسيح التي

تجلت في غسل ارجل تلاميذه، مثل هذا عليه الا يستغرب اذا جاءت البولشفية ذات يوم لتكسّر البيانو وتمزّق مؤلفات شوبان.[1]

اليس معنى الدين المسيحي ان يبقى الإنسان يتطلع الى السماء دونما حراك؟ ان يطلق التأوهات العاجزة بانتظار ان يأتي ملكوت اللّه؟ ان ينتظر مكتوف اليدين ان تسقط العصافير مشوية في فيه؟

كلا ثم كلا. ان صحّ ذلك فالإيمان المسيحي عندئذ يكون فعلاً عدوالتقدم والهوس في عمل الإنسان.

ولكن العكس صحيح تماماً. المسيحي الحقيقي يصلّي، يعترف ويتناول ويسمع القداس. نعم انه يصنع كل ذلك ولكنه يلجم فيه ايضاً بشدة قساوة القلب وقلة الصبر والكسل والأنانية. انه محبٌّ، سموح تجاه الآخرين وقاسٍ على ذاته وهو يقوم فوق ذلك وبكل قواه بالواجبات التي تفرضها عليه رسالته في هذه الدنيا. مهما صلّى الإنسان فإن كان يركب رأسه ولا ينضبط ولا يعرف ان يغفر وينسى - فهو ليس مسيحياً، بدون شك. وان تناول احدنا القربان كل يوم واهمل في الوقت ذاته واجباتِه وتصرف برعونة وانانية فهو ليس مسيحياً.

اما نحن ايها الإخوة، فنريد ان نكون مسيحيين حسب رغبة سيدنا يسوع المسيح: اناساً فقراء ام اغنياء، مثقفين ام جهالاً، بسطاء ام مميزين، لا يهمّ، ولكن فوق كل شيء **اناساً قاسين على ذواتهم، منضبطين، جدّيين، رؤوفين بقريبهم، سموحين ومستعدين للخدمة**.

فاذا كان للمعضلة الإجتماعية الصعبة من حلّ فهو في البشرية العائشة مسيحيتها التي هي وحدها تملك الحل. آمين.

---

(١) البولشفية وصلت فعلاً بعد عشر سنوات وتمت توقعات الواعظ.

المسيح والغنى

(٢)

كانت «جمعية الكافرين الروس» الشهيرة تنشر في موسكو مجلة ظهر فيها «كاريكاتور» بعنوان «الواجهة».

في الوسط ينتصب مسيح كبير ذو عينين مكفهرتين ومضطربتين وبحركة تهدئة يمدُّ يده الى الشمال حيث يزدحم جمهور البؤساء: نساء نحيلات، اطفال حوّلهم الجوع الى هياكل عظميه، قرويون احنى ظهورهم التعب، عمال ملطخون بالشحم والفحم... ويبان المسيح كأنه يقول لهؤلاء التعساء: «احتملوا آلامكم، لا تثوروا على مستثمريكم، لا تهتموا باعطاء اولادكم عيشاً كريماً افضل واكثر انسانية. الحياة قصيرة وستنالون اجركم في الحياة الأبدية، تصبروا»... ولكن وراء المسيح نرى بورجوازياً سميناً (الجمع لا يراه بسبب المسيح) تلمع اصابعه بخواتم الإلماس، وجهه منتفخ وعيناه جشعتان وبيده حبل يزرده على عنق عامل كادح لا حول له؛ ولكن الجمع لا يرى شيئاً من ذلك لأن المسيح يخفي هذا المشهد عنه. وفوق هذا الكاريكاتور عبارة: «الواجهة».

المسيح واجهة!

لا يكفي ايها الإخوة ان نثور ونحتجّ امام هذه الصورة التي تثير اشمئزازنا، من الأفضل ان نفكّر ونفحص ضميرنا بتواضع. وهذا ما اريد فعله في عظة اليوم.

ماذا علّمنا سيدنا يسوع المسيح بخصوص الغنى والثروة، الفقر وخيرات الأرض؟ هل من صحيح في هذه الصورة التجديفية التي تجعل من المسيح واجهة تضعها الرأسمالية العديمة الشفقة امام العمال؟ وان كان العمّال غير محقين فهل هم محقّون اولئك الذين ينظرون بلامبالاة حالة ملايين العمّال اللاإنسانية ويظنون انه بالإمكان الغرق في البذخ والإسهاب في الكلام عن الدين المسيحي، بينما قريبنا يضنى ويموت في اوكارٍ لا هواءَ فيها ؟. . من المصيب البولشفية ام الرأسمالية؟ مع من يقف المسيح: امع الذين يريدون بجشع وحشي افتراس كل شيء او مع الذين بثورة وحشية يريدون سلب الآخرين كل شيء؟ هذا ما تكلمتُ عنه الأحد الماضي ولكنني قلت انني سأتكلم عن هذا الموضوع اليوم ايضاً وسأتوسع في الأفكار التي عرضتها قبلا. إن لهذه القضية اهميتها الحيوية والحاسمة بالنسبة للمجتمع البشري الحاضر، حتى اننا لا نمل من الكلام عنها. ان البؤس الحالي هو هكذا مخيف حتى ليمنعنا من الغضب عندما نسمع جمع البؤساء يطلق تشكيات لا مبرر لها.

غالبًا ما نسمع من فم الفقراء هذا التشكي المرّ: «الكنيسة مع الأغنياء، اين اهتمامها بالفقراء؟ فلو كانت تهتم بالفقراء لما نظرت بؤسنا دون ان تنبث ببنت شفة. . . ».

ليس من قضية اهم واصعب على الواعظ المسيحي من هذه القضية. لنتعمق اذن في بحث هذه القضية التي اثرتها الاحد الماضي: ١ ـ **ما رأي المسيح بالغنى. ٢ ـ ما رأي المسيحية بالغنى و٣ ـ ما رأي المسيحية بالنظام الاقتصادي العالمي الحاضر.**

١

ما رأي المسيح بالغنى؟

لنرَ اذن ما رأي المسيح بالغنى. اصحيح ان المسيح ـ كما يظن البعض ـ يشجب الغنى ويرمي بالأغنياء في جهنم؟

أ) لنعطي جواباً يلزمنا ان نرى جلياً **ما هو الغنى، ما الثروة، من هو الغني؟** ما كان ضرورياً للعيش ليس غنى، بل وسيلة ضرورية للحياة. الغنى يبدأ عندما نكدِّس الأموال لأجل ذاتها ـ كغاية قصوى ـ اذن الغنى هو ما كان غير ضروري للعيش وفق متطلبات الحال.

ان كنت اربح مالاً يجب ان اصرفه لكي اعيش فليس ذلك بالغنى. اذاً لا يمكننا ان نسمّي غنياً سوى الإنسان الذي يعيش في بحبوحة دون ان يضطرّه العمل لتأمين عيشه.

وتأمين العيش لا يعني فقط الأكل واللبس الضروريين بل كل ما يتضمنه مفهوم حياةٍ «انسانية». لست انساناً لمجرد انني آكل خبزاً بل لأن لي حياة فكرية وحاجات حضرية.

ب) مع ذلك نسأل: ما رأي المسيح بالغنى؟ في المرة الماضية فتشنا عن الجواب في قصة الشاب الغني وكلمات عظة الجبل. اليوم افتش عن الجواب في مثل **الغني الشرير ولعازار الفقير** (لو ١٤/١٩ ـ٣١).

كسباً للوقت لن اروِ المثل لانكم تعرفون جيداً قصة ذلك الغني العديم الشفقة الذي لم يتكرم حتى بالفضلات على لعازار الفقير فحُكم عليه بسبب ذلك بالهلاك بعد موته.

أ) لنلاحظْ جيداً، ايهـا الأخوة، ان الغني هلك **ليس لإنـه غني** بل **لأنه قاسي القلب**. ان يكون الغنى خطيئة والملكية الخـاصة ظلماً وخطفاً فهـذا ما لم يقـله الرب لا في هـذا المثل ولا في اي مـكان آخـر. كـان بـجـانب الـرسل الصيـادين والفـقـراء تلاميذٌ اثرياء: مـرتا ومـريم، لعـازار، يوسف الرامي، نيـقوديموس، سـمعان الفـريسي الخ... فلو شـجب المسيح كل غنى لما قـبل بالتأكيد دعوة تلاميذه الأثرياء ليأكل معهم.

ب) وان كان المسيح لم يشجبْ الأغنياء ولكنه حرّج في هذا المثل كما في غيـره على اخطار الغنى، كمـا بينت سابقاً، مثلاً عندما قـال: «انه لأصعب على الجـمل ان يدخل خـرم الإبرة من ان يـدخل غني ملكـوت السـمـاوات» (متى١٩/٢٣).

هناك بالأخص صيحةٌ اطلقها الرب يمكن بـسهولة تفسيرها خطأً وفي الواقع أُسيءَ فهـمُها غـالباً. كذلك صـيـحة اخـرى فهمـها اكـثر الناس خطأً. لقـد قال ذات يوم: «الويل لكم ايهـا الأغنياء!» (لو ٦/٢٤) وقال في مـكان آخر: «طوبى للمساكين!» الكلمات الأولى تهديد مخيف ورهيب، الثانية تأكيد لا يصدق.

هل اراد المخلص ان يشجب كل الأغنيـاء ويطوّب كل الفقراء؟ ان ذلك من جهة، قساوة لا تدرك ومن جهة اخـرى مِثلُ هذا التعليم يجعل التقدم البشري مستحيلاً، كـذلك الحياة الإجـتماعيـة. في الواقع من تراه يشتغل ان كـان ما يكسبه ليس له؟ من تراه يقتصد ان كان ما يوفره اليوم لن يفيده في شيخوخته؟ ماذا يحل بالمجتمع بدون الملكية الخاصة؟

ولكن الأمر ليس كمـا نظن اطلاقاً. لا يمكن ان يتّخذ المسيح موقـفاً معادياً للملكيـة الخاصة. لقـد قال: «الويل لكم ايهـا الأغنياء!» ولكن ماذا يعني بكلمة

«اغنياء» ؟ يعني اولئك الذين يرون في المال مضمون الحياة وغايتها، الذين يظنّون ان اموالهم الأرضية تستطيع ان تشبع رغبات الروح كذلك، الذين يستبدُّ بهم الجوع والعطش الى المال الذي هو هادسهم الوحيد وغايتهم القصوى والههم. ومن هم «الفقراء» الذين طوبهم المسيح؟ هم الذين لا تُشبع نفوسهم الخيرات الأرضية، الذين يحتفظون بحريتهم امام ملذات العالم وافراحه، فيتأوهون ويجدّون كي يُدخلوا في حياتهم قيمةً حقيقية، الذين يشعرون في داخلهم بجوع وعطش الى الحق.

اذن عندما يتكلم المسيح عن «فقراء» و«اغنياء» «مشبعين» و«جياع» «ودعاء» و«مسجّسين» لا يفكر فقط بخيرات الأرض وانشغالاتها بل بخيرات الأبدية خاصة وبالشغل المُتمم لإكتسابها والذي يعطي حياة الأرض مفهومها اللائق بها. من فكّر هكذا لا يلقي على الإنجيل تهمة التبشير بقَدَرية عاجزة وخنق الفرح في نفس الإنسان العامل بصيحات الويل في فم المسيح.

ج) وان نحن تعمّقنا في بحث كلام يسوع عن الغنى الأرضي نجده يختلف تماماً عن مفهوم العالم. العالم ينحني امام الأثرياء ويتملّقُهم ويخضع ساجداً لهم. اما بالنسبة للمسيح **فالغنى لا يعطي احداً اي امتياز امام الله. هو بالحري عبء ومصدر خطر كبير**. ان الثروة الطائلة تتعلق فعلاً بنفس الغني كالسرع البري (عربيش) الذي يلتف على جزع شجرة الغاب ويمتصّ ماويتها وييبسها، كذلك الثروة الطائلة تخنق في النفس كل طموحاتها نحو الإرتفاع، وعندما يجيل الغني نظره على كنوزه تفلت من شفتيه كلمات الإنشراح المتعالي: «يا نفسي ان لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين عديدة فاستريحي وكلي واشربي والتذي» (لو ١٢/١٩) لمثل هؤلاء وجه المسيح كلماته الرهيبة ولهم قال: كم يصعب على هؤلاء دخول ملكوت السماء.

ولكن هل ينتج من ذلك ان الفقراء يدخلون ملكوت السماء لأنهم فقراء ليس الاّ؟قد يجيب احدهم بالايجاب لأن المسيح قال: «طوبى للفقراء». ولكنه لم يقله بهذا المعنى. لقد قال: «طوبى للمساكين بالروح». وهذا لا يعني طوبى للأغبياء والجهال بل طوبى للذين - اغنياء ام فقراء - **لا يتعلق قلبهم بخيرات الأرض**، الذين لا تلتصق عيونهم ورغباتهم وجهودهم بالمال فقط، بالمال دائماً، الذين - أكانت طريق غربتهم سهلة ام وعرة - لا يشيحون بابصارهم عن غايتهم الأبدية.

امام الله لا قيمة للغني اكثر من الفقير- وهذه تعزية كبرى؛ ولكن هل ينتج من ذلك ان الفقير افضل حظًا من الغني؟ باستطاعتنا الجواب بالإيجاب لأن حالته لا تعرّضه لخطر الغنى المضر بالنفس وبهذا المعنى قال المخلص: «طوبى للمساكين لأن لهم ملكوت الله» (لو ٦/ ٢٠).

اذا سألنا الآن هل شجب المسيح كل الأغنياء فالجواب سهل. المسيح لم يهاجم حق الملكية ولم يشجب روح الإقتصاد الذي يأخذ المستقبل بعين الإعتبار ولا تحصيل الغنى بايدٍ نظيفة. لا يشجب جميع الأغنياء، بل فقط... فقط من كانت **يده يابسة**.

من هو الغني اليابس اليد؟ هو الذي تتكدس حوله الأموال ولا يدري ماذا يعمل بها. هو يابس اليد الذي لا يسعى بثروته الا لاهداف زمنية، وخيرات يفصله عنها الموت. هي يابسة اليد التي لا تعمل الاّ للموت، للقبر. المسيح ينتفض فعلاً ضد **هكذا غنى وهكذا حياة**، لأنه يريد ان يُخرج من هذه الكنوز الأرضية قيماً ابدية وان يلقي في كل اعمالنا بذاراً ينبت في حياة الأبد.

ماذا يطلب المسيح اذن من الغنى؟ ان لا يتعلّق قلبنا بالمال فيصيرَ إلهنا ونصبح مغرورين بذاتنا ومتعجرفين - هذا اولاً. ثانياً ان نصنع بما لنا كلَّ الخير الممكن صنعه.

٢

ما رأي المسيحية بالغنى؟

يلزمني هنا ان اجيب على هذا السؤال. هل بقيت المسيحية امينة دائماً لتعليم المسيح هذا؟ لا مشاحة ان الجواب بالإيجاب.

أ) ولكن هذه الأمانة جرّتها الى حرب ضروس **ضد الأنانية والطمع والشر في قلب الإنسان**. كان الإنسان دائماً انانياً وجشعاً ولا يزال كذلك حتى يومنا هذا ـ ولكن لا يحق القاءُ اللّوم على المسيحية التي سعت طوال عشرين جيلاً الى تلطيف هذه الأنانية على قدر الأمكان. ان التفاوت الحالي في توزيع الثروات وقساوة قلب عددٍ من الأثرياء هما بعيدان كل البعد عن مفهوم المسيحية ولا يمكن القاء اللوم على الدين المسيحي الذي كان يشير دائماً بشجاعة الى هذا الجرح البليغ. على كل الميسورين مادياً ان يساعدوا الفقراء. هذا ما علّمناه المسيح في مثل السامري الرحيم ولكن الصدقة ليست جوهر الدين المسيحي. الجوهر هو العمل، من لا يشتغل لا يطعم ـ صحيح ان الكسول يموت جوعاً، ولكننا من ناحية أخرى **لا نستطيع ان نتكلم عن ملكوت المسيح في هذه الأرض ما دام هناك انسان واحد يريد العمل بإخلاص فلا يجد له عملاً ويضطر قسراً الى الموت جوعاً**.

ب) لا تقولوا ان هذا تحريضٌ وكلامٌ قاس جداً. كلامٌ قاس جداً؟ لا. المسيحية تكلّمت هكذا دائماً. كان عندما دائماً الجرأة لكي تتكلم هكذا.

أ) اسمعوا فقط ما يقوله القديس بولس لتلميذه تيموتاوس اسقف افسس: «**اوصِ اغنياء هذا العالم**» (١ تيمو ٦/١٧). هذا كلام قوي نوعاً.

«**اوصِ الأغنياء**» كما لو كانوا معتادين الطاعة! الجميع ينحنون امامهم ، امام المال تفتح كل ابواب اللذة والسلطة والإكرام ، ـ اما انت يا خادم الله فأمرهم .

وبماذا يأمرهم؟ «**بالا يستعلوا والا يتكلوا على المال الذي لا اتكال عليه**» من المؤكد ان ذلك لم يكن سهلاً في تلك الأيام التي كان المال فيها محفوظاً جيداً بيد الآباء لتأمين مصير الأولاد . واليوم؟ اليوم يظهر انه أسهل على الغني ان لا يعتمد على المال ، لأن كلمات الرسول تتحقق حاليًا يومًا بعد يوم: «لا تتكلوا على المال الذي لا اتكال عليه» . يكفي اليوم ان تحدث كارثة مصرفية ، سقوط في البورصة والنقد ، برقٌ في سماءٍ صافية والذي كان بالأمس غنياً جداً قد يصير اليوم مستجديًا خبزه .

قام مؤخراً بعض اصحاب الملايين من الأميركيين بنزهة بحرية عبر الاطلنطيق وكانوا يمرحون ويهزجون ويرقصون كما هي العادة على مثل هذه البواخر الفخمة وكانوا يستمعون الى الإذاعة عندما توقفت فجأة لتبثّهم هذا النبأ:«هبوطٌ هائل في بورصة نيويورك» . امتقع لون هؤلاء المتمولين الذين كانوا يهزجون لبرهة خلت وتوقف قلبهم عن الخفقان واضمحلّت كل افراحهم . . . عندما صعدوا الى الباخرة كانوا من أصحاب الملايين ، الآن ينزلون منها صفر اليدين ، لقد تبخّرت كل ثروتهم . . . «**اوصِ اغنياء هذا العالم الا يتّكلوا على المال الذي لا اتكال عليه**» .

ولكن وصية الرسول تضيف كذلك . . . **وليصنعوا الخير ويكونوا اغنياء بالأعمال الصالحة وسرعين الى العطاء**. ما الذي يجعل الإنسان في الواقع شبيهاً بالله الكريم والشفوق؟ فقط الإقتداء بكرمه .

هذا هو كلام القديس بولس القاسي. فهل كان القديس بولس بسبب ذلك شيوعياً ؟ كلا ، اطلاقاً. لم يشجب الملكية الخاصة حتى ولا الغنى

والثروة، بل الربى الفاحش الذي لا يرحم و«الإنسان الراكض وراء المال» (١تيمو ٦/٩) و أستعمال الغنى إستعمالاً فاجراً .

ب) هل بقيت المسيحية امينة لتعليم المسيح؟ اسمعوا فقط كلمات **القديس يوحنا فم الذهب** القاسية جداً التي بها خاطب الأثرياء منذ حوالي خمسة عشر جيلاً . كلمات لا احد يستطيع فهمها مثل انسان اليوم .

اليكم ما يقوله للأثرياء الخالين من الرحمة: «انتم تتنعّمون والمسيح لم يأكل الضروري لحياته، انتم تأكلون الحلويات اللذيذة وهولم يشبع خبزاً يابساً، انتم تشربون خمور الطاروس فلا تعطونه في عطشه كأس ماءٍ بارد، انتم ترقدون على اسرة ناعمة واغطية مزركشة الألوان وهو يموت برداً. . . ولا اوجه كلامي للذين يَدعُون الى ولائمهم نسوة الفجور (لا اتكلم مع هؤلاء لأنني لم اعتد الكلام مع الكلاب) ولا الى الذين كسبوا مالهم ظلماً ويملأُون بطون الغرباء (اعني المتملقين) لأن لا علاقة لي بهم كما لا علاقة لي بالخنازير والذئاب؛ اوجّه كلامي الى الذين ينعمون بثرواتهم دون ان يُشركوا بها الآخرين ويحتفظون لنفوسهم بميراث الآب، هؤلاء يقترفون خطيئة. . . هل يرعبكم كلامي؟ ارتعدوا بالحري بسبب اعمالكم». (شرح في انجيل متى العظة ٤٨/٧٨، ٧٩).

ج) هل بقيت الكنيسة امينة لتعليم المسيح؟ اقرأوا فقط الرسالة الرعوية الشجاعة التي نشرها **اساقفة المجر في ١٤ تشرين الأول سنة ١٩٣١** حول هذا الموضوع. وسأقرأ لكم منها هذا المقطع:

«**لقد اعطى الله خيرات هذه الأرض لكل الناس لاستخدامها لا لعبادتها**. والأكيد ان الانسان لا يقوم بواجبه بل يسير نحو الهلاك عندما،

بدلاً من خدمة اللّٰه واستخدام خيراته المخلوقة لتنفيذ مخططاته الإلهية، يصنع من الخلائق اصناماً يفتش فيها عن السعادة بدلاً من الله. ان الأمم تصنع اليوم ايضاً صنماً من ذهب وتعبد مال هذه الدنيا وتُخضع له حياتها، كما لو كان هدف وجودها الأخير. انهم يستوجبون العقاب لأنهم لا يطلبون سعادة هذه الدنيا في تتميم ارادة اللّٰه بل يعيشون بالقلق لأنهم متعبدون لصور خادعة، ويحسدون بعضهم بسبب اصنام قلوبهم فلا يستطيعون ان يعيشوا كأخوة لأنهم لا يعرفون كيف يتفاهمون واقل من ذلك ان يفهموا معنى الظلم.

لقد اعطى اللّٰه خيراتِ هذه الأرض للجميع دون تفرقة ولم يخلق اغنياء وفقراء بل اناساً فقط، لهم اعطيت خيرات اللّٰه دون تفرقة، وقد اختصرها اللّٰه بعد خلق الإنسان بهذه الكلمات« املأوا الأرض واخضعوها» (تك ١/٢٨). حسب شريعة الآب السماوي هذه يحق لكل انسان حصته من خيرات هذه الأرض تأميناً لعيشه، ويتعدّى شريعةَ اللّٰه المقدسة كلٌّ من بروح الجشع يُبعد قريبه عن التمتع بالخيرات التي خصصته بها العناية الإلهية. ان القاعدة الوحيدة لإزدهار الإنسان هي استحقاقه كما يقول الرسول «من لا يشتغل لا يطعم» (٢ تيمو ٣/٨ ـ ١٠) ولكن الذي يريد ان يشتغل وان لا يقضي وقته بالكسل والبطالة بل يحفظ النظام الذي وضعه اللّٰه كسنة للبشر، اعني ان يأكل خبزه بعرق جبينه، ويطالب بحقه في نظام اقتصادي ناقص يفضل الأنانية الفردية على ارادة اللّٰه، لا يجوز لنا ان ننكر عليه حقه ظلماً. وعندما نرى الألوف بل الملايين يمدّون ايديهم الى الرغيف عبثاً كما يقول النبي بهذه الكلمات المرة: «هناك من يطلبون الخبز ولا احد يمكنهم منه» (سفر الجامعة٤/٤) نرانا مجبرين على تذكير الأغنياء بواجبهم: **اعطاء العمل والخبز سُنّة الهية**، فاذا انتفى من نفوس الأثرياء روح الإنسانية وخوف اللّٰه عندها يتوجب على الدولة

اتخاذُ التدابيرَ وسنُّ الشرائعَ التي يكون من نتيجتها اعطاء العمل لمن يريد العمل والخبز للجائعين».

يا لها من كلمات صادقة، حكيمة وشجاعة!

ج) اذن لنطرح السؤال الآن: ما رأي المسيحية بخيرات هذه الدنيا؟ **هل تريد مؤمنين اثرياء ام فقراء امثال لعازار؟**

لا هذا ولا ذاك، لأنها ترى في كل منهما خطراً على خلاص النفس. ان الغني الذي يعيش في بحبوحة يتصور بسهولة انه ليس بحاجة الى احد حتى ولا إلى الله سبحانه. ويتوصل الى ان يعيش كما لو كان وحده في هذا العالم.

قال المخلص في مثل الزارع ان الزرع، اعني كلمة الله، قد خنقه «الغنى وملذات الحياة» (لو ٤/١٤).

ولكن البؤس من ناحية اخرى خطرٌ على النفس ايضاً. البؤس المادي هو رفيق الخطيئة الرهيب، لا يمكن ان نصلي بمعدة فارغة. الجسد الذي يئن في الوحل يحمل بصعوبة نفساً نظيفة. لا يستطيع ان يحيا **حياة مسيحية** من لا يستطيع، بسبب البؤس الرهيب ان يعيش حياة انسانية. لنكون مسيحيين يلزم اولاً ان نكون بشراً. كيف ننتظر ممن لا يستطيع بسبب الفقر ان يعيش كإنسان ان يكون اكثر، ان يكون مسيحياً؟

اذا كانت الرأسمالية الجشعة ليست مثالنا ولا طبقة البائسين الكادحين هدفنا، فما هو مثالنا اذن؟

هو ما عبّر عنه الكاتب الملهم في العهد القديم عندما توجه الى الله بهذه الصلاة: «لا تعطني لا الفقر ولا الغنى، اعطني فقط ما كان ضرورياً

لمعيشتي» (امثال ٣٠/٨) وقد عبّر عن ذلك القديس بولس عندما كتب: «من المعلوم اننا لم نأتِ الى الدنيا بشيء، وكذلك لن نخرج منها بشيء فاذا كان لنا القوت والكسوة فلنكتفِ بهما. اما الذين يرومون الغنى فيسقطون في التجربة وفي فخ الشيطان وفي شهوات كثيرة سفيهة مضرة تغرق الناس في العطب والهلاك» (١ تيمو ٦/ ٧ - ٩).

وهنا نصل الى السؤال الثالث في عظة اليوم.

٣

ما رأي المسيحية بالنظام الاقتصادي الحالي؟

أ) العالم يستميت في حرب حياة او موت بين الرأسمالية والبولشفية والى اي منهما انتمى فانه يسعى الى هلاكه. **الحل نجده عند المسيح فقط**. هو الذي اعطى المثل الشهير عن الغني الشرير ولعازار الفقير والذي يفيدنا انه سيكون في العالم دائماً فقراء ولكن الويل للأغنياء الذين يبخلون ولا يرحمون وكانوا من الظالمين.

المسيح يتكلم عن الهلاك الأبدي الذي ينتظر الأثرياء فاقدي الشعور، لأنه العقاب الأكبر للخطيئة، ولكن الرعب الحالي العام يرسم منذ الآن **خوف العقاب على الوجوه**. هل كنا نرتجف امام البولشفية التي تكنس كل شيء فتغرق في بحر من الدماء الأبرياء والمذنبين، لو كان عند الناس ما يكفي من الشجاعة لوضع افكار الإنجيل الإجتماعية موضع العمل؟

ب) نحن لا ننفي فقط بل ننادي ايضاً على رؤوس الاشهاد ان التوزيع الحالي للثروة والفقر لا يتفق دائماً والأفكار المعلنة في الدين المسيحي.

آه، ليس صحيحاً كاريكاتور موسكو التجديفي الذي يجعل من المسيح واجهة يختبئ وراءها المستغلون الذين لا يرحمون.

لا يمكن ان يكون مثال المسيحية النظام الإجتماعي والإقتصادي الذي تلمع قمته بشمس الرفاهية كقمة اهرام مصر عند بزوغ الشمس، بينما تغرق قاعدته بدموع ملايين الناس واعراقهم ودمائهم. ان عدالة وضرورة الملكية الخاصة تقرّ بها الفكرة المسيحية ولكن كلمات المسيح تحذرنا في الوقت نفسه من مغبّات الخطر الرهيب في الرأسمالية الفاسدة «لا أحد يستطيع ان يخدم ربين... لا يمكنكم ان تعبدوا الله والمال» (متى ٦/٢٤).

من يعبد المال؟ من هو الإله «ممّون» الذي يجب الحذر منه كخطر رهيب؟ هو المجهود الوحشي الذي لا يرى في كل زمان ومكان سوى المال والربح؛ الذي ينقضّ على المال دائماً وفي كل مكان، الذي لا يرى قداسة ولا اخلاقاً ولا استقامة ولا رحمة ولا دموعاً ولا ضيقاً ولا جودة ولا مصلحة عامة ولا اعتباراً انسانياً... ولا شيء في هذا العالم سوى المال والمال فقط. اجل ليس في ذلك اي اثر للدين المسيحي.

في مقبرة الكلاب في باريس (Asnières) من المدافن ما يكفي ثمنها لإعالة عشرين عيلة فقيرة، ولا يمكن للفكرة المسيحية ان تقبل ذلك ابداً. فيما يعاني الوف الناس في باريس وضواحيها من البرد والجوع نرى مدافن الكلاب تزدان بالزهور البليلة التي يكفي ثمنها لإشباع خمسين رجلاً يصطكّون من البرد. هذا لا يتفق ابداً والمحبة المسيحية. نستطيع ان نقرأ على مدفن كلبة هذه

الكلمات: «آه، يا «سافو» صديقتي النبيلة والأمينة ان كانت روحي لا ترافق روحك في العالم المجهول فلا حاجة بي الى السماء». اظن ان مثل هذا الإنسان لا حاجة به الى الخوف من دخول السماء.

* *
*

كان علي ايها الإخوة، ان اقول لكم اليوم حقائق مرّة ولكنها ليست لي. انها كلمات القديس بولس ويوحنا فم الذهب ومجلس اساقفة المجر، كلمات لاوون الثالث عشر وبيوس الحادي عشر ويمكنني ان اختصر كل افكار عظة اليوم في واقعين يعلّمانا باكثر بلاغة من كل كلام ما هو الحل الذي ينتظر هذه المعضلة الخانقة بدون المسيح ومع المسيح.

بدون المسيح؟

انظروا التبذير الأحمق عند الأثرياء من علية القوم. بينما نرى عالمنا اليوم يضجّ بالاطفال والرجال الذين يعذبهم الصقيع، نجد بيننا اناساً ينظّمون ـ كما قرأت في مقال عن سان فرنسيسكو ـ مآدب تكلّف الف دولار عن الشخص الواحد في احد الفنادق. بينما نرى في اوروبا واميركا ملايين الناس عاطلين عن العمل، يعذّبهم الجوع، نجد غيرهم من الناس يسمح لهم ضميرهم بأكل اصناف اولها يشبه قصراً مبنياً باقراص الكافيار وفطائر الكبد، تسيل في جنباته العميقة افضل انواع الوسكي، اما الصنف الأخير فهو كناية عن قرية سويسرية مصنوعة بأشهى انواع الحلوى ومن عين القرية تسيل ساقية من الشامبانيا... هذا هو حل المعضلة الإجتماعية بدون المسيح.

ومع المسيح؟

احتفلنا مؤخراً بمرور سبعمائة سنة على وفاة قديسة احبت القريب هي **القديسة اليصابات المجرية**. هي ايضاً كانت ثرية وكان بامكانها ان تجلس الى مائدة تكلف الف دولار. كانت هي ايضاً تملك قصراً تستطيع من فوقه رؤية سير العالم براحة بال مثل هؤلاء الأميركيين اصحاب الملايين؛ ولكن هل تعلمون بماذا اختلفت عنهم؟ انها كانت للمسيح وحملت تعليم المسيح على محمل الجدّ ولكنها لم تصنع ولائم تكلف الف دولار لتستطيع مساعدة الفقراء اكثر فأكثر. لم تكتفِ بذلك بل نزلت بملء حريتها من قصر وارتبرغ (wartburg) الى وادي الألم العميق والإماتة والإتضاع كي ترتفع بعد ذلك في أجواء محبة الله والقريب وهكذا توصلت الى حل المشكلة الإجتماعية في ايامها منتصرة بوداعة وهدؤ لمحبة المسيح والعدالة.

ايها الرب يسوع ان حرباً ضروساً تدور رحاها الآن بشأن المعضلة الإجتماعية التي لا حل لها. خذ بيدنا الضعيفة واهدِ عالمنا الثائر الى ملكوت السلام والسعادة عن طريق حفظ وصاياك. آمين.

في خطى المسيح

(١)

إخوتي ،

كـان في متـحف الفنون الجـميلة في سـان بطرسبـرغ لوحـة بديعـة للفنان الروسي«نيتروف» (Neterow) عنوانها «روسيا المقدسة» . اللوحة تغطي جداراً بكامله . في اللوحـة منظر روسي نمـوذجي : هضاب وسـواقي ودروب تضـيع في البـعيـد وعلى جنبـات الطرقـات اشجـار الصـفصـاف وهنا وهناك اكـواخ القرويين مع الكنيسة وبرجها . . . وفي كل مكان عدد كبير من الناس .

في الخط الأول نرى الكنيسة مفتوحة على مصراعيها والمسيح يقف بمعطفه الأبيض على العتبـة وعيناه تعـانقان هذا الجـمع الغفيـر الآتي اليه . قـسم وصل وهو يسجد امامه ، الآخرون يرفعون نحوه ايديهم وعلى وجوههم نور سعادة سماوية يـعـطيها المخلص لمن يتبـعونه . . . من هذه اللوحة تنبعث جـاذبية هكذا قوية حـتى ان زوار المتحف كـانوا يقضـون سـاعـات طويلة يتأملـون بصمت هذه اللوحة .

ماذا قلــت منذ لحظة ، ايها الإخوة؟ «كانت تبدو على وجوه هؤلاء الناس ســعـادة سماوية يعطيـها المخلص لمن يتـبعـونه » ليس ذلك ما وعد بـه ! لم يعد تلامـــيـذه بالسـعـادة ، وعـدهم بـ « الصليـب »: «من يريد ان يتـبـعني فليكفـر بنفسه ويحـمل صليبه ويلحقني» (لو ٩ / ٢٣) . هذا مـا قاله الرب وانني اكرر ايضاً واؤكد من جـديد ان السعادة قـوامها الاقـتداء الشاق بالمسـيح لدرجة ان اتبـاع المسـيح يوفّر سـعادة حـقيـقية كـبرى . ماذا يعني اتـباع المسيح ، لماذا

وكيف يجب ان نتبع المسيح وكيف نصير سعداء حقاً في اتباعنا المسيح - هذه هي الأسئلة التي ستشغلنا في العظات الثلاث القادمة. اليوم نبحث في السؤال الأول.

لماذا يجب ان نتبع المسيح؟

أ) عندما نلاحظ الكفاح البطولي الذي تقوم به **البشرية لإكتساح العالم ونشر المدنية** نتحقق من هذا الأمر المدهش انه وراء التضحيات والمحاولات الباطلة والتي لا طائل تحتها في الظاهر، نكتشف توقانا عميقاً في النفس البشرية.

لماذا قام نوبيلي (Nobile) برحلته الى القطب الشمالي التي كلفته كل تلك الضحايا؟ لماذا يريدون الطيران دون توقف من باريس الى طوكيو؟ لماذا ناطحات السحاب في نيويورك ذات الخمسين طابقاً ليست عالية بما فيه الكفاية؟ لماذا يريدون ان يبنوا اليوم سبعين وحتى ثمانين طابقاً؟ [1] لماذا يصنعون اليوم محركات اقوى وماكينات ادهش؟ لماذ يريدون الطيران دائماً اعلى فأعلى والغوص في البحار اعمق فأعمق؟ لماذا هذا الفوران الدائم: اكثر فأكثر، اعلى فاعلى، اسرع فاسرع، اكبر فأكبر. بيان ان الدافع لذلك هو الخبز اليومي، الكفاح من اجل العيش واثبات الذات.

ولكن ذلك ليس السبب الوحيد.

التفسير الأخير هو **قلق النفس البشرية التي خرجت من الله**. هذا ما عبر عنه القديس بولس بهذه الكلمات. «ما دمنا في هذا الجسد فنحن متغرّبون عن الله» (٢ كور ٥/٦) هذا عنوان الكتاب الشيق «القلق الى الله» الذي جاءنا به مؤلفه الكبير «فيركاد» الذي ارتد من البروتسطانتية الى الكثلكة. هو هذا

(١) بنوا مؤخراً في نيويورك برجين يحتوي كل منهما على مائة وعشر طوابق.

القلق الذي يكسر باب السجن الحديدي الذي تحبسنا فيه المادة. نحن على هذه الأرض كالعصفور في القفص. الا تلاحظون كيف ان العصافير عندما لا تستطيع الإفلات من القفص تقف على قضبانه العلوية؛ لأنهم لم يولدوا ليكونوا في قفص. نحن على وجه الأرض نشبه اناساً غرقى رمتهم العاصفة في عرض البحر؛ ولكن عيوننا تنظر ابداً الى البعيد حيث وطننا الحقيقي.

ب) وها هو المسيح ينتصب امامنا ويَعد بتحطيم قيود المادة الضيقة للذين يتبعونه. اتباع المسيح هو المحرك الأقوى. اتباع المسيح هو العلو الأعلى. اتباع المسيح هو العمق الأعمق.

في الواقع، المسيح لا يحتاج الى تلاميذ يعجبون بكلامه ولا الى مستمعين يصفّقون له، **المسيح بحاجة الى من يتبعه ويمشي في خطاه، ويسير وراءه على درب الصليب الوعرة، الشاقة والمدممة والتي تنتظرنا في نهايتها سعادة النفس التي وجدت في الله راحتها.**

ان المغزى الأعمق والمعنى الأسمى لكل حياة المسيح: ولادته، آلامه وموته هو اننا به نستطيع ان نتجدد ونتغير كلياً. لنسمع فقط كلمات القديس بولس هذه: «من كان في المسيح فهو خليقة جديدة، الأشياء القديمة مضت وكل شيء صار جديداً. هذا كله من اللّه الذي صالحنا بالمسيح» (٢كور٥/١٧-١٨).

في المسيح نولد لحياة جديدة

ما هو قوام هذه الحياة الجديدة؟ هو ان نحيا متحدين صميماً بالمسيح. «ان نتحد بالمسيح» (روم ٦/٥) «ان نعيش في المسيح» (كولو٢/٦) «ان نثبت في المسيح» (فيل ٤/٢) وبكلام آخر«ان **نتبع المسيح**» «لقد صلبت مع المسيح وان كنت انا الآن حيا فلست انا الحي بل المسيح هو الحي في» (غلا ٢/٢٠).

اكثر كلمات سيدنا يسوع المسيح دلالة تلك التي يقول فيها عن نفسه: «انا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف»(يو ١٠/١١).

تأثرت المسيحية عميقاً بهذا التشبيه فرسمته في لوحات ورسوم عدة ولعل اقدم تمثال للمسيح هو تمثال «الراعي الصالح». من المؤكد انكم جميعاً رأيتم هذه الصورة المفعمة عزاءً: المسيح يرعى نعاجاً كثيرة ولكن واحدة علقت بين الأشواك والمسيح ينحني فينتشلها ويحمل على منكبيه النعجة الضعيفة العاجزة عن السير.

يا لها من صورة معزية! كم من نفوس بكت امامها على خطاياها. ايها الرب انا ابنك العقوق الذي يئنّ بين الأشواك، انتشلني اليك فأصير من جديد نعجتك الطاهرة الأمينة واتبعك من جديد.

ج) منهم من يقلقون باطلاً اذ يظنّون ان اتباع المسيح يبعد النفس عن الله.

الله ونفسي، - هما قطبا الدين المسيحي. يجب ان تغتذي نفسي بالله في هذه الحياة كي تستطيع ان تجده في حياة الأبد. الله ونفسي. لا يضعن احد حاجزاً بين هذين الكيانين. قد يسأل اكثر من واحد: «اليس المسيح حاجزاً بيني وبين الله»؟

الا يشكل عائقاً اننا نحن المسيحيين نفكر بالمسيح عندما نتكلّم عن الله؟

كلا اطلاقاً. اولاً لأننا نعرف جيداً ان المسيح هو إله حقاً، هو الاقنوم الثاني من الثالوث الأقدس واذا كنا نتجه اليه غالباً فلانه الله الذي صار جسداً، الإله المنظور الذي حل فينا. ولكن الديانة الكاثوليكية تعتني بدقة متناهية كي لا تصبح صورة المسيح المنظورة والزمينة حاجزاً بين الله والنفس

فلا تتوقف عند المسيح فقط بل تصلي للآب السماوي بواسطته اذ تضيف في نهاية كل صلواتها: «بواسطة ربنا يسوع المسيح ابنك الذي يحيا معك باتحاد الروح القدس الى الأبد!»

آه، لا يتشككنَّ احدٌ من اتباعنا المسيح وثقتنا به في سعينا الى اللّٰه وتوقنا اليه.

المسيح سبق واعطانا المثل في كل شيء. لقد عاش حياته كلها على هذه الارض في حقبة معينة من الزمن. فكانت حياته كلها صلاة واحدة لإتمام ارادة الآب السماوي القدوسة، لم يخرج لحظة واحدة طوال حياته على هذه الإرادة المقدسة؛ حتى في ساعة موته لم يصلّ لأجل نفسه بل لأجل الآخرين. كرّس حياته من بعد محبة اللّٰه لمحبة القريب، للوداعة، للغفران، للشفقة والمساعدة... وهو الذي قال: «تعالوا الي» (متى ٩/٢٨). ولكن «من اراد ان يتبعني فيلكفر بنفسه ويحمل صليبه ويلحقني» (لو ٩/٢٣) لهذا السبب نتبع المسيح؛ لهذا السبب **يجب** ان نتبع المسيح.

والآن نصل الى السؤال الثاني: علينا ان نتبع المسيح؛ ولكن **كيف نتبع المسيح؟**

٢

كيف يجب ان نتبع المسيح؟

قيل للإسكندر يوماً ان احد جنوده أجبن امام العدو.

ـ ما اسمُك؟ سأل الإسكندر ذلك الجندي المرتعد من الخوف.

ـ اسكندر، اجاب الرجل.

ـ اسكندر؟ هل تعلم انه اسمي ايضاً؟ اذن غيّر اسمك او سلوكك.

اخوتي ، كم من الذين ، يستطيع المسيح ، توجيه اللوم اليهم بقوله: ماذا؟ هل انت مسيحي وتعيش مثل هذا العيش؟ غيّر اسمك او سلوكك .

المسيحية ليست اسماً فقط بل نهج حياة . اتباع المسيح لا يعني ان ندوّن اسمنا في سجل العماد ، بل **ان نجاهد في سبيل كمال نفوسنا .**

أ) يجب الاّ ننسى ان من اراد اتباع المسيح لن تكون طريقه سهلة . ان اتباع المسيح يعني كفاحاً مستمراً ضد اهواء الطبيعة البشرية المنحطّة والمائلة الى الشر . اتباع المسيح يعني سهراً دائماً ضد تجارب الجسد والعالم والنفس الخاطئة . اتباع المسيح يعني ان لا نشيح بانظارنا عنه وان نستمد من محيّاه القوة اللازمة للسهر الدائم . اتباع المسيح يعني ان نتمّم حرفياً تحذير المخلص الهام جداً: «اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة» (متى ٢٦/٤١) هذا ما قاله الرب ذات يوم . وقال في مناسبة اخرى «من وضع يده على المحراث والتفت الى الوراء لا يصلح لملكوت الله» (لو ٩/٦٢) .

يا لها من فكرة كلية البساطة ولكنها غنية بتعليم سام . الفلاح يحرث الأرض وعيناه تنظران دوماً الى الأمام كي تأتي الأثلام قويمة . اما اذا اكثر التلفت الى الوراء فستأتي اثلامه كثيرة الإعوجاج . ان مثل هذا الفلاح لا يستطيع العمل . وحده يستطيع العمل في كرم الرب من كانت عيناه ويداه ، عقله وارادته عاكفة على العمل المطلوب لخلاص نفسه . بعمل نصفه التفات الى الوراء ونصفه التفات الى الأمام ، اذ نخدم الله تارة والخطيئة طوراً ، لا احد يستطيع التقدم حقاً .

ب) ان تكون المسيحية فهمت جيداً واعلنت ان كل التضحيات ترخص في سبيل الحياة الأبدية فهذا ما قاله **القديس بولس** بمثل يفهمه انسان اليوم جيداً ، خاصة الشاب العصري محب الرياضة . الرسول يتكلم عن

المصارع الذي يثابر مدة طويلة على التمارين الرياضية ويحرم نفسه من امورٍ كثيرة ليدخل الحلبة آملاً بالنصر. اليكم ما يقوله في رسالته الأولى الى الكورنثيين: «اما تعلمون ان الذين يسابقون في الميدان، جميعهم يسابقون ولكن واحداً يفوز الغلبة، فسابقوا انتم حتى تفوزوا. وكل من يجاهد يضبط نفسه عن كل شيء. اما اولئك فلينالوا اكليلاً يفنى واما نحن فاكليلاً غير فان وانا اسابق لا عن ارتياب واصارع لا كمن يصارع الجو» (١ كور ٩/٢٤ - ٢٦).

حياة المسيحي اذن كما يقول القديس بولس سباق كبير. فان كان من يجاهدون في الميدان لا يتذمرون من التضحيات المفروضة عليهم اثناء التمارين، ولا من مجهود القوى الذي يجب ان يبذلوه في السباق لان ذلك شرط اساسي لنيل الظفر بالاكليل الذي هو مكافأتهم، فهل يحق لي التراجعُ خوفاً أمام الدرب الوعرة وراء المسيح حيث الجميع يحصلون على مكافأة تدوم بغير ذبول الى الأبد؟

٣

هل يعني اتباع المسيح ان نكفر بالعالم؟

هناك بصدد كلمات القديس بولس المار ذكرها قول سائد جداً وخاطىء يجب التعرض له. غالباً ما نسمعهم يقولون ان اتباع المسيح، اي العيش حياة مسيحية جدّية، يجعل الحياة كئيبة موحشة ومستكرهة: «الدين المسيحي يتنافى ولذة العيش. الدين المسيحي يجعل نظرتنا واجمة ومزاجنا لا يُحتمل، المسيحية تكفر بالحياة» والآن اطرح السؤال: ما هو الصحيح في هذه الانتقادات؟

أ) اولاً علينا الاقرار ان المسيحية ليس فيها كلمة تشجيع واحدة لحياة تقصر جهود الأنسان وطموحاته على هذه الأرض فقط. هذا صحيح. دين المسيح لا يحبذ هكذا حياة. هل تعلمون ما هي العواقب الوخيمة التي تنتج من أقوال كهذه: «لنأكل ونشرب ونتسلّ لأن هذا هدف الحياة». هل تعلمون النتيجة؟ النتيجة ان اكثر الناس لا يدركون هدف حياتهم. كل خليقة تدرك غايتها ما عدا الانسان الذي وحده يبقى غير مدرك غايته، لأنه لا في الرأسمالية ولا في الشيوعية ولا في أي نظام اجتماعي آخر؛ لا في القطب الشمالي ولا في خط الاستواء يمكن ان تقوم حياة الإنسان بالأكل والشرب واللّهو.

حياة كهذه لا تلاقي ترحيباً في ديانة المسيح.

ب) لأجل ذلك يفضل الدين المسيحي المفهوم الآخر للحياة الذي **وحده** يليق بالانسان. المسيح لا ينكر ان للأنسان جسداً أيضاً وبالتالي يعيش بالخبز، ولكنه قال: «ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل **كلمة** تخرج من فم الله» (متى ٤/٤). اعني بقدر ما تسمو الروح على الجسد بقدر ذلك يجب ان **نضع نصب أعيننا افضلية الروح** عندما نقيّم الحياة.

ان هدف الحياة الحقيقي هو الارتفاع الى حيث يشترك الانسان بحياة الله. وانا ابلغ هذا الارتفاع عندما تتفق ارادتي مع ارادة الله وعندما تتم فيَّ كلمات المسيح: «ان ملكوت الله في داخلكم» (لو ١٧/٢١).

«**لمَ حياة الانسان اذن**»؟ غالباً ما نسمع هذا السؤال المرير. من يعطينا الجواب الشافي؟ وحده الدين المسيحي. «لأن ملكوت الله ليس أكلاً وشرباً بل براً وقداسة وسلاماً وفرحاً بالروح القدس ومن يخدم المسيح هكذا فهو مرضيّ عند الله» (روم ١٤/١٧-١٨).

ج) المسيح لا يقول انه لا يحق للمسيحيين ان يهتموا بالعالم. بالعكس، عليهم ان يربحوا العالم. ولكن ربحهم العالم يجب الا يكون على حساب نفسهم. نحن نقرّ ان الطريق المؤدي الى المسيح وعر ولكننا نردف حالاً: **أتباع المسيح لا يعني الهرب من العالم**. وعر هو الطريق وراء المسيح. صحيح ان المسيح مات لأجلنا ودفع الثمن بدلاً عنا. ولكن الاشتراك باستحقاقات المسيح والاغتسال بدمه المطهّر يطلبان مني مشاركة ارادتي الحسنة. بدون المسيح، كل جهودي لا نتيجة لها؛ اما اذا انعدمت المشاركة فهو المسيح عندئذ من يكون قد عاش ومات لأجلي عبثًا. بدون النبع اموت عطشًا؛ اما اذا تدفق النبع غزيراً ولم انهل منه فانني اموت ايضًا من العطش.

هكذا افهم المجهود المطلوب مني لاتباع المسيح. الانسان بعد مجيء المسيح بقي انسانًا. بقيت في داخلنا، فينا نحن المسيحيين المفتدين الشهوات القديمة عينها. بقي الجوع والعطش وغريزة البقاء. بقيت الغرائز ومتطلباتها المتوحشة. فما معنى الفداء اذن؟ معناه ان هذه الامور بقيت فينا **ولكننا لم نعد لها مستعبدين دونما حول ولا قوة**؛ نستطيع اذا شئنا ـ ان نسيطر عليها بقوة المسيح.

هذا الكفاح من اجل السيطرة نسميه الاقتداء بالمسيح. في نهاية هذا الكفاح ينتظرنا «اكليل البر» (٢ تيمو ٤/٨).

من فهم هكذا فكرة المسيح عن التجرّد والاماتة واقر مع ايوب «ان حياة الانسان حرب على الأرض»مثل هذا الانسان لا يتهم الديانة المسيحية بانها عدوة الحياة الزمنية والانسان والجسد. كلا. ان اتباع المسيح يفترض سيطرة على الذات وتجرداً وكفراً بالنفس. هذا الانضباط لا يحطّ من كرامة الانسان بل يسمو به كما ان التقنية البشرية تنظم باعتناء جري النهر ضمن سدّين، والبخار في الخلقين والكهرباء في السلك المعدني وكل ذلك لا للتدمير بل للاستفادة.

اجل، المسيحية تطلب منا السهر على نزوات الجسد فلا نلبي كل تطلبات الغريزة العمياء، ولكنها لا ترى في الجسد عدواً، بل ما كان يرى فيه **القديس فرنسيس الأسيزي** عندما سمى جسده هذه التسمية المعبّرة جداً «اخي الحمار» اذن اخاً وليس عدواً ولكنه حمار ايضاً يجب ان نلجمه دائماً.

هذه هي القوة التي لا تدرك النابعة من اتباع المسيح. على وجه الارض يعيش اناس اثرياء، يحيون لأجل المال والملذات والسلطة . . . يعيشون لكل شيء ما عدا المسيح. أمام نعشهم يستبد بنا القلق والانقباض. تسير في جنازاتهم الوف البشر - انما بعد سنوات، لا احد يعرف عنهم شيئاً. ولكن لسبعمائة سنة خلت ماتت امرأة بسن الرابعة والعشرين هي القديسة اليصابات المجرية. كان يقف امام نعشها شاب مصاب بالبرص اعتنت به زماناً طويلاً - اما ذكرها فلا يزال مشعاً الى يومنا هذا، بعد سبعمائة سنة.

«اوصيكم وأناشدكم امام الرب بالا تسلكوا فيما بعد كما يسلك الأمم بباطل رأيهم، الذين اظلم عقلهم وصاروا متغربين عن حياة الله لأجل الجهل الذي فيهم ولعمى قلوبهم» (افسس ٤/١٧- ١٨)، «اسألكم انا الأسير بالرب ان تسلكوا كما يحق للدعوة التي دعيتم اليها» (افسس ٤/١) «اما تعلمون ان اجسادكم هي هياكل الروح القدس الحال فيكم الذي نلتموه من الله وانكم لستم لأنفسكم؟ لأنكم افتديتم بثمن كريم، فمجدوا الله اذن واحملوه في اجسادكم» (١ كور ٦/١٩-٢٠).

هذه هي الفكرة الكبرى التي يوحيها اتباع المسيح: **مجدوا الله واحملوه في حياتكم.**

* *

*

اخوتي ، عندما اجتاز الشعب اليهودي البريّة بعد انعتاقه من عبوديّة مصر ، قاصداً ارض الميعاد ، وصل الى تخوم الأدوميين ، فارسل موسى رسلاً الى ملك الأدوميين طالبًا جواز مرور لشعبه ، وقال للملك: «دعنا نمر في أرضك ونحن لا نميل الى حقل ولا كرم ولا نشرب ماءَ بئر لكننا نسير في الطريق السلطاني لا نميل يمنة ولا يسرة الى ان نجوز تخمك» (سفر العدد ٢٠/١٧).

هذه صورة معبرة لطريقة اجتيازنا صحراء هذه الحياة قاصدين ارض الميعاد ، مملكة ابينا السماوي . فقط لا نشربنّ من الينابيع السامة ، فقط لا نأكلنّ من الثمرة المسمّمة المملوءة اغراءً. فقط لا نحدنّ لا يمنة ولا يسرة عن الدرب الملوكية التي دلنا عليها المسيح: « **ما اضيق الباب واحرج الطريق المؤدي الى الحياة وقليلون الذين يجدونه** » (متى ٧ / ١٤) صاح المخلص ذات يوم .

ايها الرب يسوع ساعدنا على السير في الطريق الضيق ، ان ندخل الباب الضيق الموصل اليك! آمين .

في خطى المسيح

(٢)

اخوتي ،

مساء الثاني عشر من تشرين الأول لسنة ١٩٣١ ، شاهد سكان مدينة ريو دي جانيرو مشهداً لا مثيل له. فوق المدينة يرتفع جبل الكوركوفادو (Corcovado) الذي يعلو ٩٠٠ متراً عن سطح البحر. وقد شيّدوا طوال سنتين على قمة هذا الجبل تمثالاً جباراً للمسيح يسوع. مساء ذلك اليوم جرى تدشين هذا الأثر بعد التغلب على صعوبات فنية لا عد لها.

كان يحيط بالتمثال جمهور غفير قُدّر بحوالي مائتي الف نسمة يتقدمهم الأساقفة ورجال السياسة والدبلوماسيون. عند ابتداء الحفلة ضغط العالم الايطالي الشهير ماركوني في روما، اعني على مسافة ٨٠٠٠ كيلومترا، على زر كهربائي بسيط واذا بتمثال المسيح يسبح في موج من النور الساطع وسط هتافات الجمع الذي اخذته الدهشة بسبب هذا المنظر. وكأني بالمسيح المشع نوراً يردد، باسطاً ذراعيه، كلماته الخالدة: «وانا اذا ما ارتفعت عن الأرض جذبت الي كل احد» (يو ١٢/٣٢). لقد تعالت تموجات الطاقة الكهربائية فوق البقاع الشاسعة والأوقيانوسات والجبال والوهاد منسلّة من المحطة الطليانية على موجات قصيرة وحرّكت المولد الكهربائي البرازيلي فغرّقت تمثال المسيح في دفق من النور.

يدهشنا التفكير بهذا الفتح العلمي الكبير وتلقائياً تطرأ على فكرنا المقارنة: **الا يصل الينا كذلك شعاع وجه المسيح بعد ٢٠ جيلاً؟** ما حققه ماركوني هو

مأثرة علمية كبرى اعني ارسال النور على بعد ٨٠٠٠ كيلومتراً لإضاءة تمثال المسيح. ولكن ما هذا بالنسبة للقوة الصادرة عن شخص المسيح الذي بعد الفي سنة وفي بقاع الارض البعيدة لا يزال حتى اليوم يرسل قوة تنيرنا وتشدّدنا على جد السير في خطاه: «تعالوا الي يا جميع التعبين والثقيلي الأحمال وانا اريحكم» (متى ١١/٢٩).

كلمات المسيح هذه لا تزال ترنُّ منذ عشرين جيلاً ومليارات الناس من الذين حظوا بنعمة السلام والمصالحة والتعزية يشهدون على صحتها.

هذه اذن تتمة الموضوع الذي بدأناه الأحد الماضي: **في خطى المسيح**. عظة اليوم نكرسها بكاملها **لمسألة كيفية اتباع المسيح**. واختصر ما سأقوله بجملة واحدة تتضمن هذه الأفكار الثلاثة: **اتباع المسيح لا يكون ١ - بالكلام فقط. ٢ - ولا بالقلب وحده. ٣ - بل خاصة وبالدرجة الأولى في حياتنا.**

١
اتباع المسيح لا يكون بالكلام فقط

أ) غالبًا ما يتردد هذا الإنذار في تعليم المسيح: **اتباعه لا يقوم بالشعائر الخارجية**. نعرف تمام المعرفة ان الرب ادان بقساوة من يحافظون في الخارج فقط على الشرائع الدينية، اما داخلهم فيكذب تقواهم الظاهرة. قال ذلك للفريسين الأقدمين ولكنه ينطبق على فرّيسيي اليوم: «كل اعمالهم يعملونها تظاهراً للناس» (متى ٢٣/٥). «الويل لكم ايها الفريسيون المراؤون لأنكم تطهّرون خارج الكأس والإناء اما داخلكم فهو مملوء خطفًا وشراً»(متى٢٣/٢٥).

كم تتجلى بوضوح فكرة المعلم الالهي بهذه الكلمات: لا يجوز الاكتفاء بالمحافظة الخارجية على الوصايا.

ب) يا له من تحذير لعدد لا يحصى من الناس في ايامنا: قد يكون انهم يحافظون في الظاهر على كل ما ترسمه ديانتنا المقدسة لمصلحة نفوسنا . . . ولكن الفريسيين كانوا يفعلون ذلك ايضاً بل يزيدون على ما تطلبه الشريعة؛ ولكن ذلك لم ينفعهم للخلاص لأنهم كانوا في الداخل غير ما يظهرونه للناس في الخارج ولان نفسهم كانت خاوية من محبة الله الحقيقية . لأن الرب قال ايضاً: «الحق الحق اقول لكم ان لم يزد برّكم على الكتبة والفرّيسيين فلن تدخلوا ملكوت السماوات» (متى ٥/٢٠) .

اذن لا يتبع المسيح من يقوم بتلاوة الصلوات والإعتراف والمناولة وحضور القداس والصيام ـ كل ذلك ضروري ولكنه لا يكفي بحد ذاته ، يلزمنا لأتباع المسيح ان نتغير داخلياً وكلياً كي تأتي هذه الأمور الظاهرة دليلاً على ما نعيشه من ايمان ومحبة .

قال الله في العهد القديم: «ماذا اصنع بك يا افرائيم ماذا اصنع بك يا يهوذا . ان رحمتكم كسحابة الصبح وكالندى الذي يزول باكراً . . . لأني اريد رحمة لا ذبيحة» (هوشع ٦/٤ ـ ٦) .

كم من لوم مُستحق يستطيع الرب توجيهه اليوم! يلوم اولئك الذين يركعون خاشعين في الكنيسة ولكنهم ارديار المزاج في البيت ، لا يطاقون . ينحي باللائمة على الذين يطلبون في الاعتراف مغفرة خطاياهم ولكنهم لا يريدون ان يغفروا لقريبهم . لومه على من يقبلون بلسانهم جسد المسيح بتواتر ولكنهم بهذا اللسان عينه يمزّقون قريبهم ويهينوه ويدينونه . . .

«ليس من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماء بل من يعمل ارادة ابي الذي في السماوات» (متى ٧/٢١) .

٢

اتباع المسيح لا يكون بالعاطفة فقط

ولكن اتباع المسيح لا يقوم بعواطف القلب فحسب.

أ) من المؤكد ان **النفس العابدة تنعم باوقات عذوبة لا توصف**، كما لو كانت تتذوق مسبقاً حلاوة الأخدار السماوية. نستطيع ان نعيش في داخلنا دقائق هوس روحي نرى فيه على نوع ما - كالرسل الثلاثة على جبل طابور - السماء مفتوحة ونعبد الله في بهاء مجده.

ولكن لا ننخدع. ان هذه الزهيرات العاطرة والدافئة لا تتفتح حتماً في اتباع المسيح وليست دليلاً قاطعاً على نصاعة حياتنا الدينية. الرب لم يصطحب سوى ثلاثة من رسله الى جبل طابور؛ لم يُشرك التسعة الآخرين. مع ذلك كان على التسعة الباقين ان يثبتوا هم ايضاً كالثلاثة الأول. ان كان بهاء طابور المنشّط والمعزّي لا يشعّ على درب حياتنا الداخلية وصلاتنا فنضطر ان نزحف طوال شهور بل سنين في ليل الجفاف الروحي المظلم - لا يهمّ، فسنزحف. انه يحق لنا بلا شك ان نطلب من اللّه في صلاتنا ان يرفعنا الى تلك الأعالي التي نجد فيها السكينة وسلام القلب بعد هبوب العاصفة فننعم بشعور حضرة اللّه الدافىء - ولكن اذا شاء الرب ان يمتحن ايضاً تواضعنا وصبرنا وامانتنا في كفاحات الروح فلنتذكر كلمات المسيح: «لا تظنوا اني جئت لألقي سلاماً على الأرض؛ ما جئت لألقي سلاماً بل حرباً» (متى ١٠/٣٤).

ب) ان كنت وجّهت كلاماً قاسياً وانحيت باللوم على تقوى تضيع في التفاصيل الخارجية اريد الآن توجيه كلمات تشجيع لذوي التقوى الحقيقة من

اخـوتنا الذين يعـانون من اليباس الروحي. في الواقـع هناك من يشكون بمرارة انهم منذ سنين يسعـون جديًا للـوصول الى المسيح ولكنهم يشعـرون كمـا لو كـانوا اكثر بعـداً عنه، يشعـرون الآن ان قلقـهم يزداد وضـيقـهم يشـدُّ الخناق عليهم وخطاياهم تكثر . . . مع ذلك ليس الامر كما يتصورون اطلاقًا.

اخـوتي، عندمـا كنتـم تهـملون في الماضي نفـوسكم لم تـكونوا تلاحظون خـيوط العنكبـوت ولا النفايات الـتي كانت تتـراكم في الزوايا، اما الآن فـان احساسكم الديني يضطرب لأي غبار لم تكونوا في السابق تعيرونه اي انتباه.

من الممكن في الواقع ان تجتـازوا طوال سنين صحراءً خـاوية، كل ما فيـها تعِب ولا شيئ يلذُّ . . . ولكنكم تـعرفـون الآن ان اتبـاع المسيح ليس مسـألة شعور ولا يترجم **بجيشان القلب**.

فاذا لم نـحظَ بتجليـات طابور وتعزياته الحـميـمة كالرسل التسعة، علينا ان نثبت على الأمانة، لأن ليس الـشعور بالتقوى هو دليل اتبـاعنا المسيح بل المثابرة والأمـانة والتـواضع والعـدل والتـسـامح . . . وبكلمـة، **حـمل الصـليب دون احباط**. الآن نجتاز الصـحـراء، الآن نسـير علـى درب الصليب ولكن انظروا الى النهاية، تبـيّنوا في آخر درب الصليب صباح القـيامة المجيـد، فنسير اذا ذاك حقيقة وراء المسيح كما كتب الرسول: «لذلك لا نملّ لان ضيق هذا الزمان مع انه خـفـيف ويسـيـر جـداً يعـدّ لنا ثقل مـجـد لا حـد لـسـمـوه يدوم الى الأبد» (٢كور٤/١٦-١٧).

حتى اولـئك الذين حظوا بتعزيات طابور لم يُسمح لهم بـ «نصـب الخيم». القـديس بطرس اظهـر رغبـة شـديدة في اطالة تلك الهنيـهـات السـعيـدة. لا. المخلص يقـول لهم: انهـضـوا لنذهب. الى اين؟ لقـد قـال الى اين منذ ايام: الى

اورشليم. ومـاذا في اورشليم؟ آلام المخلص ومـوته الدامي. هذا اذن اتبـاع المسيح. طابور لم يدم - حتـى بالنسبـة لمن عـاينوه - سوى دقـائقَ معـدودات ولكن من بعـده تأتـي اورشليم، تأتي الحيـاة بدروبهـا الوعـرة وعـذابهـا. ان طقوس القداس تهـز مشاعر النفس باناشيدها السـماوية... ولكن من بعدها نخـرج من الكنيـسة وتبـدأ حيـاة الأسبوع وهـمومـه الكثيـرة ووفـرة تجاربه ومـحـارباته: الآن يلزمنا الأمـانة، الآن يجب الصـمـود. هذا مـا يعنيـه اتبـاع المسيح: الانتقال من الأحد الى أيام الأسبـوع، من هدوء الكنيسة الى ضجيج الشارع، من سلام المذبـح الى معركة الحيـاة، من جبل طابور الى اورشليم. عندما يودِّعنا الكاهن في نهـاية قداس الأحد بقوله: «اذهبـوا بسلام» نكون قد اختـزنّا من القوة والأمـانة والفرح مـا يكفي لكل الأسبـوع حتى نحمل صليبنا ونبدأ بمواجهة معارك الاسبوع الجديد.

وها انا اصل الى الـقـسم الثـالث من الجـواب: اتبـاع المسيح لا يـظهـر في كلامنا ولا في العواطف بل في حياتنا.

٣

نتبع المسيح في حياتنا

اتباع المسـيح الحقيقي لا يقـوم بالكلام وعواطف القلب فحسب بـل خاصة وقـبل كل شيء **في توجيه حياتنا نحو المسيح والمحافظة على وصـاياه رغم التضحيات الكبيرة.** فلكي يصيـر الانسان تلميذا حـقيقياً للمسـيح عليه: أ - **ان يكون قريبًا من المسيح** و ب) **ان يجذب الآخرين الى المسيح**.

أ) هناك عـلامـتـان تدلان على **مـدى قـربكـم من المسيح**. أ) **طريقة كفاحكم في الحياة** و ب) **طريقة احتمالكم عذاب الحياة**.

أ) اتباع المسيح مصدر قوة في المحاربات. النفس المعمَّدة هي اشبه ما تكون بمرج الربيع الهادىء، المملوء سكينة واسراراً، المليئ بالبذار وشروش الإزهار الجميلة - ولكنه بحاجة لأشعة الشمس المحيية ليبرز الى الوجود كل ما يختزن به.

نفسي مليئة ايضاً بالأمكانيات ولكنها بحاجة الى دفء اتباع المسيح المحيي لكي تزهر. ان هذا الازهار وهذا النضج الروحي **وهذه الصورة عن.وجه المسيح لا تكتمل الا بالجهاد.**

اتباع المسيح يعني اذن جهاداً متواصلاً - ضد من؟ ضد شهواتنا ومطالبها المتغطرسة، ضد اغراءات العالم الكثيرة التي ترمي امامنا شباك العثار وتدفعنا الى الخطيئة. اتباع المسيح يعني تغلغل فكرة المسيح في كل ثنايا الحياة: كل لحظات حياتي الشخصية والعائلية والاجتماعية والدينية. هذا هو طريق الاقتداء بالمسيح، طريق صعب ووعر ولكنه وحده في النهاية الطريق الملوكي.

قديماً كان الاعتراف بالمسيح يتطلب موت الشهيد، اليوم يتطلب شهادة حياته ولا اجروء على القول ايهما الأصعب. مع ذلك ما ينتظرنا اليوم هو الواجب الثاني.

هل تريدون بعض الأمثلة عن مسيحيين عرفوا كيف يتبعون المسيح؟ لقد عرف ذلك **القديس منصور دي بول** الذي قبل الاقدام على اي عمل كان يطرح على نفسه هذا السؤال: «لو كان المسيح مكاني الآن فكيف تراه كان يتصرف». انا ايضاً اطرح على نفسي هذا السؤال: اذ كان المسيح لا يفعل ذلك، اذا كان لا يذهب مع هذه الرفقة، اذا كان لا يحضر هذا الفيلم ولا يقرأ هذا الكتاب، اذا كان لا يحتمل مثل هذه الأحاديث، فانا ايضاً لن

افعل ذلك ، لأنني «تلميذ المسيح» . اجل ، من عاش هكذا فقد عرف كيف يتبع المسيح .

لقد عرف ذلك ايضاً «وندهورست» (Windhorst) رئيس الحزب الكاثوليكي الألماني ، الذي عندما كان وزيراً للعدل اتته امرأة يوماً تطلب الطلاق من زوجها الذي لا تستطيع العيش معه بعد الآن؛ لأنه يعود كل مساء الى البيت فاقداً وعيه من السكر ويملأ البيت ضجيجاً جهنمياً . وانت ايتها السيدة ، ماذا تفعلين اذ ذاك؟ سأل وندهورست .

- انا ايضاً لا اسكت له!

- ارى ان بيتكم ينقصه شيءٌ .

- ما هو؟

- مركع ، احصلي على مركع وعندما يعود زوجك الى البيت سكراناً ، تكلمي مع الله بدل ان تتكلمي معه .

صحيح ، من عاش هكذا فقد عرف معنى اتباع المسيح .

هل اعطيكم مثلاً آخر؟ كانت سيارة واقفة في احد شوارع بوادبست وهي خاصة استاذ لامع في طب الجراحة . لم يكن في سيارته ما يلفت الانتباه سوى هذه الكتابة على زجاج السيارة الأمامي حيث يعلقون عادةً كل انواع اللعب الخرافية والتعاويذ للحماية من حوادث السير ، نجد لوحة صغيرة كتب عليها: «نحن كاثوليك ، نرجوكم في حال وقوع حادث ، ان تُحضروا الكاهن» .

اجل انهم يتبعون المسيح من يجاهدون بحسب تعليم المسيح ، من يعيشون بحسب وصايا المسيح ويريدون ان يموتوا مزودين بقوة المسيح .

ب) اتباع المسيح ليس قوة في الجهاد فحسب بل هو **تعزية وسلوى في العذاب ايضاً**. اي شجاعة، اي نور يلجان نفسنا في دقائق العذاب المظلمة، عندما نرفع ابصارنا نحو المسيح المتألم لأجلنا!

هناك مشهد في آلام المسيح يفضله الرسامون والنحاتون وقد خلّدوه مئات المرات على مدى الأجيال: «**المسيح في بستان الزيتون**». المسيح المنازع ساجد يتصبب عرقاً دموياً في هدأة الليل، في بستان الزيتون. في الزاوية فرقة من الجنود يتقدمها يوضاس . . . ولكن المخلص لا يرى شيئا من ذلك: عيناه المليئتان بالألم لا تريان سوى الملاك الذي يقدم له كأس التعزية .

لماذا يفضّل الفنانون هذا المشهد بهذه الكثرة؟ لربما انهم يشعرون غريزياً بقوة العزاء الصادرة عنه للإنسان المعذب. ان ضيق العيش والمرارة والجهل وشر الانسان ينصبُّ عليكم باستمرار ايها الأخوة، ولكن لا تهتموا ولا تحاولوا ان تعرفوا من سبّبها لكم. حوّلوا انظاركم الى الملاك المعزّي واطرحوا هذا السؤال: «ربي، ماذا تريد ان تعلمني بهذه المحنة؟ هل اغتابوك؟ لا تزبد غضباً بل اسأل:«ماذا تريد ان تعلمني **من وراء ذلك ايها الرب**؟ اليس انك تريدني بدوري ان انتبه بعد الآن لئلا استسهل **الثرثرة** على حساب الآخرين؟ هل خسرت ثروتي؟ **ماذا تريد ايها الرب ان تعلّمني**؟ الم يكن حب المال حتى الآن غاية حياتي ومشتهاها ومجهودها وشغلها الشاغل؟ اليس انك تريدني ان ارفع الآن عينيَّ نحو الأبديّة؟ هل صنعت الخير وحصدت نكران الجميل؟ لقد خسرت الآن اصدقاءك وقررت الأنزواء؟ لا تفعل، بل اسأل: **اي امثولة تريدني ايها الرب ان اتعلّم**؟ الم ابالغ بطلب عرفان الجميل واقرار الناس بما فعلته والآن تريدني ان اقوم بعمل الخير حباً لك وحدك وانتظار المكافأة منك فقط . . . ما اجزل التعزية التي يوفرها لنا اتباع المسيح عندما نتألم! وحتى لو

بقيت اكثر اسئلتنا بدون جواب ـ ومن المحتمل ان تبقى ـ لنردد كلمات المسيح المتصبب عرقًا ودمًا: «يا ابتاه لا تكن مشيئتي بل مشيئتك» (متى ٢٦/٣٩).

ب) ولكن اتباع المسيح يعني شيئًا آخر ايضًا. اتباع المسيح لا يعني فقط العيش بقرب المسيح، انه يعني الإهتمام ايضًا باجتذاب الأخرين الى المسيح.

ان كنتُ فعلاً مسيحيًا اعني انسانًا مملوءًا بافكار المسيح لا اكتفي بالحصول على هذا الكنز الروحي لوحدي، بل اجتهد ـ كما يريد الرب ـ ان اكون منارة (متى ٥/١٤) تنير الدنيا؛ ان اكون مدينة مبنية على جبل تعلن للناس وجهة سيرهم. بقدر ما اشعر صميمًا بفرح الانتماء الى المسيح بقدر ذلك يجب ان تدبَّ فيَّ النار المقدسة لاعمل على كسب الآخرين للمسيح: قريبي، عائلتي، اولادي، زوجي . . . ان اربح للمسيح هذا العالم المضطرب، البارد، السائر الى الموت جوعًا . . . ان اربحه لا بوعظ في غير محله ولا بتبكيت متواصل ولكن بالمثل الأكثر جاذبية، مثل حياتي الوادعة المرحة والمتّزنة.

هل تريدون ايها الأخوة ان تصيروا للمسيح تلاميذ حقيقيين؟ هل تريدون ان تصيروا مسيحيين حقًا؟

نعم نريد، نريد . . . فقط قل لنا ماذ يجب ان نعمل.

حسنًا! تصيرون مسيحيين حقيقيين ايها الأخوة اذا كنتم منارة ولو ضعيفة تضيء للناس الطريق المؤدي الى الله . . . اذا كنتم مصدر دفء ولو ضعيفًا يصطلي قربه محطَّمو الحياة . . . اذا كنتم ساقية ولو شحيحة يرتوي منها المسافر فينتعش . . .

اذا كنتم الوداعة التي تصافح اعداء الأمس . . . اذا كنتم السنديانة التي يحتمي تحتها اخوتكم عند هبوب التجربة . . .

اذا كنتم حبة الحنطة التي تُزرع في نفوس الآخرين لتفرخ فيهم افكار الحياة الأبدية . . . اذا كنتم بحيرة تعكس بصفائها صورة الله . اذا كنتم ذلك كله عندئذ تلمع صورة المسيح في نفوسكم بعد الفي سنة ، عندئذ تكونون تلاميذ المسيح ـ مسيحيين حقيقيين .

* *

*

كلمتكم عن اتباع المسيح ايها الأخوة ، كلمتكم عن درب الصليب الشاقة التي هي وحدها درب ملوكية .

بعد هذه او تلك من المواعظ نسمع مثل هذا التعليق: جميل . . . جميل جداً . . . ولكن لا يمكن ممارسة ذلك في عالم اليوم . «يجب ان نعيش بالعفة والطهارة حتى يحين موعد الزواج لأن المسيح يطلب ذلك منا . . . جميل وجميل جداً ولكنه غير قابل التحقيق .

. . . «لا يحل لنا ان نعيش الزواج الا بحسب شريعة الله » ، « لا يجوز ان نسرق ونغشّ» ، «يجب ان نكون ودعاء ، مسالمين وسموحين» . . . جميل ، جميل جداً ولكن لا يمكن العمل به . لا نستطيع ان نتبع المسيح .

آه ، لا تقولوا لا نستطيع . **قولوا صعب** . هذا صحيح . من الصعب العيش بحسب الآداب المسيحية ولكن . . . ولكن هذا وحده ذو قيمة .

اذا . . .

اذا اردنا الا يصيبنا ما اصاب الحمائم البيضاء ، في قصة كاتبة مجرية . . .

قررت ذات يوم حمامات مزرعة مجرية ان يؤسسن جمعية اصدقاء الحمائم المجرية. في أول جلسة للجمعية قامت موسستها وقالت: «ايتها الرفيقات ان تأسيس هذه الجمعية هو فجر عهد جديد. لقد مللنا الطعام اياه دائماً والعيش في الأبراج ونقد الحبوب عن الأرض. لسنا من طبقة احط من باقي الدواجن، فاذا كانت هذه تحط على المزابل فما الذي يمنعنا نحن ايضاً من ذلك... واذا كانت الخنازير تتمرّغ في الحمأة فلماذا لا يحق لنا أيضاً ذلك. لماذا يتكلمون دائماً منذ فجر الخليقة عن نصاعة الحمام؟ نحن الحمامات الواعيات والمنظمات نعرف ان نصاعة الحمام ليست سوى وهم وبقية من رواسب وظلام القرون الوسطى تمنعنا من مسرّات جمّة... ولكننا ابتداءً من اليوم لن نعير هذه الأفكار الرجعية اي انتباه، فالى الأمام... سنبحث عن طعامنا في المزابل وسنتمرّغ في الحمأة...».

فسُمعَ هديلُ الموافقة الجماعية من كل الحمائم. بعد هذا الخطاب الحماسي اندفعن كلهن وراء القائدة - الى المستنقع.

اما باي حال خرجن منه، فلن اخبركم بذلك...

فاذا وجد من فقد عقله ليتشبه بهذه الحمامات، مأخوذاً بالكلام المعسول، فليتذكّر عظة اليوم: **السير في خطى المسيح صعب ... صعب ... ولكنه وحده ذو فائدة واستحقاق**. آمين.

في خطى المسيح

(٣)

اخوتي ،

يروي المربي الإلماني الشهير فورستر (Förster) قصة طريفة عن الأول بين موظفي مكتب محاماة شهير.

استلم هذا الموظف ذات يوم من رئيسه في فلورنسا بطاقة معايدة بمناسبة عيد الميلاد. البطاقة كناية عن صورة لفنان قديم تبرز ميلاد المسيح. عن يمين الصورة نرى الرعاة يستمعون ساجدين بخشوع الى بشرى الملاك السارة. في الجهة المقابلة، النور يغمر العائلة المقدسة. وعلى شرفات المنازل وبين القناطر جمهور من الملائكة على وجوههم بسمات الفرح. من هذه الصورة كانت تنبع جاذبية كبرى وتقوى دفعتا الموظف الى التفكير. لم يكن يعرف الدين المسيحي بهذا الشكل. كان يعتقد ان المسيحية تدعو فقط الى الإماتة. . . والتجرد. . . والكآبة الدائمة.

اخذ هذه الصورة ووضعها على مكتبه قرب الروزنامة وميزان التحارير. كان ينظر اليها بتواتر طوال يومه، وحتى بعد ايوائه الى الفراش كانت هذه الصورة ترافقه كل مساء بكل بهائها. . . كما لو كانت الليلة بالذات ليلة الميلاد. . . فكان يخيّم عليه جو من العذوبة والحلاوة والفرح. . . ابتسامات الملائكة في كل مكان . ولمعت في ذهنه هذه الفكرة: ميلاد المسيح يعني لهذه الأرض الشقية والكلية المرارة شيئاً يختلف عما كنت اظنه حتى الآن، وبالنسبة لحياتي بالذات. ما معنى حياتي التي

تتآكلها العَجَلة والشقاء؟ لقد كانت اشبه ما يكون بروزنامة مكتبي: انزع منها كل يومٍ ورقة فتتوارى الروزنامة يوماً بعد يوم حتى تنتهي اخيراً في سلة المهملات. آه، ما أرهب الشبه بينها وبين حياتي الى الآن؛ ولكن الملائكة يهتفون اليوم في مسمعي: تجرد، تضحية، نعم، ولكن ليس لإذلال الطبيعة البشرية بل **لرفع مقام الإنسان الذي يحيا بالمسيح فقط**.

وها هو المسيح يولد في نفس هذا الرجل الرازح تحت وطأة السرعة. وفي اليوم التالي كانت الآلة الكاتبة تقرقع كالمعتاد وكذلك المرافعون كانوا يفدون بكثرة كما في الماضي والملفات تتكدس بعضها فوق بعض كالسابق - ولكن المسيح يعيش الآن في نفسه. فصارت اعصابه اكثر هدوءاً واوامره اكثر ليونة وكان لديه الوقت الكافي ايضاً للسؤال عن صحة والدة معاونه. والمكتب الذي كان يعلوه الغبار والضجر اصبح الآن يضجّ بضحكات الملائكة.

اذا كنت قد حكيت لكم هذه القصة ايها الإخوة فلاني اردت ان ابدأ بها عظتي وذلك لسببين: سنحتفل بعيد الميلاد في الأيام القليلة المقبلة. وفي هذه الأيام يحمل ساعي البريد بطاقات المعايدة وكلها تضجُّ بابتسامات الملائكة، ونأخذ من هذا التقليد العبرة التي تكلمت عنها في الاحدين الماضيين وسأتكلم عنها اليوم ايضاً عبرة تتضمنها هذه الرواية: ما أشد الوحشة والصقيع في نفس انسان اليوم الذي لم يولد فيه المسيح بعد. اما الذي اخذ مكانه بين تلاميذ المسيح فيغمره بحر من النور. ونتجاوب كلياً مع الاستعدادات المقدسة لعيد الميلاد ان كنا في عظة اليوم:

- ١ - نفتش عن السبب **لماذا كثير من الناس لا يفهمون المسيح ولا يتبعونه** في ايامنا، رغم اننا - ٢- **في اتباع المسيح نجد الفرح والسعادة العظيمين**، اذا عرفنا - ٣ - **كيف نتبع المسيح**.

١
لماذا لا نفهم المسيح؟

كثيرون لا يفهمون افكار طفل بيت لحم لأنهم يجدون في فهمها دينونة لنفوسهم.

أ) طفل بيت لحم الصغير، طفل بيت لحم الوضيع **يشجب كبرياء الكثيرين وطمعهم**.

الكبرياء كانت خطيئة الإنسان الأولى.

«**تصيران كآلهة**» ـ وسوس المجرب لأبوينا الأولين في الفردوس ومن بعدها نفوس لا تحصى وقعت في شرك الكبرياء: «سأحتل مكان الله»، ليس كمبدأ نظري صريح لربما؛ ولكنني عملياً احدّد لنفسي القواعد الأدبية التي أريد وما همَّ ان كان الله يسمح بها ام لا.

«**تصيران كآلهة**»، سيكون العلمُ الهكم. يكفي ان تعرفوا كل شيء ـ والا تؤمنوا بشيء. كثرة المعرفة، هذا ما يلزم الإنسان فقط. لقد صدّقنا ذلك وسعينا إليه. ولكن يا لمرارة الخيبة! لا يصدمْكم قولي هذا ولكنها الحقيقة العارية: بقدر ما يزداد الإنسان علماً بقدر ذلك تزداد امكانية صيرورته شريراً خطراً . . . اذا . . . اذا كان الى جانب المعرفة لا يملك قسطاً مماثلاً من جودة الأخلاق.

هل يكفي العلم لسعادة الإنسان؟ هل تعرفون من هو اكبر شرير في العالم؟ اليس ابليس اللعين الذي تحت اسم لوسيفوروس (حامل النور) كان الخليقة الأسمى علماً وحكمةً في العالم وكان رئيس الملائكة؟

هل العلم كـاف ٍ للسعـادة؟ تأملوا كبار المجرمين ـ كـانـوا دائماً حـذقين ومثقفين جداً.

هل يكفي العلم لبلوغ السعادة؟ طالعوا الصحف . كم من جرائم بشعة في يوم واحد! مع ذلك لم ينعم عصرٌ كعصرنا بهـذه الوفرة من المدارس والمطابع والمكتبات والمختبرات لنشر المعرفة بين الناس.

هل يكفي العلم للسعـادة؟ ما اعظم التقدم الذي احرزتـه الشعوب في علوم الكيـميـاء والفيـزياء والتـقنيـة ـ فـإذا لم نضف اليـهـا الجـودة الأخـلاقيـة فـانـهـا ستستخدم معارفها المذهلة للتذابح في حروب مدمّرة.

ترون جيـداً ان كثيريـن لا يريدون فهم المسيح واتبـاعه لأن طفل بيت لحم يشجب الكبرياء والأنانية والطمع والجشع.

ب) ولكنهم لا يفهمون المسيح ولا يتبعونه لان طفل بيت لحم **يشجب الحياة السطحية المشوشرة في الخارج عند الكثيرين**. بقدر مـا تكون النفس يائسة وبائسـة بقدر ذلك تهرب الى العـالم الخارجي مستعيضـة عن الفردوس الداخلي المفـقـود بفـردوس خارجـي مصطنع . ولـكن ما قـيـمـة الحلي والحلل والفرو والسيارات والتبـرج والبذخ عند أولئك الذين تتـآكل الخطيئة حيـاتهم وتستـعـر فيـهـم نار القلق؟ طفل بيت لحـم يعظ العالم بفـقـره: امام اللّٰه لا قـيـمـة للحـجارة الكريمة ولا للسيـارات ولا للحلل وعـراقة النسب بل للنفـس فقط ، للنفس وحدها. ليس **ما تملك** بل **من انت**.

يا لها من مـأساة ان انسـان اليوم لا يريد ان يفهم امثولة الميلاد الرائعة! لا يريد ان يفهم ان اتبـاع المسيح ليس مسألة عـواطف او نزهة على دروب مزدانة

بالورود والرياحين ولكن اتباع المسيح الحقيقي قوامه اضفاء نور المسيح على كل تفاعلات الحياة اليومية، الفردية منها والإجتماعية والعلمية. لا يريد ان يفهم انه بقدر ما تبتعد سنن الحياة الإجتماعية عن شريعة المسيح بقدر ذلك يتضاءل الإحترام لشرائع الإنسان عينها والمؤسسات البشرية تفقد اولى دعاماتها. لا يريد ان يفهم ان السلام لن يتوفر «لذوي الإرادة الحسنة» الا اذا سبقه اعطاء «المجد لله في الأعالي».

حاليًا يريدون اعادة النظر بكل شيء: اعادة تنظيم المصارف، اعادة تنظيم الزراعة، اعادة تنظيم التجارة، ولكنهم نسوا ان يعيدوا تنظيم الأهم: **اعادة النفس البشرية المريضة الى الله**. لأن كلمات لينو (Lenau) لا تزال صحيحة: «الحياة بدون الله كآبة دائمة». لماذا هي صحيحة؟ لأن النظام الإجتماعي والإقتصادي بدون الله هو بنيان يرتفع في الفضاء بدون اساس. ولأن الإنسان لن يجد الهدوء والسلام في عالمه الضيق والأناني. الله وحده هو قطب العالم ويستطيع وحده ان يركّز محوره. هذا ما علمناه المسيح. العالم لا يكفي ذاته، بخلاف ما يظن الإنسان المأخوذ بتقدم العلوم. كما ان العالم بدوره لا يكفي الإنسان.

كلمة انسان في اليونانية (Antropos) معناها «الذي ينظر الى فوق». وعندها ندرك لماذا لا يمكن ان يكون سعيداً الإنسان الذي يفتش عن سعادته في الأرض. بينما ايماننا المسيحي الذي يرفع لحاظنا نحو الأعالي يكفل سعادتنا حتى في هذه الدنيا. كيف ذلك؟

٢

كيف نجد السعادة في اتباع المسيح؟

«ها انذا واقف على الباب اقرع» (رؤ ٣/٢٠) هذا ما يقوله الرب في سفر الرؤيا. لقد ترجم احد الفنانين هذه الكلمات على قماشة لوحة فنية. في الصورة يقف المسيح امام الباب رافعًا يده ليدق. ابن الفنان الأصغر يتأمل اللوحة ثم يقول لأبيه:

ـ بابا! اللوحة ناقصة.

ـ ما الذي ينقصها يا بُنَي.

ـ ليس للباب مزلاج والخواجه لا يستطيع الدخول.

ـ ما يبدو لك نقص يا ابني ـ اجاب الأب ـ مطابق للواقع تمامًا. هذا الخواجة هو الله. الباب ينفتح في قلب الإنسان والمزلاج من الداخل. فلكي يستطيع الرب ان يدخل يجب فتح الباب من الداخل.

اجل إخوتي، لدخول الرب يجب فتح الباب من الداخل. من يفعل ذلك ويفسح المجال للمسيح كي يلج نفسه فان نور وسعادة ليلة الميلاد سيسطعان فيها.

ما الغاية من مجيء يسوع؟

أ) جاء ليعلمنا حياة تليق بالإنسان ب) ليعطينا قوة الوصول الى هذا الكمال المدهش.

أ) المسيح اتى ليعلمنا **حياة تليق بالإنسان.**

«**حياة تليق بالإنسان**» يا لها من عبارة معروفة جدًا. اين قرأناها؟ «حياة تليق بالإنسان»... اي نعم! في اللاصقات الإنتخابية التي يسعى بها

المرشحون لكسب اصوات الناخبين. «ايها العمال البؤساء والجياع هل تريدون حياة كريمة؟ أتريدون الإنعتاق من نير ارباب العمل؟ انتخبوا فلان او فليتان».

من الطبيعي ايها الإخوة ان يريد الجائعون التخلّص من فقرهم وان يجد الناس عملاً ووسائل عيش وخبزاً ومأوى. ولكن هل هذه هي الحياة اللآئقة بالإنسان»؟ والأغنياء الذين نحسدهم هل يعيشون حقًا «حياة تليق بالإنسان»؟

يجب ان يتوفرما هو اكثر من المال والخبز والتدفئة رغم ضرورة كل ذلك.

أ) «حياة تليق بالإنسان» تعني اولاً حياة نعرف **غايتها**. هل يستطيع ان يحيا حياةً تليق بالإنسان من يجرجر حياته بجبين يعفّر الأرض يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة ـ دون ان يعرف ما الغاية من كل ذلك وما الذي ينتظرنا بعد هذه الحياة؟

ب) ولكن «الحياة اللائقة بالإنسان» تعني ايضاً الا ننهار تحت وطأة القدر بمرارة ولا نتلقّى المصيبة باستسلام البهيمة بل نجعل من كل محنة مرقاة نرتفع بها الى اعلى، الى حياة «اكثر انسانية»، حياة الكفر بالذات والتجرد.

من لا يرى ان هذا هو قوام الحياة الخليقة بالإنسان؟ من لا يرى ان من يعطي لإنسانية ذلك يعطيها اكثر من اي اختراع في العالم؟ العلم يساعدنا فعلاً على التحكم بقوى الطبيعة ولكن بانتظارنا ما هو اهم من ذلك: التحكم بطبيعتنا الذاتية فنصبح بشراً حقًا ونفرض احترام انسانيتنا وسط كفاحات الحياة اليومية وتجاربها ولا ننسى ابداً غاية وجودنا على هذه الأرض وان نسيطر على اهواء الطبيعة البشرية الفاسدة ـ هذا ما علمناه المسيح. هو وحده اذن علّمنا حياة تليق بالإنسان. بعد سيدنا يسوع المسيح نستطيع القول ان كثيرين من الناس الفقراء والبسطاء يعيشون في اكواخهم حياة اكثر انسانية من اي ثري يعيش في دارته الفخمة.

ب) ولكن المسيح لم يلقِ علينا انوار حياة خليقة بالإنسان فحسب بل **اعطانا القدرة لبلوغها أيضاً** . وهذا بالضبط ما نطلبه في اتباع المسيح . المطلوب هو الإرتفاع دائماً من سطحية حياة الجسد وغرائزه الى اعالي النفس المحيية التي تظفر بالمادة .

اذا شئتُ ان استعير تشبيهاً عصريًا اقول ان **اتباع المسيح هو صعود متواصل ، ارتفاع حتى اعلى القمم**. هذا التشبيه نجده في كتاب التبريكات لمختلف ظروف الحياة . حجم هذا الكتاب يزداد بازدياد وسائل الحياة العصرية وظروفها التي تتطلب تبريكات جديدة . فهناك تبريكات للسيارات والتلغرافات والبواخر والماكينات والقاطرات والطيارات . لأسابيع خلت ، اضيفت اليه صورة تبريك جديدة: « صلاة لأجل متسلقي الجبال » نجد في هذه الصلاة التشبيه المشار اليه اعلاه . اليكم كلمات هذه البركة:

«نطلب منك ايها الرب الإله ان تبارك هذه الحبال والعصي والمعاول وكل الأدوات الموجودة هنا ، كيما ينجو من يستعملونها بين اشداق الصخور ، في الجليد والثلوج وفي العواصف ، من كل اذى الحوادث فيبلغوا القمم سالمين ويعودوا الى ذويهم آمنين بيسوع المسيح ربنا » . آمين .

«**لنصلِّ**. بشفاعة القديس برنردوس الذي اقمته شفيعاً لسكان جبال الألب والمسافرين ، احفظ اللهم عبيدك هؤلاء واعطهم ، عندما يتسلقون قمم الجبال ، ان يصلوا الى الجبل الذي هو المسيح .

المسيح هو الجبل ، القمة الأخيرة في صعود هذه الحياة الصعبة والمتعبة . يا لها من فكرة سامية! كم تعبر عن كيفية اتباع المسيح .

لنرَ اذن كيف نواجه هذا الصعود ، كيف نصل الى الجبل الذي هو المسيح .

٣

كيف يجب ان نتبع المسيح؟

كان في اعتقاد اليونان ان من يرى تمثال «ذوس» للفنان فيدياس، ولو مرة واحدة في حياته، لا يستطيع ان يكون تعيساً. هذه اسطورة!

ولكنها حقيقة مقدسة ان من عرف المسيح يوماً ورأى بهاءه لا يمكن ان يكون تعيساً الى الأبد.

كيف يجب ان نتبع المسيح؟

أ) **احبُّوا المسيح**. احبوا الرب يسوع. فكروا به غالباً. تكلموا معه. اطلبوا منه ان يعلّمكم. اطرحوا على ذواتكم غالباً هذا السؤال: لو كان يسوع مكاني الآن فماذا تراه كان يصنع؟ هذا معنى اتباع المسيح الحقيقي. لربما اضطرنا الأمر ان نقول مع القديس **اغوسطينوس** الذي اهتدى بعد حياة عاشها بالخطيئة: «آه، لماذا تأخرت كل هذا الوقت كي احبك». لا يهم. اقتربوا منه الآن اقله، كي لا تضطروا في آخر لحظة ان تقولوا: «آه، **لماذا تأخرت كل هذا الوقت** لكي اعرف كيف احبك».

يمكننا ان نقرأ هذه الأبيات لشاعر الماني وهي تعبر شعراً عن سمو النفس البشرية:

انني عارف اصلي، نعم.

كالشعلة التهب

اشتعل وافنى،

كل ما امسه يصبح نوراً
كل ما اتركه يصبح رماداً
اكيد انني شعلة .

اجل ، شعلة . نفسي شعلة ملتهبة ، شرارة افلتت من نار اوقيانوس الألوهة . ان كنت شرارة فيجب ان اتقد . ان كنت شرارة فيجب ان اضيء . ان أُضيء بنور نقي مقدس ، وان ترتفع شعلتي نحو السماء ، نحو وطن الخلود ، نحو الله . «لقد اتيت لألقي ناراً على الأرض ولا اريد الا ان تضطرم» (لو ١٢/٤٩) .

ايها الرب يسوع! ترى ان شعلتي تدخّن ـ نقّها يا رب ـ ترى انها بالكاد تشتعل ـ أجّجها يا رب!

ولكن متى نحب المسيح؟ عندما نقول ذلك؟ كلا . فقط عندما نسير في خطاه .

أ) **ان نسير في خطى المسيح** . **المسيح** صار انساناً ليفتدينا ويعطينا مَثَل الحياة الفاضلة . المسيح علّمنا واعطانا ايضاً قواعد حياة فضلى ولكنه كان يعلم ضعف ارادة الانسان واننا سنشتكي من صعوبة وصاياه . لقد اراد هو بالذات ان يسير امامنا على طريق الفضيلة . لم يفعل كالفريسين الذين كانوا يضعون اثقال الوصايا على كواهل الناس دون ان يحركوها باحدى اصابعهم . آه ، كلا ، المسيح إستشهد بالمثل الذي اعطاه: «تدعوني معلماً وربًا وحسناً تقولون لأنني كذلك ، فان كنت انا الرب غسلت أرجلكم . . .» (يو ١٣/١٣) . «احملوا نيري عليكم وتعلموا مني انني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيري طيب وحملي خفيف» (متى ١١/٢٩ ، ٣٠) .

كانسان، **يعطينا المثل** وكإله، **يعطينا القدرة**. لا يستهوي فقط بل يقوّي ايضاً. من احب المسيح يوماً شعر ان عليه ان يجدّ السير وراءه. زكّا تسلق شجرة ليرى يسوع. متّى ترك طاولة الجباية ليتبع يسوع. بطرس القى بنفسه في البحر آتياً الى يسوع. من رأى طفل بيت لحم مرة واحدة لن ينساه ابداً. آه لو كان الأمر كذلك! لو قُدّر لي ان اتذكر المسيح في كل ظروف الحياة!

ب) نسير وراء المسيح بنوع خاص عندما نحمل صليبه.

لا احد يستطيع ان يكون تلميذ المسيح اذا لم يحمل الصليب برضى.

كيف نحمل الصليب؟ حسب توما الكبيسي، الصليب تجده في كل مكان وهو ينتظرك كي تحمله. يمكنك الذهاب حيثما شئت فلن تفلت من صليب. ستحمل صليبك معك حيثما توجهت واينما حللت. عليك ان تحتمله بصبر.

الفادي المصلوب يرافقك على جميع دروبك. التمس جوابه على كل تساؤلاتك، القِ بين يديه كل اوجاعك. اريد ان اتبعك يا رب.

هل انت تعب؟ هو ايضاً تعب. هل انت حزين؟ المسيح حزن ايضاً. تعمل الخير ولا تجد حباً؟ هكذا كان الأمر بالنسبة للمسيح. هل وقعت ضحية سؤ تفاهم وعذاب؟ هل تستطيع التذمر؟ الا تريد التشبه بالمسيح؟ الا تريد ان تتلو مع القديس **اغوسطينوس** هذه الصلاة: «ايها الرب يسوع اسألك ان تكون كل الأشياء مرة لدي شرط ان تكون انت وحدك حلاوتي. لأنك العذوبة التي لا تدرك والتي تعطي كل شيء حلاوته».

انظروا ايها الأخوة، العذاب هو واقع الحياة. الغير المؤمن يتألم ايضاً ولكنه يصرف بأسنانه. المؤمن ايضاً يتألم ولكنه ينظر الى الصليب.

في غينيا الجديدة مرفأ جميل جداً تحيط به سلسلة جبال رائعة وشاطئ اخّاذ. ولكن قبطان المركب لا يرى شيئًا من ذلك لأن البحر مليء بنواتىء الصخور وعليه ان ينظر باستمرار الى صليب كبير على الشاطىء الى حيث عليه ان يقود السفينة والا فانه يعرّض نفسه للضياع والهلاك. هل ادركتم الامثولة الكبرى: **لننظر الى المسيح دائمًا كي نعبر بامان مخاطر الحياة فنصل آمنين الى شواطىء الأبدية ذات يوم حيث تنتظرنا المكافأة على كل اتعابنا.**

هذا ما يعنيه اتباع المسيح.

* *

*

بعد بضعة ايام يحلُّ عيد الميلاد ايها الأخوة. البنون والبنات، الأخوة والأخوات الذين تخاصموا لربما مراراً طوال السنة يقرّبون كل مساء كراسيهم نحو الموقد وينظرون بسكوت رقع الثلج التي تغطي الشوارع. «اربعة ايام ايضاً ويأتي الطفل يسوع».

بعدها يمسكون بايديهم قلماً كبيراً وينحنون على صفحة من الورق ليكتبوا ويكتبوا. . . ، فتسأل الأم: «ماذا تكتب يا عزيزي؟»

فيجيب الصبي: «اكتب رسالة الى الطفل يسوع لأقول له بماذا يأتيني يوم عيد ميلاده». الم تكتبوا ايها الأخوة مثل هذه الرسائل قديمًا؟ الا تودون ان تكتبوا اليوم ايضاً رسالة الى الطفل يسوع؟

لا تضحكوا. لا تضحكوا لأنكم «صرتم كباراً». اسمعوا فقط الرسالة التي يجب ان تحرّروها.

«ايها الطفل يسوع لم اعـد ولداً ولكن اسمح لي ان ابقى دائماً **ابنك**. اتعلم ماذا أطلب منك يوم عيد ميلادك؟

ان اقـوم بـالدور الذي اوكلتـه إلـي في هذه الحيـاة. ان اؤمن بك ايماناً لا يتزعزع. انا خاطىء ولكن اعطنـي ان اكون من جديد ابنك النقي، ان اكون قطرة من اوقيانوس جودك الـغير المتنـاهي. ان اكون شرارة من حبك الذي يشعل الأرض. ان اكون صداك يا كلمة الله المتجسد. ان اكون تلميذك ايها المعلم الالهي. **ان اكـون ابنك يا اله الجودة؛ حتى بعد صعودي المتعب انما المشجع لحياة حافلة بالتضحيات والمثابرة ابلغ قـمة الجبل الذي هو انت ايها الرب يسوع. آمين.**

إلى الطفل يسوع

اخوتي ،

في هذه الليلة المباركة التي تنشد فيها السماءُ نشيد الملائكة ، في هذه الليلة السرية لا يليق بالناس ان يتكلموا . لا نتكلم . الآن نصلي . اذن تعالوا اخوتي الحاضرين امامي في هذه الكنيسة وانتم ايضاً يا من تسمعون صوتي في البعيد ، لنسجد بالروح امام مغارة بيت لحم . كم هومؤثر التفكير ان الوف الناس بل عشرات الألوف يضطرم قلبهم في هذه الليلة ويرق عندما يخرج صوتي من الكنيسة على موجات الأثير الهادئة ليدعو للصلاة كل الساهرين في المروج والغابات في الجبال والوديان ، في المدن والقرى .

هل تسمعوني ايها الأخوة؟

لنصلّ .

انتم ، اخوتي ، القابعين في بيوتكم المبعثرة والمنعزلة في سهل المجر الواسع ، في غرفكم الصغيرة في السهل والمدن ، في الغابات والحقول والجبال ، اخوتي المجريين المستمعين الى الإذاعة هل تسمعون صوتي . **لنصلِّ**. اخوتي المجريين الساهرين في مكان ما من العالم ، في منحدرات الهرجيتا (Hargita) وسفح لومي (Lommie) على ضفاف الفاغ (Vag) او في جرود الباسك (Bacsk)، على متن سفينة ماخرة . اينما كنتم في العالم؛ اتوجه الى كل واحد منكم ، اخوتي المجريين ، هل تسمعوني؟ **لنصلِّ**. لا يليق بالناس ان يتكلموا عندما تنشد الملائكة . لندعهم ينشدون المجد فرحين . اما نحن فنلزم الصمت ونترك قلبنا

وحده يخفق مفعماً بعرفان الجميل. لا نستطيع ان نتكلّم في هذه اللحظات، نستطيع فقط ان نشكر ونطلب.

١ ـ نشكرك ايها الطفل يسوع!

أ) **نشكرك على هذه الليلة المباركة التي** ارسل نجمها الساطع نوره لأول مرة على ارضنا الشقية التي كنا فيها نتلمّس طريقنا وسط الظلمات. لأن كل ما نعرفه عن الله ونفسنا وحياتنا عرفناه بهدي هذه الليلة. من هو الله، الله خالق الكون بقدرته الذي يحب الانسان حبَّ ابٍ، بل عرفناه ايها الطفل يسوع. ولك منا جزيل الشكر. من اين اتينا الى هذا العالم والى اين نمضي بعد الموت، انت علمتناه ايها الطفل يسوع ولك منا الشكر كله.

ب) ولكننا لا نشكرك لما سمعناه منك بقدر ما نشكرك لما **قبلناه** منك، لا لما علمتناه بل لما **ضحيته** لاجلنا ايضاً.

ما قيمة نفسنا التي طالما اهملناها وتركنا الغبار يعلوها واسلمناها لفساد الخطيئة والموت، ما قيمتها في عينيك يا ابن الله كيلا تحجم عن الحلول في مزود بارد في ليلة كانون الباردة؟ نشكرك على مجيئك بيننا ايها الرب ونشكرك لما فعلته لأجلنا.

نشكرك على كل لحظة من الثلاث والثلاثين سنة لحياتك على الأرض. نشكرك على سكناك ما بيننا. نشكرك على كل نقطة عرق تصببت من جبينك لأجلنا، على كل لطمة قبلتها بدلاً عنا، على الهزء والبصاق واكليل الشوك، على ورود جراحاتك الدامية المقدسة، على درب الصليب والموت الرهيب الذي به افتديتنا . . . في هذه الليلة نشكرك على كل ذلك ايها الطفل يسوع الحبيب.

٢ ـ ولكننا لا نكون بشراً، بشراً يتألمون ويكافحون **ان كنا لا نطلب منك شيئًا**. لا يزعجْك ايها الطفل يسوع ان كنا حتى في هذه الليلة نطلب منك صدقة، ان نعرض عليك فقرنا بعالي صراخنا، ان كانت نفوس البشر المشرفة على الانهيار تطلب منك السلام.

أ) نؤمن ايها الرب بما تنبّأ به اشعيا ان الذئب في ملكوتك يسكن مع الحمل بامان والنمر يربض مع الجدي (اشعيا ١١/٦) وان «السيوف ستضرب سككًا والأسنة مناجل» (اشعيا ٢/٤).

نعم، نؤمن ان هذا السلام المبارك سيزهر في الأرض اذا حَمَل الناس نيرك طوعًا، لأن نيرك طيّب وحملك خفيف. ولكن التفتْ حولك ايها الطفل يسوع، بعد الفي سنة، وارثِ لحالنا. آه ما اكثر الذين لم يسمعوا بك بعد! وحتى بين الذين من مؤمنيك يسمّون ذواتهم مسيحيين، **يكذّبون** بحياتهم المليئة بالشر والأنانية والطيش وقلة الأخلاق، الاسم المسيحي . . . ونحن نرى النتيجة، نراها ونتألّم بسببها.

ب) ايها الطفل يسوع انت الذي قلت: «بهذا يعرف الناس انكم تلاميذي اذا كان فيكم حب بعضكم لبعضٍ» (يو ١٣/٣٥). مع ذلك نرى اليوم في قلوب الشعوب والأفراد نارَ ضعيفة لا يُشبر غورها ولا نعلم متى ستنطلق من فوهات المدافع نارُ حربٍ جديدة بين الشعوب التي يأخذ منها الهلع مأخذه ومتى ستنفجر في انهار من الدم حرب الأخوة بين الطبقات الاجتماعية. كم فينا من الأنانية وقلة الاكتراث، كم فينا من الحقد والضغينة من الغضب والخصومة![١]

---

(١) هذه النبوءة تمت بعد عشر سنوات باندلاع الحرب العالمية الثانية (المترجم).

ج) لقد قلت ايها الطفل يسوع: «السلام استودعكم سلامي خاصة اعطيكم. ليس كما يعطي العالم اعطيكم انا» (يو ١٤/٢٧). هذا ما قلته قديماً ولكن اين نحن من السلام.

من يعيش اليوم حياة آمنة هانئة وسعيدة؟ لا سلام فينا لأننا لم نفرض نظاماً في ادغال اهوائنا الجامحة وغرائزنا التي تجرّنا الى الخطيئة. لسنا في سلام مع الآخرين لأننا لسنا في سلام مع نفسنا.

سُمع في ليلة بيتَ لحم جوقان ينشدان: جوق الملائكة في السماء وجوق الرعاة ذوي الارادة الحسنة على الأرض. ان ترانيم القلوب النقية والنفوس الحسنة الارادة اعلنت المجد لله والسلام للبشر. ولكن ذوي القلوب النقية والارادات الحسنة هم قلة بيننا اليوم ولذلك لا نؤدي لله المجد. ولأننا لا نؤدّي المجد لله فليس فينا بعد «السلام للبشر».

وكما هي الحال دائماً ليس لنا من المسيحيين الا الأسم، لا السلوك، لذلك نتخبّط في اهوال نزاع مأسوي كما ان الفشل يلازم جهودنا كلها وكلُّ طريق نبدأها بالأمل تنتهي بحائط مسدود.

نسألك ايها الطفل يسوع ان نكون لك دائماً اكثر فأكثر، وأحسن فأحسن. نطلب منك ان تشع اليوم انوار ميلادك في ليل الصقيع الذي يلف البشرية وان تُسمع الناس كلهم ما جاء على لسان ملائكتك، ان يسمعوا ويفقهوا وينجزوا في حياتهم رسالتك المقدسة: «لا تخافوا انني ابشركم بفرح عظيم يكون لكل الشعب: لقد ولد لكم اليوم مخلص» (لو ٢/١١).

* *

*

اخوتي ،

انتم الذين سمعتموني في هذه الليلة التي يصدح فيها نشيد الملائكة في العالم كله ، اسجدوا بهدوء في غرفكم الوادعة وبيدين مضمومتين للصلاة رددوا معي بقلب خاشع تائب:

ايها الطفل يسوع أحِبنا! ايها الطفل يسوع اسعفنا. ايها الطفل يسوع لا تتركنا ابدًا، ابدًا. آمين .

معلّم الحياة

اخوتي ،

الكاتبة المعروفة **سلمى لاجيرلوف** تروي لنا قصة مفعمة بالروح المسيحي عنوانها: «منديل ڤيرونيكا» .

- الأمبراطور طيباريوس قيصر يقعده مرض البرص الرهيب في جزيرة كابري . لا احد يستطيع شفاءه . مرضعته العجوز الأمينة فاوستينا تقوم بمحاولة اخيرة ، فتسافر الى فلسطين لتلتقي يسوع .

تصل في تلك اللحظة عينها التي يحمل فيها المسيح صليبه على طريق الجلجلة . تأخذ منها الشفقة مأخذها فتناول الفادي منديلها . . .

وتنطبع على المنديل ملامح وجه المسيح الدامي ، فتحمل المنديل الثمين الى سيدها المنازع . نظر الأمبراطور المريض إلى وجه المسيح المغطّى بالدماء والأعراق وإلى عينيه المشعتين بالحياة . . . وتأمل طويلاً ذلك المنديل ثم صاح بمرارة: «هل هذا انسان؟ . . . لماذا تركتِ هذا الرجل يموت يا فاوستينا؟ اقد كان باستطاعته ان يشفيني . . . » نهض الإمبراطور ثم سجد امام صورة المسيح الدامية وبدأ يقول: «انت هو الرجل ، انت من لم احلم برؤياه» . ثم كشف عن وجهه المشوّه ويديه المجردتين من اللحم واردف قائلاً :

«كلنا وحوش كاسرة ، ما اشبهنا بالتنانين ، انت وحدك الرجل . . . ترأف بي . . . نظرتك كانت كافية لتشفيني» هكذا كان يئن الامبراطور المريض متألمًا . بعد لحظات نهض واقفًا على قدميه وقد برىء .

هذه اسطورة سلمى لاجيرلوف .

انت الرجل. انت وحدك ايها الرب تستطيع ان تساعدنا، ان تساعد البشرية المشنجة الأيدي، المشوّهة الوجه، السقيمة الروح. حياتنا سقيمة ولكنك سيد الحياة. لو سرنا في خطاك لشفينا لا محالة. **انت معلم الحياة ايها الرب. علّمنا في عظة اليوم، كم هي الحياة سهلة وسعيدة معك. كم هي صعبة وتعيسة بدونك.**

١

الحياة مع المسيح

أ) عندما نتكلم عن المسيح معلم الحياة يجب ان نعرف اولاً ان المسيح لا يستطيع ان يكون معلم الحياة الا للمسيحيين الحقيقيين فقط.

أ) وهنا اضطر ـ لسوء الحظ ـ ان ادل على واقع غريب وهو ان **كثيرين ممن يُدعون مسيحيين، على اسم المسيح، يعيشون بعيدين عن المسيح.**

هل هذا ممكن؟ الأكيد ان المسيحية ليست تقليداً خارجياً بل قوة تجديد داخلية. لقد اكد الرب ذلك عندما قال لنيقوديموس: «الحق، الحق، اقول لك ان لم يولد الانسان من الماء والروح لا يمكن ان يدخل ملكوت الله» (يو ٣/٥) والقديس بولس يؤكد ذلك ايضاً في كلامه عن «الخليقة الجديدة» واخيراً القديس بطرس يصرّح: «لقد صرتم شركاءَ بالطبع الالهي» (٢ بطر ١/٤).

ماذا نجد في المقابل عند كثير من المسيحيين؟ ليست المسيحية عندهم جريان دم القلب في الجسم كله والدين والحياة ليسا على موجة واحدة، كما كان الواجب، بل ان كلاً منهما يعيش في عزلة عن الآخر. يذهبون الى الكنيسة ويتلون الصلوات، يحضرون القداس وينقطعون عن الزفر يوم الجمعة. وماذا بعد ذلك؟ بعد ذلك، لا شيء يميزهم عن غير المسيحيين في حياتهم العائلية

واحاديثهم ومشاريعهم واعمالهم وطريقة عيشهم. «الدين شيء والمصلحة شيء آخر» نسمعهم يقولون. ذلك يذكرني بجندي روماني كان يستعين بالاله هرمس ليساعده على سرقة ما يقدمه للأله ذوس. يجب ان يعرف الناس عند اول كلمة، عند اول لقاء، لدى اول حركة، ان كنا مسيحيين ام لا.

هذا ما يستوقفني اولاً.

ب) ولكن علي ان ابين ايضاً حقيقة اخرى: عندما نقول ان المسيح هو معلم الحياة لا يعني ذلك ان تلميذ المسيح سيرى **كل رغباته تتحقق في هذا العالم**. البعض يتصورون انهم يتبعون المسيح، فاذا لم يحقق كل تطلعاتهم وكل رغباتهم وطلباتهم، يديرون له ظهرهم حالاً ويقولون: الدين لا نفع منه.

يجب ان نوضح لهم ان المسيح لم يؤسس شركة ضمان ضد الحوادث ولم يعد تلاميذه انه سيجنّبهم كل مكروه. يلزمنا القول مع القديس بولس في رسالته الى الرومانيين (١٤/١٧) «ليس ملكوت الله اكلاً وشرباً بل براً وسلاماً وفرحاً بالروح القدس».

ب) باي حق اذن نقول ان الحياة مع المسيح اسهل واسعد؟ ما الذي يجعل المسيح معلم الحياة؟

أ) الذي يجعله معلم الحياة هو كونه **يعطي تلاميذه صلابة داخلية وثقة بالنفس وشجاعة وهدوءاً**. كما ان البحار يجد طريقه في اليمّ بنظره الى النجوم كذلك نجد طريقنا في بحر هذه الحياة اذا نظرنا الى المسيح. اقدس قناعاتنا ان لنا في السماء اباً محباً لا تقع من رؤوسنا شعرة واحدة بدون اذنه، وان كل عمل نقوم به تتميماً لارادة الله وكل عذاب نحتمله لاجل الله سيلمع كالآلي في تاج الحياة الأبدية؛ عقيدتنا المقدسة اننا عندما نظهر امام الله بعد ان نكون اتممنا رسالتنا على الارض مهما كانت وضيعة، نحصل على السعادة

في ملكوت قلبه المحب . . . كل ذلك يعطي حياتنا عذوبة السلام وفرح النفس كما الشجاعة والقوة. ولأننا نعرف ذلك كله نسمي المسيح «معلّم الحياة».

ب) **«نعيش في عصر الكوارث»** نسمع غالبًا مثل هذه التشكيات تتكرر بيأس. حتى ولو كان ذلك صحيحًا فليس الأمر بالمستغرب في هذه الحياة. الأرض ـ ولا حول لنا في ذلك ـ لن تكون فردوسًا صغيراً نعيش فيه بطريقة بورجوازية، بل هي «وادي دموع» وتدريب على اختطاف الحياة الأبدية وساحة وغى. ومن يقرأ التاريخ يعرف ان ايام الحروب على الأرض كانت اكثر من ايام السلام. وليس انسان اليوم وحده من يستطيع التأوّه من العيش في عصر حافل بالكوارث. كان بامكان آبائنا واجدادنا التشكي ايضًا؛ خاصة من عاش منهم خراب الإمبراطورية الرومانية على يد البرابرة والتتر وابان حروب الأصلاح والأصلاح المضاد وابان الثورة الفرنسية، الخ. . (١) تلاميذ المسيح اذن لا يتأوّهون ايها الأخوة ولا ينهارون انما يعون اكثر فاكثر ان **في مخططات الله مكانًا للحروب والمعارك، حتى لا يسترخي الانسان في غفوة سلام طويلة وكي لا يستكبر ويتعلق تعلقًا لا شفاء منه بافراح الحياة الحسية العابرة.** هذا ما يحدث فعلاً عندما نعيش في رفاهية دائمة وسلام وراحة. على العكس من ذلك نتعلم في الكفاح ان نميّز بين الذهب والتراب بين قيم النفس الحقيقية والأزلية وبين دخان عدم الأستقرار الأرضي. في السلام نقيم اصنامًا كثيرة ثم تأتي نار الشدّة لتحوّلها الى رماد. اليس عصر الكوارث هذا ما يبشر في الوقت عينه بشمس مغيب هذه الأصنام؟

---

(١) تاريخ المسيحيين عامة والموارنة خاصة هو تاريخ اضطهاد متقطع في شرقنا الأوسط وفي لبنان خاصة . . .

من يستطيع ان يجتاز هذه الكوارث ظافراً حتى النهاية؟ فقط تلميذ يسوع المسيح الحقيقي .

سُئِل مؤخراً رجل مسن عمرٌ ٨٦ عاماً، ما هو سر بلوغه هذا السنّ ؟ فاجاب:

حالما تبدأون تشيخون كلوا نصف ما اعتدتم اكله، ضاعفوا ساعات نومكم، اشربوا ثلاثة اضعاف ما اعتدتم شربه من الماء؛ لكن ابتسموا اربع مرّات اكثر ممّا اعتدتم الابتسامة.

نعم، بدون شك، ابتسموا اربع مرات اكثر، لو كان ذلك دائماً سهلاً. من يستطيع ان يبتسم من كل قلبه وسط كفاحات الحياة المتعبة؟ من يستطيع ان يبتسم عندما يحضر ملاك الموت امامه حاملاً منجل الحصاد؟ من يستطيع ذلك؟ وحده من اراد ان يتبع المسيح، المعلم الألهي، كلّ حياته.

الا ترون اي ضرر واي خسارة يلحقان بابناء هذا الجيل من جريان الحياة السريع للبعض والحياة المتنعمّة للبعض الآخر وكلها تبعدنا عن المسيح معلم الحياة؟

ج) مع ذلك - وهذا ما نتبيّنه ايضاً - **لا احد يستطيع التهرب من المسيح لأن الجميع يطلبون المسيح.**

أ) يطلبه مؤمنوه، النفوس العطشى اليه، الذين بمحبة بطولية وبتجرد واخلاص، يسيرون وراءه على دروب وعرة مروية باعراقهم .

ولكنكم تطلبونه انتم ايضاً، النفوس المعاصِرة المحاصَرة بالشك والمتعثرة في جريها. انتم الذين جربّتم كل الفلسفات البشرية واستذوقتم كل المذاهب ولا تزالون تطلبون النور الذي يعطي السلام الحقيقي بنفس قلقة لا تهدأ، انتم تطلبون من قال عن نفسه: «انا هو الطريق والحق والحياة».

انتم ايضاً تطلبونه يا ضحايا الملذات العابرة الذين غلبهم التراب والدم والمال والحياة الحسّية، تطلبونه عندما تبكي فيكم نفسكم التي يستبد بها الحنين، بعد ايام قضيتموها بالكسل وليالي بالملذات.

تطلبونه انتم ايضاً المضنيون والمتعبون ومحطَّمو الحياة، تطلبون ذلك الذي قال: «تعالوا الي يا جميع التعبين والثقيلي الأحمال وانا اريحكم» (متى ١١/٢٨).

آه لو كرس انسان اليوم ايها الأخوة ولو قليلاً من وقته للتفكير بنفسه، ليخاطب ذاته، ليلقي نظرة في حياته على مجموع المشاكل الباقية بدون حل - لوجد المسيح.

ب) لوجده كما وجده القديس **اغوسطينوس** بعد ضياع طويل. هل تعرفون ما اسم الخطوة الأولى في اهتدائه؟: «عندئذ ولأول مرة وجهت انظاري الى داخلي» ولكن كيف اكتشف هذه الطريق؟ كان عليه ان يعاني اولاً في جسده ونفسه ما معنى ان يكون الانسان رجلاً، رجلاً يتوق الى الحقيقة، الى السلام، الى جواب؛ رجلاً تتقاذفه امواج الأهواء والغضب والحيرة وكيفية انجاح حياته البشرية بواسطة قوت الفلسفة البشرية الضعيف، كان عليه ان يعرف الفراغ الرهيب في عالم يجهل المسيح، كي يقدّر حق قدرها القوة التي تشعُّ من عيني المسيح.

اقرأوا فقط رواية اللحظات الأخيرة في حياة **ستريندبرغ** (Strindberg) عندما استدعى ابنته بقربه وقال لها كلمات الوداع هذه: «يا عزيزتي مرغريت لقد انتهت حياتي والميزان جاهز» بعدها اخذ الكتاب المقدس الذي كان دائماً بقربه وضمه الى قلبه ثم رفعه قائلاً بصوت مسموع تماماً: «هنا فقط الحقيقة».

من لا يذكر لدى سماع هذه الكلمات قول القديس بولس الخالد: «لا احد يستطيع ان يضع اساساً آخر غير هذا الموضوع وهو يسوع المسيح» (١ كور٣/١١)، ومن لا يرى فيها كلمات الرب هذه «انا هو الكرمة وانتم الأغصان من يثبت في وانا فيه يأتي بثمار كثيرة لانكم بدوني لا تستطيعون شيئاً و من لا يثبت فيَّ يُطرح خارجاً كالغصن الذي ييبس فيجمعونه للنار ليحترق» (يو ١٥/٥ ـ ٦).

في الواقع من يتأمل التاريخ على ضوء هذه الكلمات لا يفوته ان يرى اغصاناً كثيرة كسرت وقطعت فهلكت، على طريق مسار الشعوب: رجال ومؤسسات، مفاهيم حياة ومشاريع كانت لربما مبادرات جريئة وخطوات كبرى ولكن على دروب خاطئة حسب قول القديس اغوسطينوس: «**خطوات كبرى ولكن خارج الطريق**».

ملاحظة القديس اغوسطينوس هذه توجه انتباهنا الى القسم الثاني من موضوعنا اليوم: **كم هي صعبة لا تطاق الحياة بدون المسيح!**

٢

الحياة بدون المسيح

أ) في برلين مكان تفسيح يجذب الكثيرين من الزوار يدعى «الفلك». ماذا يحتوي هذا الفلك؟

نرى في المبنى القبة الزرقاء: الشمس تغيب على مهل خلف الستار وعندما يخيّم الظلام تلمع فوق رؤوس المتفرجين سماء مرصّعة بالنجوم. الدب

الأكبر. . . المجرّة . . . الجوزاء. . . هناك نجمة القطب. . . القمر يطلع فيجوب السماء بجلال صامت، ثم تظهر النجوم فتخطّ في الفلك اضماراتها. . . المشاهدون يحبسون انفاسهم تحت وطأة هذا المشهد الأخّاذ. يمكن القول ان نفحة القدرة الإلهية تهبّ من هذا المشهد على نفس الإنسان.

بعد انتهاء المشهد يندفع الجمهور الى الشارع، الى ضجيج شوارع المدينة الكبرى، فتختفي في ذات اللحظة فكرة الله من عقلهم. آه ايها الرب كم ابتعدت عنا نحن ابناء هذا العصر او بالحري كم نحن ابتعدنا عنك! مليارات النجوم تعرفك وتؤدي لك الإكرام ولكن اين يؤدي لك الإكرام عالم البشر؟ الصليب لا يزال يعلو قبب كنائسنا وفي هذه أوتلك من غرف المدارس كما في بعض مخادع بيوتنا. . . ولكن ماذا بعد ذلك؟ اين نجد لك اثراً ايها الرب؟من يفكّر بك في ضجيج شوارعنا؟من يهتم بوصاياك في زوبعة الحياة.

ب) أمن المبالغة القول ان **انسان اليوم يحاول ان يعيش وينظم حياته بدون المسيح**؟ «الدين فكرة اكل عليها الدهر وشرب ولسنا اليوم بحاجة اليها»، هكذا هم مقتنعون وبحسب قناعتهم يعملون: المهم هو الثروة والعلم، لا الدين والأخلاق. لماذا تراني اصلّي:«اعطنا خبزنا كفاف يومنا»، عندما نرى عابرات الأوقيانوس تشحن الحنطة من كندا والقاطرات تحمل الينا الخبز اليومي. العمل هو وسيلة الإنتاج، لا الصلاة. مع ذلك ترانا اليوم قد وصلنا الى الإقتناع ان العمل بدون الصلاة هو كالزرع بدون حصاد. انسان اليوم ينتج اكثر من اي وقت مضى خيرات مادية. ولكننا رغم هذا الإنتاج لا نراه سعيداً. ان طريقة سير العالم تقلقنا وترهق اعصابنا في يقظتنا ورقادنا وهذا يقودنا الى الإقتناع **ان الله والمسيح والدين والايمان هي حقائق يجب اخذها بعين الإعتبار حتى في الحياة الإقتصادية**. التقدم المادي، وحده،

يفرّق الناس ويوجد الخلافات بينهم ويضرم صراع الطبقات في المجتمع. لذلك فان سير المجتمع البشري بدون المسيح مصيره البلبلة والتمرد والثورة. بتنا اليوم مقتنعين ان من يخلو من المسيح لا يملك شيئًا ولو نال كل خيرات الأرض. لقد وصلنا الى الحد الذي تمت فيه حرفًا بحرف كلمات الكتاب: «تقول انني غني، وقد استغنيت ولا حاجة بي الى شيء ولستَ تعلمُ انك شقي وبائس ومسكين واعمى وعريان» (رؤ ٣ / ١٧).

ج) عندما نسافر في قطار سكة الحديد ننظر من النافذة فنرى الشريط يكرّ بسرعة على عواميد الكهرباء الى ما لا نهاية. **انها خطوط التيار العالي لمحطة الكهرباء**. من هذه المحطة يتوزع النور والدفء في مئات القرى والدساكر والمدن والفبارك والمصانع والبيوت، اما اذا انقطع الشريط في مكان ما فالمنطقة بكاملها تغرق في الصقيع والجمود.

المحطة التي تنير النفس البشرية وتدفئها وتحييها وتدفعها الى العمل هي شخص يسوع المسيح ربنا. مئات ملايين الناس تحصل منه على نور الإيمان ودفء الحياة الروحية وقوة النعمة المحركة بواسطة شريط الحياة الدينية الغير المنظور... ولكن التيار انقطع ويا للأسف عند كثيرين من ابناء العصر. البعض قطعوه بانفسهم؛ اما البعض الآخر فقد قطعه عندهم عن سابق تصميم، من يريدون احداث ثورة عالمية. من المعروف جيداً ان اول ما يفعله الثوار في بدء ثورتهم هو قطع خطوط الكهرباء. هناك ايد مجرمة بدأت منذ اجيال بقطع الخيوط التي تربط النفس البشرية بالمحطة التي تحرك العالم: اللّٰه. فهل تعجبون اذ ذاك ان يخيم ليل عدم الإستقرار علينا اليوم فنتلمّس دونما امل مخرجاً في ارضٍ باردة؟الا يثير خوفنا هذا التصريح لاحد اهم نطاسيي اميركا الدكتور «شارلز. ه. ماي» في مؤتمر عقد في الولايات المتحدة حول الصلة بين الأمراض

العقلية وحياة العصر التي بتقدّمها الصناعي لا تترك مجالاً للراحة فقال: «ان سريراً من اثنين في مستشفيات الولايات المتحدة يحتله مصاب بمرضٍ عصبي او عقلي فقد اتزانه واختلّ وصار ابله او شاخ قبل الأوان. السبب؟ نمط حياتنا المحمومة الذي يقضي على العقل والعزم والنباهة. ان تهافت الحياة السريع في ايامنا يوقظ عند الكثيرين رغبة الحصول على الراحة باي ثمن». (١)

كم تصحُّ في ايامنا ايضاً هذه الكلمات التي كتبتها قديماً **القديسة كاترينا السيانية**: «هل تريدون ان اقول لكم بالإختصار من هو اللّٰه؟ هو من لا سلام بدونه» يا لها من فكرة عميقة جداً. يا لقداسة هذه الرؤيا الجليلة! هل انتم ضحايا القلق والإضطراب؟ انتم كذلك لأن لا وجود للّٰه فيكم.

والآن اقلب المعادلة وأقول ان كان اللّٰه فينا فان سلاماً لا يتزعزع يستقر في نفسنا. **لهذا السبب فان الحياة مع المسيح سعيدة وسهلة، لهذا السبب أيضاً الحياة بدون المسيح صعبة لا تطاق.**

* *

*

بينكم كثيرون ايها الإخوة، لا يعرفون أكيداً هذا القانون القديم والمحترم لكانتون تسّان (Tessin) في سويسرا الذي ينص ان كل القرارات الرسمية يجب ان تبدأ «بأسم اللّٰه» «Nel nome del signore». وُجد اناس ازعجهم هذا التقليد القديم فتقدموا بطلب الى المجلس الأعلى في اول تشرين الثاني يوم عيد جميع القديسين سنة ١٩٣١، كي يطرح هذه القضية على التصويت ليقرر الشعب ان كان يريد الإبقاء على عادة وضع اسم اللّٰه في بدء القرارات

(١) (Cf. Shönere Zukunft 1931 Nov. p.24)

الرسمية . وبتعبير آخر ان كـان يريد اعلان تعلقه بالدين بواسطة هذه العلامة الخارجية ام لا . فهل تعرفون نتيجة تصويت المقترعين البالغ عددهم اربعة وعشرين الفًا ؟ سبعة آلاف صوتوا ضد وسبعة عشر الفًا صوتوا مع الإبقاء على تقليد الآباء الجميل ومنذ ذلك الحين لا تزال القرارات تبدأ «بسم الله» كما في السابق .

اخوتي ، في هذا العصر الذي يُخيّمُ فيه اليأس على البشرية الحاضرة . في هذه الأيام التي يسعى فيها فلاسفة الشؤم ان يعوّدونا على فكرة «انحطاط الغرب» يرفع اليوم مؤمنو المسيح رؤوسهم متفائلين «باسم الرب» . نحن ايضاً نلاحظ علامات الخراب ، نحن ايضاً يروعنا انحطاط الأخلاق ولكن ذلك ناحية من اللوحة ، في الناحية الأخرى نتبين علامات التشجيع اذ نرى اناساً تاهوا قبلاً بعيدين عن المسيح يعودون اليوم بعد ان وجدوا معلم الحياة . نرى ذلك ونفرح . نرى صفوف شبيبتنا تتضخم بوصول اعداد متزايدة من المؤمنين الشجعان الذين يجتذبهم مثال العفاف المسيحي - نرى ذلك ونفرح . في كنائسنا التي تغصّ بالمصلين نرى اكثر فاكثر اناساً خرجوا من كهوف الإلحاد الباردة الى نور الله الدافئ .

الحياة صعبة بالنسبة الينا ايضاً ولكن **المسيح هو «معلم الحياة»** ونحتمل الحياة «باسم الله» لأن كلمات المرتل ترن دومًا في آذننا:

«ان لم يبنِ الرب البيت فعبثًا يتعب البناؤون» .

« ان لم يحمِ الرب المدينة فعبثًا يسهر الحراس» .

إخوتي ، كلنا نريد ان نجعل من نفوسنا منديل فيرنيكا لِيُطبع عليه ، بوسم لا يمحى ، وجه سيدنا يسوع المسيح المبارك ، معلم الحياة. آمين .

بدون المسيح؟

اخوتي ،

اتابع اليوم ايضاً الموضوع الذي بدأته الأحد الماضي . اتابعه مع الفصل الحادي عشر من سفر التكوين حيث نقرأ قصة برج بابل عندما قال الناس بعضهم لبعض: «تعالوا نصنع لبناً وننضجه طبخاً . . . تعالوا نبني لنا مدينة وبرجاً رأسه الى السماء ونقيم لنا اسماً» (تك ١١/ ٣-٤).

اخوتي ، من لا يجد في هذه الكلمات المتعجرفة ، شبهاً مخيفاً لما يجول في خاطر انسان اليوم . كثيرون يتيهون اليوم كبراً لأن البشرية حصلت طوال السنين العشر الماضية على خبرات علمية جديدة اكثر من كل الأجيال مجتمعة . هذا صحيح . ولكن الصحيح ايضاً اننا لم ننعم بالراحة وان حياتنا ليست هنيّة . لماذا؟ ما قول الكتاب ؟لماذا برج بابل المتغطرس ، المفترض ان يصل الى السماء ، لم يكتمل بناؤه؟ لأن الله بلبَل لغة الناس الذين تجاسروا عليه بكبريائهم فما عادوا يفهمون على بعضهم البعض .

اليست بليتنا اليوم ايضاً **ان التفاهم مفقود بين الناس والأمم والاعراق والدول**؟ بابتعادهم عن الله تبلبلت السنة رجال بابل فلم يقدروا ان يتفاهموا . ولكن الناس بابتعادهم اليوم عن الله لا يفهمون على بعضهم البعض بسبب انانيتهم المفرطة وجشعهم الذي لا حد له ، وبسبب صراع الطبقات الضغين . عندنا العلوم والصناعة والتجارة ولكن البلبلة الضاربة اطنابها رغم ذلك ، تدل ان هناء العيش بحاجة الى شيء آخر وان شقاء الإنسان يبدأ عندما يبيع بكارة نفسه بصحن عدس الخيرات الأرضية .

نحن بحاجة الى صحة النفس ، الى اعادة تنظيم نفوسنا. بقوانا الذاتية لا نقدر على ذلك. *البارون منشهاوسن(Munchhausen) كان يرتفع عن* الأرض بمجرد امساكه بشعر رأسه - ولكن ذلك يحدث في الأساطير فقط. اذا لم تصطلح نفوسنا فكل التدابير الإقتصادية المحضة لا تستطيع انتشالنا من مستنقع الأزمة الأقتصادية الحاضرة.

ان مصير برج بابل ينتصب امامنا كمثل بليغ - وانني في عظة اليوم اريد ان اتوسع في هذه الدراسة كتتمة للعظات السابقة. ١ **نحن ايضاً اردنا ان نبني بدون المسيح**. ولكن ٢. **بدون المسيح لا سعادة تليق بالإنسان**.

١

لقد بنينا بدون المسيح

أ) لقد تجاسر الفريسيون ذات يوم على الرب فاضطر ان يهدّدهم بقوله: «انني ماضٍ وتطلبوني وتموتون بخطيئتكم» (يو ٨/٢١).

هذا التهديد في فم الرب رهيب جداً: لقد حاولت معكم كل شيء - ولكنكم بقيتم في تحجّركم. علّمتكم - فمسختم تعليمي وفسّرتموه على هواكم وسخرتم منه وسدّيتم آذانكم. استطيع ان اصعقكم واشقّ الأرض لتبتلعكم. . . ولكنني لن افعل. سأمضي صامتاً وسأتخلّى عنكم - **ولكن هذا التخلي سيسبّب هلاككم**.

الا يتم كلام المسيح هذا في عالمنا الحاضر حرفاً بحرف؟ انه يتم في هذه البشرية التي تدير ظهرها للمسيح وشرائعه الأدبية. ولكن الحنين الى المسيح سيُسمع عاجلاً ام آجلاً في هذه النفوس التي تخلّى عنها. تتم ايضاً في **هؤلاء**

الناس الذين نظموا حياتهم بعيداً عن المسيح ولكنهم مضطرون الآن ان يروا كل دروبهم تنتهي الى حائط مسدود فيتعثرون كالمجانين.

ب) **منذ اجيال وهم يبنون المجتمع الحالي بدون المسيح**. ولكنهم بدأوا يدركون اليوم ان الإنسانية بجهودها التقنية والعلمية المحضة ادخلت نفسها في طريق مسدود لا تجد الى الخروج منه سبيلاً. لقد جرى لنا ما جرى لساحر «غوته» المبتدئ عندما احضر الأرواح ولم يعرف كيف يطردها.

اخترع العلم ماكينات جديدة اسرع واقوى. الكيمياء والفيزياء ضبطت قوى الطبيعة ووضعتها في يد الإنسان؛ ولكن من هو هذا الإنسان الذي بيده هذه القوة الهائلة من الماكينات والمحركات والأختراعات، من هو هذا الإنسان الذي تسيطر عليه الغرائز الحيوانية ـ الا اذا لجمها المسيح بلجامه.

اليس من الجنون المطبق ان نضع بين ايدي الناس قوى يتزايد خطرها يوماً بعد يوم دون ان نقوي فيهم بذات الوقت الروح بالمقدار عينه؟ عندما نصنع للسيارات محركاً قوياً اليس من البديهي ان نصنع لها ايضاً فرامل افضل واقوى؟ ولكننا نواصل مضاعفة قوى المحركات والديناموات والمراوح في يد الإنسان ـ وننسى في ذات الوقت **ان نقوّي في الإنسان خوف الله وروح المسؤولية والإستقامة والقيام بالواجب بضميرحي كما ومحبة الله.**

لنرَ فقط ما يجري حولنا في العالم فلا نضطر ان نفتش طويلاً لنرى بوضوح ان كل شيء مجرد كلام ووهم وخيال وقصور من ورق، ما دام كل واحد منا لا يجتهد ان يكون هو نفسه افضل وانبل واطهر اعني مسيحياً اكمل. الا ترون ان كل شيء حولنا ينهار: الحضارة والثقافة، الإقتصاد وحياة الإنسان؛ ما دامت المصالح الأنانية الكامنة في النفس البشرية والتعطش

الى السلطة والملذات لا تجد في ثقافة الروح، في المسيح، ثقلاً يوازيها. الا نرى النظام السياسي والإقتصادي والعلمي والتقني يغرق في فوضى مشؤومة ما دام كل واحد منا لا يجتهد ان يكون، في المكان الذي وضعته فيه دعوته، اكثر انسانية وسخاءً، صبراً وتجرداً وقناعة، اعني مسيحياً افضل. ان الافلاس الكبير كما دمار برج بابل يعطيانا المثل انه لا يمكن ان يكون هناك تقدم حقيقي دون نمو في طيبة القلب، وان لا وجود لحضارة حقيقية دون تثقيف الروح اعني **لا وجود لحياة انسانية بدون المسيح**.

ولكننا مسيحيون. لا نزال نعيش في نور ماضٍ مسيحي منذ الفي سنة ولكن من هو المسيح بالنسبة الينا؟ يعرف ذلك فقط من سلبهم الطغاة دينهم. يا له من ليل رهيب ان يولد الإنسان ويشقى ويموت دون ان يقف المسيح بقرب سريرنا، بقرب فراش مرضنا، بقرب تابوتنا! يا لهول حياة الإنسان بدون المسيح!

٢

بدون المسيح نهلك

اشعر ايها الإخوة انه لا يكفي ان نؤكد ذلك. يجب ان نعطي البرهان. اطرح السؤال اذن. هل الأمر حقاً كما نقول؟ **هل مصير العالم الى خراب بدون المسيح**؟ وجوابي هو نعم، انه معد للدمار لأن أ) **العالم بدون المسيح هو عالم بلا اخلاق** و ب) **عالم بلا نظام** و ج) **عالم بلا سلام**.

أ) **العالم بدون المسيح هو عالم بلا اخلاق**. ان الحياة المتحررة من الاخلاق هي جذابة في بدايتها فقط ولا تصعد الى الرأس الا في أوَّلها وعند الرعاع فقط. هؤلاء وحدهم يظنون انهم ارتاحوا من عبء ثقيل عندما

يحطّمون لوحي الوصايا. ولكن ما اسرع ما يدركون في الحال ان الحياة بدون وصايا تقيّدنا في الداخل وتوجّه سبلنا، هي حياة فارغة لا قيمة لها. فارغة لأنها ضلّت الطريق.

اتمام الواجب هومعنى الحياة البشرية. بقدر ما تسفّ الحياة بقدر ذلك تصبح بلا هدف. لقد كتب الفيلسوف الإسباني اورتيغا اي غاسيت (Ortega y gasset) يقول: «عما قريب سيرتفع من الكرة الأرضية باجمعها كعواء كلاب لا عد لها، صرخة نحو النجوم تطالب بسلطة تأمر بالعمل اليومي وتفرض الواجب».

ويبدو ان هذا الوقت قد حضر.

من لا يشعر ان محور العالم خرج عن قطبه؟ من لا يشعر ان البشرية الحاضرة ماضية في ابتعادها عن الله في مغامرة لا سبيل لها ولا هدف ولا قرار؟ في ظمأها الى الله تفتش النفس دوماً عن «بديل لله». لذلك فهي ترتمي بعطش من يود الانتحار، على العلم والمال والملذّات، والفن والتدخين والسكر والرقص والكباريهات والمورفين والكوكايين، وعلى كل شيء، كفراشات الليل على النور الخادع...

واخيراً!

اخيراً نجد انه رغم دفق الحياة الحسّية العارم والملاهي وعربدة آخر الإسبوع ونوبات الجاز المتواصلة، الغارقة في بخار الكحول المخدّر والقهاوي والعطور والمساحيق، تتعالى من العالم باجمعه انّاتٌ موجعة من نفوس عطشى الى السلام والسعادة.

هل اعطي مثلاً عمّا يصيره العالم بدون المسيح؟ مؤخراً نشرت طبيبة المانية احاديث دارت بينها وبين مرضاها اثناء استشارات طبية - ويجمد الدم في عروقنا عندما نقرأ الأسئلة التي يطرحونها على الطبيبة ببرودةٍ مَن خلا من كل خلق كريم. (١)

يقول احدهم: «ارجوكِ ايتها الطبيبة ان تحقني والدي بابرة تريحه الى الأبد. انه يعلّ منذ اربع وسبعين سنة، لماذا نتركه يتألم؟» ثم يأتي آخر ليقول: «من الأفضل لأمي ان تموت الآن. انها هزيلة جداً ولا يمكننا الانتظار اكثر. من جهة أخرى نحن بحاجة الى سريرها». اما الثالث فيقول: «يظهر ان هذا الرجل ليس عنده الشجاعة الكافية لفتح حنفية الغاز، فهو لن يشفَ من مرضه، وامرأته تتدبر امرها بدونه احسن». . . وهكذا دواليك. كل هذه الأحاديث دارت فعلاً.

تأملوا ايها الإخوة مصير المجتمع الذي لا مكان فيه للمسيح. نلاحظ اليوم اولاً ان الآباء لا يريدون التضحية في سبيل اولادهم. الأولاد بدورهم لا يريدون احتمال اي شيء في سبيل والديهم العجزة وسنرى ذلك قريباً كما يبدو. الآن يبدو للأهل ان حياتهم ستكون اسعد اذا تحاشوا الأولاد، يبدو الآن للأولاد ان حياتهم ستكون اكثر سعادة اذا اخلى لهم والدوهم اسرّتهم.

هل اعطي مثلاً آخر عن مصير الأخلاق بدون المسيح؟ بدون المسيح كل الصلات تنقطع. قال احد الشعراء قديماً: «الحب خيط يربط القلوب، الزواج حبل يربط الأيدي. تقدر ان تقطع الخيط، لا تقدر ان تقطع الحبل».

اجل، هكذا كان الحال قديماً، ولكن كيف حالنا اليوم؟ كيف تُقطع اليوم رباطات الزواج! ليس من زمن بعيد كانوا ينبذون الرجل المزوج اذا

(١) (Cf. kölnishe Volkzeitung. 23 Mai. 1931)

صاحب امرأة أخرى ، الآن يجدونها مملة المرأة التي تعيش مع زوجها اكثر من ثلاث سنوات . في عالم الأخلاق الخفيفة الذي نعيشه ، انقطاع رباط الزواج المقدس هو فرصة لجني الارباح . اسمعوا فقط ما يقوله هذا المنشور الذي استلمه مؤخراً متزوجون شباب من احدى الوكالات: «اننا نلبي كل احتياجاتكم . ما هو طلبكم؟ نؤمن لكم كل اسباب الطلاق ، من ابسطها الى اكثرها تعقيداً: عدم نجاح الوساطات ، استحالة التقربات . اذا شئت الطلاق اتصل بنا ، شغلنا سريع ودقيق ، رخيص واكيد . يمكن الدفع على مراحل» .

العالم بدون المسيح ، ايها الأخوة، هو عالم بدون اخلاق .

ب) ولكن ليس هذا كل شيء:**العالم بدون المسيح هو عالم بلا نظام** .

مأساة مؤلمة تواكب سير البشرية: عندما تسير الأمور وفق مرامنا نفرح مبتهجين ، اما اذا اعترضتنا صعوبة ما فاننا ننهار ككيس فارغ . عندما تحصل البشرية على التقدم بسبب الهدوءوالسلام طوال اجيال ، عندما يعطي العمل المخلص أَجره المستحق ، عندما يتوصل العلماء والفنانون الى العمل باطمئنان ، عندما نتمكن من البناء والإبداع والتخطيط والنجاح ، عندئذ يصعد بخار الإنشراح النفسي والإعتداد بالذات ليلفَّ عقلنا فيبدأ الإنسان من جديد مشروعه المأسوي: انا اكفي ذاتي . لست بحاجة الى مخلص . لست بحاجة للمسيح . من وقت قريب نعيش هذه الحقبة التعيسة ـ والآن بالذات نتألم منها . متى كان عندنا كاليوم مثل هذا العدد من العلماء والباحثين؟ متى رأينا كاليوم مثل هذه الوفرة من المؤلفات وهذا القدر من التعليم وهذه الكمية من اكتشافات الطبيعة؟ مع ذلك نرى في كل الميادين فوضى عارمة! عندنا الهاتف الذي يقرب بين رؤساء الدول اكثر من اي وقت مضى ، عندنا السكك

الحديدية والطيارات والإذاعة [1] وكل ما من شأنه تقريبنا بعضنا من بعض - مع ذلك لم نكن يوماً اكثر بعداً بعضنا عن بعض. ما اكثر الإجتماعات التي يعقدها اليوم رؤساء الدول، مع ذلك نرى المشاكل والخلافات والإنقسامات تزداد تعقيداً مخيفاً. الخيرات الزمنية لم تتدفق على الأرض مثلها في ايامنا كما لم تتكدس المواد الأولية الضرورية للعمل بهذا القدر مثلها في ايامنا، ولم تمتلىء الإهراء في بعض البلدان كامتلائها اليوم، ومع ذلك - فالبطالة ضاربة اطنابها والفقر لا حد له.

الا ترون اذن ايها الأخوة انه عندما نبتعد عن المسيح نبتعد عن الشرائع الطبيعية للمجتمع البشري والتقدم والإنماء.

هو في الحقيقة اعمى من لا يرى ازاء الإنهيار اليومي في تاريخنا الحديث، ان كل شيء يهتزُّ ويسقط لأننا بنينا على اساسات واهية. علينا الإقرار اننا خدعنا نفسنا عندما ظننّا ان الحياة يمكن بناؤها على الإنسان فقط، على ما يسمى «حقوق الانسان». لقد بان واضحاً ان الإنسان هو اعجز من ان يقوم بهذه المهمة، كما بانت غير كافية «حقوق الإنسان» التي تتجاهل «حقوق الله» والتي لم تأخذ لقب شرفها من المسيح. وعندما افلتت الأنانية الهمجية وهاجمتنا في حرب «الجميع ضد الجميع» ادركنا اقله عندئذ حقيقة تحذير المسيح المقدسة: «من ليس معي فهو علي» (لو ١١/٢٣). علينا الإيقان اذن ان **العالم بدون المسيح هو عالم بدون نظام**.

ج) واخيراً ننهي كلامنا بالقول ان **العالم بدون المسيح هو عالم بدون سلام**.

---

(١) والتلفيزيون والكمبيوتر والڤيديو وجميع الآلات الالكترونية الخ.. (المترجم).

في سنة ١٩٢٦ ذهبت الى شيكاغو للإشتراك بالمؤتمر القرباني. سافرت الى الولايات المتحدة على متن سفينة «اولمبيك» احدى اكبر بواخر العالم التي يبلغ وزنها ٤٦ الف طن. لا حاجة بي ان اخبركم بالتفصيل عن البذخ المسيطر على مثل هذه العابرات الضخمة للأطلنطيق. عدد المسافرين ينيف على الثلاثة آلاف شخص ما عدا الثمانمائة موظف. ليس من اوتيل ولو في المدن الأكثر تقدماً يضاهي في الرفاهية هذه الباخرة. انها تحتوي على صالونات ومجالس تدخين ومسابح ومكتبات وصحف تصدر يومياً...
وهي مؤلفة من سبع طبقات وتؤمن رفاهية لا مثيل لها ويجد فيها المسافرون التسلية على مدى النهارات... قمنا ذات يوم بزيارة الماكينات... هذه الماكينات التي تدفع السفينة بضجيج لا هوادة فيه بسرعة اربعين كيلومتراً في الساعة باتجاه الولايات المتحدة. في اعماق السفينة تحت خط التعويم رأيت عمال الماكينات نصف عراة وسط حر جهنمي بوجوه متقدة... رأيت ايضاً غرف النوم التي تتكدس فيها بشكل لا انساني المضيفات اللواتي يبدين هكذا انيقات عند خدمتهنّ الموائد... وانتصبت امامي كل مشاكل الحياة اليومية البالغة في الترف والتي لم تجد لها حلاً.

ما العمل ايها الإخوة؟ ما العمل؟ القضاء على كل ترف في العالم والغاؤه؟ في هذه الحال سيقل عدد المسافرين وبذلك يقل العمل وتقل الإجور ايضاً. واذا حافظنا في المقابل على المستوى الحضاري الحالي فسيقتضي ذلك تضحيات كبرى: دماء اخوتنا واعراقهم. ما العمل؟ من يحل مشكلة الأثرياء والفقراء الخانقة؟ من عنده جواب؟ من يعيد السلام الى النفوس القلقة؟ من ينقذ الحضارة دون التضحية بالإنسانية؟ هل من حل حقيقي واقعي لمعضلة زماننا الملتهبة، المعضلة الإجتماعية؟ حسب مجرى الأمور الحالي، القضية في لخبطة والمعضلة لم تجد لها حلاً حقيقياً.

نحن واعون ذلك. ولكن الحل ليس في القضاء على الملكيّة الفردية، لأن ذلك يشلّ النشاط الفردي ويثقل كواهل العمال. البولشفيّة ليست حلاً، لأن انفلات الغرائز الوحشية يعيد الحضارة البشرية الى الوراء اجيالاً . . . هل من حل اذن؟ **اجل هناك حل - ولكن عند المسيح فقط**. عند المسيح الذي اوصانا بالمحبة، وان نساعد بعضنا بعضًا . ليس ذلك فقط بل ان نكون عادلين مع بعضنا البعض. عند المسيح الذي اعلن اننا كلنا اخوة : عمالاً وارباب عمل، كباراً وصغاراً، اقوياء وضعفاء، مثقفين وجهالا. عند المسيح الذي قال عنه الرسول: «احملوا بعضكم اثقال بعض وهكذا تتمّمون شريعة المسيح» (غلا: ٦/٢).

يجب الاقرار واقعيًا انه رغم كل البراهين تبقى في المشكلة نقطة : لماذا ؟ لماذا هناك اناس مخظوظون واناس يبللون كل لية فراشهم بدموعهم؟ لماذا؟ ليس من فلسفة او مفهوم للوجود بامكانه اعطاء جواب شاف الا الفكرة المسيحية، الا مملكة المسيح.

ملكوت المسيح مُلكٌ فيه للعائلة قيمة مقدسة والولد فيه «بركة من الرب».

ملكوت المسيح مُلكٌ يحصل فيه العامل على اجر عادل وفاعل الشرور على عقاب عادل.

ملكوت المسيح مُلكٌ كل مَن فيه طاهر القلب والنيات والافعال.

ملكوت المسيح مُلكٌ فيه تسير الفضيلة مرفوعة الرأس والخطيئة تواري خزيها في ظلمة كهف عفن.

ملكوت المسيح ملكٌ فيه. . . ولكن لماذا اطالة الكلام ؟ كم نحن بعيدون عنه، كم نتأوّه لمدى بعدنا عنه. آه نحن بعيدون عنه جداً، اجل. لا نتأوه كثيراً بسبب بعدنا عنه بل **لنعمل** كي ينمو فينا روح المسيح اكثر،

ولنصلّ كي يحلّ فينا ملكوت الله. فينا نحن البشر المساكين الذين يكافحون حتى النزاع ولتتمَّ مشيئته القدوسة على الارض كما في السماء.

فما دام هذا الملكوت لم يحل بعد فلا سلام لنا. المسيح صُلِبَ قديمًا ولا يزال صلبه يتجدد حتى يومنا هذا ـ مع ذلك فان الحياة البشرية تطلبه لان لا حلّ مرْضيًا لاي معضلة بشرية بدونه.

* *

*

قامت الحكومة الايطالية، ايها الاخوة، بحفريات هامة في روما وجوارها لتُخرج الى النور الآثار القديمة التي دفنتها الاجيال. إبان هذه الحفريات وجدوا تحت طريقٍ واسعة وسكةِ حديد هيكلاً وثنيًا قديمًا، هيكلاً بيتاغوريًا وضعَ مؤمنوه هدفًا لنشاطاتهم تجديد المجتمع تجديداً اخلاقيًا اصوليًا.

من لا يدرك الرمز العميق لهذا الاكتشاف: **هيكلٌ تحت طريق مواصلات كبرى!**

وسط البلبلة واليأس تسعى البشرية الحاضرة الى ايجاد مخرج. ولكن المشكلة هي انها لا تحفر عميقًا لتجد الهيكل المخفي تحت انقاض النفس البشرية. تنسى ان الهيكل هو الذي يحمل ثقل الطريق السلطاني وان الايمان الفائق الطبيعة هو وحده يملك حل مشاكل هذه الحياة وانه علينا ان نرفع في اعماق نفوسنا هيكل الايمان بالله وفي هذه الحال فقط نستطيع الانتصار على قوى الانانية والحسد والخنوع. اما اذا دفنت صروف الزمن تحت الانقاض هيكل نفسنا الذي فيه تتحقق امانينا لعالم انبل واسمى، فلا نعجبن عندئذ ان تطفأ في سمائنا النجوم التي تسيّر الثقافة والحضارة والحياة البشرية.

كم في ايامنا من كلمات ضخمة تطلق امام الناس كالصواريخ! كلمات مثيرة تعد بالتقدم والهناء والرفاهية وتحصيل المعاش ولكنها تنفجر كلها كمفرقعات الالعاب النارية التي تخيّم من بعدها ظلمة اكثر اسوداداً.

ولكننا تعدّينا كل ذلك. الآن نعلم انه لا شيء يملأ فراغ حياتنا سوى الحق الازلي المطلق.

نحتاج الهاً يكلّمنا ونستطيع ان نكلمه.

نحن بحاجة لاله عَمِلَ وتألم لاجلنا يستطيع ان يساعدنا على احتمال الحياة عملاً وتألمًا لأجله.

نحتاج الهًا نستطيع اللجوء اليه في ضيقنا والاتضاع امامه، عرفانًا بالجميل، في يسرنا.

نحتاج الهًا يعطينا الوصايا ونقدر ان نخضع له. ماذا اقول ايضًا؟ نحن بحاجة الى سيدنا يسوع المسيح. آمين.

هل افلست المسيحية؟

اخوتي ،

يخبرنا التاريخ عن القديس لويس انه كان يفضل لقب «لويس دي بواسي (Louis de Poissy)» على لقب «لويس ملك فرنسا» لأنه اقتبل في تلك المدينة سر العماد المقدس وبذلك اراد ان يظهر اعتزازه بالدين المسيحي .

هل نحن سعداء كوننا ولدنا مسيحيين؟ هل هناك اليوم ما يبرر اعتزازنا بمسيحيتنا؟ لقد اعلن الملاك قديمًا ليلة الميلاد: لا تخافوا انني ابشركم بفرح عظيم يكون لكم ولكل الشعب:«لقد ولد لكم اليوم مخلص» (لو٢/١٠-١١) . فهل المسيح حاليًا موضوع فرح وقيمة بالنسبة للبشرية: هل باستطاعة القديس بولس ان يقول اليوم ايضًا عن المسيح: «يسوع المسيح هو هو امس واليوم والى الأبد» (عبر ٣١/ ٨) ام تراهم على حق من يقولون ان المسيحية تغرق اليوم في الظلام ، وان الدين المسيحي افلس؟

علينا ان نواجه هذه القضية بجرأة .

في الواقع لا مجال للشك ان البشرية الحاضرة تعاني من آفة عضوية جوهرية وان شيئًا ما قد افلس فينا حقًا . من الواضح ان حجرًا اساسيًا افلت من بنيان النظام الأجتماعي الحالي وان شيئًا هامًا وجوهريًا ينقص البشرية الحاضرة التي تتألم في تفتيشها عن الطريق وتئنّ من بؤسها وهي ماضية في طريقها الى الثورة . ولكن ما الذي ينقصها وما الذي افلس فيها . هذا هو السؤال الذي اطرحه في عظة اليوم . هل هي المسيحية التي افلست أم بالحري البشرية التي ارادت ان ترتب شؤونها خارج دين المسيح؟ هل سبب ضيقنا كوننا مسيحيين ام بالعكس لأننا لسنا بعد مسيحيين حقيقيين؟

ابدأ عظتي باعطاء الجواب: **سبب ضعفنا اننا لسنا مسيحيين.**

كيف نبرهن ما نؤكده؟

ا ـ البرهان هو ان **العالم الحالي قليل التعلق بديانته المسيحية**، وعندها لا نعجب من النتيجة.

٢ ـ **بدون المسيح لا نصل الى شيء.**

١

ما اقل تعلق العالم الحالي بالمسيح!

عالم مع المسيح ام عالم بدون المسيح؟ عالم مع الله ام عالم بدون الله؟ هذه مشكلة زماننا الاعمق والاصعب. وللاجابة عليها يجب الا نغض الطّرف عن واقعين أليمين.

أ) اولاً. لا يمكننا غض النظر عن هذا الواقع الأليم انه حتى بين الذين ولدوا في الدين المسيحي واسماؤهم مدوّنة في سجلات العماد ولم يجحدوا علنا الدين المسيحي، حتى بين هؤلاء نجد **كثيرين فقدوا الايمان وهم لا يبالون بالايمان وبنوع خاص، لا يعيشون حسب مقتضيات الايمان.**

١ ـ عدد المسيحيين كبير جداً انما ـ ويا للأسف ـ **قليلون من هم كذلك امام الله.**

عندما يأتي وثني من الصين او افريقيا الى مدينة اوروبية كبرى محسوبة على المسيح، فهل يشعر بنفحة الدين المسيحي تلج اعماقه وتحوّله؟ هل ينعكس نور الفكرة المسيحية على مجمل حياتنا العامة في كل مظاهرها: برامج مسارحها وسينماتها، مجلاتها المصورة ومسابح شطآنها، مصارفها

ومكاتبها، مصانعها ومستشفياتها؟ هل تتفق فكرتنا عن الزواج والاستقامة، في الأعمال والترفيه مع الفكرة المسيحية؟

ما اكثر عدد المسيحيين في بلادنا! ولكنهم يتبخّرون حالما نفتش عنهم عبثاً في لوائح المشتركين في الصحف المسيحية وفي لوائح الجمعيات الخيرية، في صفوف الناخبين في الأحزاب المسيحية والمشاركين في المظاهرات المسيحية.

ب ـ ما سبب قلة الاكتراث هذه المؤلمة؟ السبب يكمن في ان هؤلاء الناس غير قادرين ان يكوّنوا عن المسيح فكرة صحيحة. كثيرون ممن يقفون دونه جامدين بامكانهم ان يصيروا له تلاميذ حارّين لو احسنوا معرفته.

كثيرون يفقدون ايمانهم لأنهم يجهلون تعليم المسيح وديانة المسيح ولا يعرفون سوى تلاميذ المسيح، اعني الشعوب المسيحية. فهؤلاء، لسوء الحظ، قلما يسيرون بثبات وراء معلمهم. ولكن يجب الا يفتر، بسبب ضعفهم، تعلقكم بالمسيح والحقائق المسيحية. لا تقفوا مع الذين يقول عنهم شكسبير انهم يقدّرون غبار الذهب اكثر من الذهب عينه عندما يعلوه الغبار. لا تتشككوا، ايها الأخوة، من ضعف المسيحيين ونقائصهم ـ لأنهم هم ايضاً بشر. اقله لا يحملْكم ذلك الى حد قطع علاقة ايمانكم بالمسيح.

يأتي فلان، شديد الحساسية، فيتشكّى: «كل ما عندكم هو مجموعة من الواجبات والعقائد وشؤون الفكر». هم اولئك الذين لم يروا ابداً العواطف المتأججة في قلب المسيح.

يأتي الآخر، رجل العلم، فيتأوّه: «كل ما عندكم هو احاسيس وانخطافات وعواطف تقوية». هم الذين يجهلون ايماننا المبني على منطق لا يتزعزع.

يصل الثالث ليقول: «لا اريد ان اكون مسيحياً لأن فكرة الديان والهلاك الأبدي لا تتركني ارتاح دقيقة واحدة». هم الذين يجهلون ان المسيح ليس فقط ديَّاناً عادلاً بل ايضاً «صديق الخطأة» وانه اتى «ليخلص ما قد هلك».

اخيراً يقول الرابع: «لا اقدر ان اصير مسيحياً لأن المسيحيين الذين ارى اعمالهم واسمع كلماتهم المتغطرسة لا يظهرون في حياتهم ماهية الدين المسيحي»، مع ذلك الم تسمعوا ايها الأخوة، اكثر من مرة ان «الدين المسيحي براء من امثالهم» الم تسمعوا الوف المرات هذه الموعظة: اقتدوا بالمسيح في حياتكم ولا تعترفوا به في كلامكم فقط؟ ما الفائدة من تمجيد الله بافواهنا ان كان قلبنا يكذّب ما نقول؟

هذا اول واقع مؤسف: حتى الذين يُدعون مسيحيين هم بعيدون كل البعد عن المثال المسيحي.

ب) الواقع الآخر الأكثر ايلاماً وحزناً هو انه الى جانب اللاَّمبالين يوجد **اناس اعلنوا عداءهم لله وهم في ثورة مفتوحة ضده**. لا افكّر الآن ببلدنا حيث محاربة الله ممنوعة في الشرع المدني والحمد لله. ولكنني افكر ببلدان اوروبية اخرى حيث دعاية الألحاد التي تنخر اسس الحياة البشرية والنظام الاجتماعي تواصل عملها المدمر دونما عائق.

أ ـ من الأكيد انني افكّر اولا بسيل الدماء الطامي في روسيا البولشفية حيث منذ قيام السوفيات حتى سنة ١٩٣٠ أُعدم دون محاكمة ٣١ اسقفاً و١٥٦٠ كاهناً وسبعة آلاف راهب وراهبة وحيث تصدر ايضاً صحيفة تحارب الدين اسمها «بسبوسنيك» تطبع ٤٠٠ الف نسخة يومياً، وحيث يعطي اساتذة المدارس في موسكو فروضاً مدرسية يذهب بموجبها التلاميذ الى الكنائس

للتجسس على المصلين والوشاية بهم . . . ويحصلون على مكافأة خاصة ان هم وشوا بوالديهم؛ وحيث كل شيء مباح ضد الله والذين في السينما والكباريهات والرسوم والكتب والأستعراضات الكفرية [1].

هذه هي الأرجاس التي تحضر ببالنا اولاً.

ب ـ لا نظننّ مع ذلك ان هذه الحرب الشيطانية تقف عند حدود روسيا. **بالكاد نجد في اوروبا بلدًا واحدًا** يخلو من حرب خفية او معلنة ضد الله. ونفتح عيوننا واسعة ولا نريد التصديق ان في اوروبا ٥٩ مجلة للأولاد والشبان موضوعها نشر الألحاد علنًا. الا تسخطكم ايها الأخوة، انتم الذين تقدسون اسم الله، الا تسخطكم مثل هذه الاخبار؟ والالحاد هذا لم يعد مذهب اشباه العلماء في الكتب، والمتلاعبين بالكلام، على طريقة ڤولتير الكافر او اليائسين، امثال نيتشه، بل حركة سياسية واسعة جداً تهدد باضمحلال الحياة البشرية.

عندما نقرأ يوماً بعد يوم هذه الأخبار المرعبة عن الأضطهاد ونرى من جهة اخرى حياة المسيحيين تتناقض وتعليم المسيح، عندها نستطيع الجواب على السؤال: هل افلست المسيحية؟

لا، المسيحية لم تفلس، ولكنها على شفير الهاوية بشريتنا التي ارادت ان تعيش بدون المسيح. فكما ان اليهود اصبحوا من بعد صلب المسيح شعباً تائهاً على وجه الأرض، كذلك البشرية التي تغتال المسيح في نفسها، تصبح هي ايضاً هائمة بدون انقطاع، في دوامة كبرى، في ميادين العقل والارادة.

---

(١) (Schönen Zukunft. 1er Nov. 1931. p. 106).

٢

بدون المسيح لا نصل الى شيء

هل تعرفون من عبّر جيّداً وباختصار كلّي عن هذه الفكرة انه بدون المسيح لا نصل الى شيء؟ خطيب انكليزي في الحادي عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٣١ .

في هذا النهار احتفلت انكلترا بورع مؤثر بالذكرى السنوية للحرب العالمية الأولى واستشهاد جنودها في تلك الحرب المدمرة . فكانوا يبيعون في شوارع لندن وسائر المدن الكبرى زهور شقائق النعمان لمساعدة معاقي الحرب . وكان المارّة يرمون بالوف الأزهار في نعوش عسكرية عليها صلبان خشبية مطحلبة . ولكن عندما دقّت ساعة البرلمان «بيغ بن» الحادية عشرة ، وبعد طلقة المدفع ، توقفت الحركة في كل انكلترا دقيقتين .

السيارات توقفت عن سيرها والماكينات عن دورانها وتحوّل ضجيج السير الى صمت اشبه بصمت القبور انتهى بطلقة مدفع جديدة .

اقيمت في كل انحاء انكلترا اجتماعات من اجل السلام فسُمع في احداها هذه الكلمات: «**لو اتبع العالم سنة ١٩١٩ تعاليم المسيح ، لاصبح اليوم كل واحد منا ثريًا وسعيداً**» .

يفيدنا ان نفكر بهذه الكلمات ونتوسّع بها: لاننا نجد فيها حقيقة هامة ليس في سنة ١٩١٩ فقط ، بل دائماً ولجميع الناس: لو اتبعنا المسيح لوجدنا السعادة . ولأننا لم نتبعه ، فلذلك نحن تعساء .

أ ـ **المسيحية هي ديانة السلام والفرح والسعادة ـ ولكن في الوقت الحاضر لا سلام** في اي مكان. لا سلام فينا لأننا لسنا مسيحيين بما فيه الكفاية. اذن المسيحية لم تفلس.

أ ـ **المسيح هو «امير السلام»**. يومَ ميلاده بشّر الملائكة بالسلام للناس ذوي الإرادة الحسنة. وهو اعطانا هذا الوعد: «سلامي اتركه لكم، ليس كما يعطي العالم اعطيكم انا» (يو ١٤/٢٧). اما تحيته المفضلة لرسله فهي: «السلام معكم».

نصير مسيحيين حقيقيين ونرى العالم حولنا يتغير عندما تتحقق فينا **كلمات القديس بولس هذه:** «لتكن محبتكم بلا رياء، كونوا للشر مبغضين وبالخير معتصمين. ليُحبب بعضكم بعضاً حباً أخوياً وليبادر بعضكم بعضاً بالاكرام. كونوا غير متكاسلين بالاجتهاد، بالروح حارّين، للرب عابدين، فرحين من الرجاء، صابرين في الضيق، مواظبين على الصلاة . . . افرحوا مع الفرحين وابكوا مع الباكين . . . سالموا جميع الناس ان امكن قدر ما تستطيعون . . . لتخضع كل نفس للسلاطين العالية. فانه لا سلطان الا من الله. والسلاطين الكائنة انما رتبها الله . . . لا يكن لأحد عليكم دين سوى حب بعضكم لبعض لأن من أحب قريبه قد اتم الناموس . . . لنسلكن سلوكاً لائقاً كما في النهار لا بالقصوف والسكر ولا بالمضاجع والعهر ولا بالخصام والحسد؛ بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تهتموا باجسادكم لقضاء شهواتها» (روم. ف ١٣ و ١٤).

فاين نحن من كل ذلك؟

اذن لا نقل ان المسيحية افلست.

ب ـ كانت الحرية ولا تزال اعزّ مثالٍ على قلب الإنسان. وفي سبيل تحقيقها سُفك من الدماء ما لم يسفك في سبيل اي مثال آخر، ولكن الحرية الوحيدة الجديرة بهذا الأسم والتي تليق بالأنسان هي تلك النابعة من احترام وممارسة الشريعة المكتوبة في طبيعتنا والشريعة الموحاة كذلك. بدون ذلك لا يمكن تصوّر اي حرية فردية او اجتماعية.

افنعجب اذا نتج عن جماح حرية العالم الحالي دمار حرية الفرد والمجتمع. اذا لم يخضع المركب للقبطان فسيخضع للعاصفة ولكن ذلك سيسبب غرقه.

في دير بانون هالما (Pannon halma) لوحة تمثل برميلا افلت من ضوابطه. ونقرأ في اعلى اللوحة هذه الكلمات: «**حريته اضاعته**» هذا القول ينطبق على الفرد كما على العائلة والوطن والمجتمع: بدون المسيح يتفسّخ المجتمع برمته ويتفكّك وينفجر.

استأجر احد اعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي واسمه رينو (Renaud) شقة في اوتيل باريسي لمدة شهر ودفع سلفة قدرها مائة وخمسون فرنكا. فسأله صاحبُ الأوتيل إن كان يريد وصلاً بالقيمة.

أجاب الشيخ: لا داعي. الله يرانا.

ـ اذن انت تؤمن بالله؟ سأل صاحب الأوتيل.

ـ طبعا، وانت ايضاً اليس كذلك؟

ـ لا، يا سيدي، انا لا أؤمن بالله.

ـ اذن اعطني وصلاً . . .

لقد اصاب. لأنه بدون المسيح، بدون الإيمان بالله لا مجال للأمانة والثقة وبالتالي لا وجود لحياة بشرية صحيحة ممكنة.

ستر ندبرغ (Strindburg) أيضاً بعد أن اختبر في ذاته الفوضى الأخلاقية الحديثة، أُجبر على الاقرار: «لقد جرى لي ما يجري للبحار عندما يسافر لاكتشاف ارض جديدة، وكل مرة ظننتني اكتشف جزيرة جديدة وجدت بعد امعان النظر انها توراتنا القديمة».

ب) ماذا باستطاعة المسيح ان يقول للناس في ايامنا؟ هذا هو السؤال الذي يطرحه الكثيرون وغالباً ما نسمع هذا الجواب: لا شيء. انسان اليوم يسمع فقط ما تقوله الآلة: سكة الحديد، السيارة، الغواصة. اما المسيح؟

مع ذلك ليس الأمر كما نظن! **مع ذلك انسان اليوم يرنو بكل جوارحه الى ما يعدو العلم، الى ما هو اسمى!**

لسنوات خلت ظهر كتاب لكاتب إيطالي اسمه **بابيني** (Papini). نشد هذا الكاتب في الالحاد وبغض المسيح اتزان حياته؛ ولكن فراغاً هائلاً ملأ نفسه بعدهذه المحاولات. فانزوى في عزلة تامة دامت خمسة عشر شهراً. فوجد في عزلته المسيح الذي انكر سابقاً ومع المسيح وجد اتزانه الروحي. واذَّاك كتب كتابه الشهير «**قصة المسيح**».

النتيجة؟ لم تلاقِ قصة ولو الأكثر اثارة، الرواج الذي لاقاه هذا الكتاب لمؤلفه الراجع الى المسيح. هذه البادرة كانت بمثابة انفجار غريزي لانسانية قلقة بشكل لا يوصف وكالغريق وراء العصافة تشبثت بالمسيح كمخلصها الوحيد والأخير والأعظم. هل تعرفون كيف ينظّمُ حياةَ الناس تيارُ الحياة الروحية الصادر عن المسيح والعائد الى المسيح؟ انه يشبه تيار غولفستريم، (Gulfstream) الذي ينظم حرارة مياه الشواطىء التي يمر امامها. من كانت نفسه مغلقة وغير منظمة بروح المسيح فهو معدّ اما لان يحترق بنار افران الشهوة واما ان يموت في صقيع القطب الشمالي بسبب احاجي عقلية عقيمة.

ب ـ الا تلاحظون ، اخوتي ، ان ربة البيت الحكيمة عندما تذهب لشراء حاجات بيتها تنتقي تلك التي تحمل علامة الجودة والأصالة. لقد رأينا **ان افضل علامة تستحق الثقة في شؤون الحياة والعالم هي علامة الصليب المقدس**. الطعام والمال ضروريان لحياة الأنسان ولكن مشاكل الحياة لا تحلها معدة شبعانة وجيب ملآن.

يخبرنا القديس لوقا في انجيله عن الرسل انهم ذهبوا ليلاً ليصطادوا ولكن يسوع لم يكن معهم. عبثًا حاولوا وتعبوا والقوا شباكهم فلم يحصلوا على شيء. عند الصباح ظهر الرب وقال لبطرس: القِ شبكتك في الماء. فقال له بطرس: «يا معلم تعبنا الليل كله ولم نصطد شيئًا ولكن لأجل كلمتك القي الشبكة» (لو ٥/٥)، فضبطوا سمكًا وفيراً.

الا تشعرون اخوتي، ان الناس يعملون في ليل من اليأس حالك؟ كم من اعصاب تتشنج، كم من اعراق تسيل، كم من صفارات تصفر في الفبارك، كم من طائرات تجوب الفضاء وكم من موتورات تصمّ الآذان. مع ذلك، مع ذلك . . . ما هي حصيلة اشغالنا ؟ «لقد تعبنا الليل كله ايها الرب، ولكن بدونك، بدونك لم نحصل على شيء».

لقد اردنا ان نملأ، بدون المسيح، قلبنا فلم نعلم غرابة قلب الأنسان. ما احقر رغباته وما اعظمها! اذا وقع على تفاهة شبع، واذا اعطيته العالم لم يشبع. وهكذا نجد ان قلب الأنسان لا يرتاح الا بالمسيح.

المسيح ينتصب امامي كقمة عالية مكلّلة بالثلوج تجتذبني وتدعوني اليها وتقويني. به اصير رجلاً. ما دام هناك انسان في الدنيا فهو بحاجة الى المسيح، لأنه بحاجة دائمًا لذراع قوية تنتشله من الهاوية وقلب رؤوف يغفر خطاياه.

هذا هو ايماننا القوي، الحي والمحيي، بسيدنا يسوع المسيح. ليس في ذلك عاطفية نسائية ولا تكلف عاطفي غامض وضبابي ولا جبانة في مجابهة العالم والهرب منه؛ بل قوة تنتصر على العالم وتضحية تظفر بالخطيئة وانطلاقة تبعث الفرح بالحياة. لأنني كل مرة اتلو بورع واقتناع هذه العقيدة المشجعة: «أؤمن بيسوع المسيح» اكتشف في هذه الكلمات كنوزاً فائقة الطبيعة توعز بها كلمات كهذه: ابن الله، المخلص، الراعي الصالح، الطوباوية مريم، بيت لحم، الناصرة، طابور، الجلجلة، الميلاد، الجمعة العظيمة، الفصح.

ايماني ليس عاطفة متقلّبة ولا حالة نفسية متأرجحة ولا ارتياحاً ذاتياً او نظرة الى الحياة ملوّنة بلون الورد. آه كلا! ايماني يرتكز على الله المتجسد الذي اثبت التاريخ وجوده، على المسيح الذي عاش حقاً وتألم ومات ولكنه قام. وانني اجثو امامه على ركبتي لا تلو هذه الصلاة:

لقد تعبتُ ايها الرب، وشئتُ ان ارتوي بماء آسنة، اما الآن فقد أتيت اليك يا معطي مياه الحياة الأبدية بغزارة. لقد تعبتُ، ايها الرب، فتوقفتُ على حافة الطريق لاغتسل بماء المستنقعات ولكني الآن احمل اليك نفسي التعبة.

لقد حاولتُ، ايها الرب، ان اقطف الثمرة المحرمة وزهرة المستنقعات ولكني عرفت الآن انك انت الجمال الحقيقي والسعادة الدائمة.

يا يسوع معلمنا وفادينا سِرْ امام صفوفنا، امام كتائب ابنائك المعميين والمائتين عطشاً كي نستطيع جميعُنا ان ننظر الى عينيك ونشرب من يديك. لان **من نظر ولو مرة واحدة الى عينيك المباركتين فان بهرجات العالم كلها تتحول الى ليلٍ مخيف ... وكل لذة في العالم تتحوّل الى ماءٍ آسن وعفن لمن استطاع ان يشرب، ولو مرة واحدة، من ينبوع قلبك الأقدس المحيي**. آمين.

تيهامر طوت

تيهامر طوت هو من المع اساتذة البلاغة واشهر وعاظ هذا الجيل. كان له تأثير كبير على تيار الفكر في اوروبا وحملت الاذاعات العالمية مواعظه الى اربعة اقطار العالم.

استاذ جامعي ثم اسقف لمدينة فيسبريم المجرية، تميَّز بتحليل رائع لنفسية انسان اليوم وخاصة الشبيبة التي كان مرشدها في الحركة الكشفية العالمية. توفي عام ١٩٣٩.

نجد مؤلفاته في كبريات المكتبات الى جانب مشاهير الوعاظ امثال بوسويه ولاكوردير وبوردالو وماسِّيون.

لقد سار في وعظه على نمط المعلم الالهي مستعملاً الامثال والتشابيه العميقة المغزى.

لقد شرح شرحًا عصريًا الحقائق الابدية المحتواة في قانون ايماننا الذي شرحه في ستة اجزاء. اخترنا منها كتابه المتعلق بشرح الفقرة الخاصة بسيدنا يسوع المسيح: «نؤمن بربّ واحد، يسوع المسيح ابن الله الوحيد»، متوخين من ترجمته الى العربية معرفة اعمق لسيدنا يسوع المسيح ومحبته حسبما جاء في كتابه: «**كثيرون من الذين يقفون من المسيح جامدين بامكانهم ان يصيروا له تلاميذ حارين لو احسنوا معرفته . . .**»

لقد كتب مؤلفاته بروح نبوية وقدسية نابعة من صميم حياته. أُدرجت دعوى تطويبه من عدة سنوات. لذلك تتميّز مؤلفاته بالصدقيّة والواقعيّة والعصرية. اذا غيّرنا بعض الاسماء والتواريخ يغلبنا الشعور ان ما كتب قد كتبه البارحة فقط . . .

السعر: ٥ دولارات أميركية

المهجر ١٠ دولارات أميركية